وليد الخالدي

دير ياسين

الجمعة، ٩/٤/١٩٤٨

مؤسسة الدراسات الفلسطينية

INSTITUTE FOR PALESTINE STUDIES
Anis Nsouli Street, Verdun
P.O.Box: 11-7164
Postal Code: 11072230
Beirut - Lebanon
Tel. 804959. Fax: 814193
Tel. & Fax: 868387
E-mail: ipsbrt@palestine-studies.org
http://www.palestine-studies.org

مؤسسة الدراسات الفلسطينية

مؤسسة عربية مستقلة تأسست عام ١٩٦٣ غايتها البحث العلمي حول مختلف جوانب القضية الفلسطينية والصراع العربي ـ الصهيوني. وليس للمؤسسة أي ارتباط حكومي أو تنظيمي، وهي هيئة لا تتوخى الربح التجاري.

وتعبِّر دراسات المؤسسة عن آراء مؤلفيها، وهي لا تعكس بالضرورة رأي المؤسسة أو وجهة نظرها.

شارع أنيس النصولي ـ متفرع من شارع فردان
ص. ب: ٧١٦٤ ـ ١١
الرمز البريدي: ١١٠٧٢٢٣٠
بيروت ـ لبنان
هاتف: ٨٠٤٩٥٩. فاكس: ٨١٤١٩٣
هاتف/ فاكس: ٨٦٨٣٨٧
E-mail: ipsbrt@palestine-studies.org
http://www.palestine-studies.org

يَسُرُّ مؤسَّسَة الدِّراسَاتِ الفِلسْطِينيَّة
أن تُعْرِبَ عَنْ تَقدِيرِهَا وَشُكْرِهَا
لِلسَّيِّد عدنان يوسف العلمي
على تَقْدِيمِهِ زَمَالةً أتَاحَتْ إصْدَارَ
هٰذا الكِتَابِ.

دَيْر يَاسِين

الجُمُعَة ، ٩ نيسَان/أبريل ١٩٤٨

Dayr Yāsīn: al-jumu'ah, 9 nīsān/abrīl 1948
Walīd al-Khālidī

Dayr Yasin: Friday, 9 April 1948
Walid Khalidi

ISBN 9953-9020-5-4

الطبعة الأولى: بيروت، نيسان/أبريل ١٩٩٩
الطبعة الثانية: بيروت، تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٣

دير ياسين

الجمعة، ٩ نيسان/أبريل ١٩٤٨

وليد الخالدي

مؤسسة الدراسات الفلسطينية

المحتويات

قائمة الخرائط

كلمة شكر

أود أن أتقدم بالشكر الجزيل لكل من آزرني في هذا العمل، وأخص بالذكر منهم:

رجل الأعمال الأخ يوسف أسعد من سكان دير ياسين، والذي كان طفلاً يوم الواقعة وبرفقة والده، أحمد أسعد رضوان، في زيارة إلى مدينة المجدل. ولقد حصلتُ عن طريق السيد يوسف على نصوص مقابلات مطولة أُجريت بواسطته قبل سنة ١٩٨٨ مع خمس نساء وأحد عشر رجلاً من شهود العيان من الناجين من قريته. كما أمدّني بقوائم الشهداء وأسمائهم وأعمارهم، وبشجرات العوائل في دير ياسين التي أُعدت جميعاً بالتشاور مع كبار القرية، وبخريطة مفصلة تبين موقع كل منزل فيها واسم مالكه وسائر معالمها من إعداده هو والسيد محفوظ سمّور من سكان دير ياسين، وبتقرير وضعه السيد سعيد سمّور يتضمن ست شهادات إضافية لشهود عيان عن الواقعة. ولقد أجاب السيد يوسف ورفاقه عن عشرات الأسئلة والاستفسارات التي طرحتها عليهم استجلاءً لما حدث. وإضافة إلى كل هذا وذاك، قدم السيد يوسف عوناً مادياً إلى مؤسسة الدراسات الفلسطينية ساهم في تغطية نفقات هذه الدراسة.

والأخ المناضل أبا عبد الله، خليل سمّور (ابن المختار)، الذي كان من قادة المدافعين عن دير ياسين ومن آخر من غادرها بعد نفاد الذخيرة وتوقُّف القتال، والذي اجتمعت به سنة ١٩٨٨ في بلدة الزرقاء في الأردن ساعات طويلة استعرض معي خلالها، على الخريطة، مراحل المعركة ساعة فساعة ودوره ودور إخوانه فيها، وما شاهده وسمعه في أثنائها، فأوضح لي بذلك الكثير من الجوانب التي غمضت عليّ.

والأخ الأستاذ أحمد خليفة، كبير الباحثين في الشؤون الإسرائيلية

في مؤسسة الدراسات الفلسطينية، الذي أجرى سنة ١٩٨٨ تسع مقابلات مطولة إضافية مع ناجين من دير ياسين يقيمون بالأردن، ثلاثة منهم نساء، وعرّفني إلى الأخ أبي عبد الله، خليل سمّور، ونقل عن العبرية الفصل الخاص بدير ياسين في الكتاب المرجعي عن حرب ١٩٤٨ للمؤرخ الإسرائيلي اليميني التصحيحي، يوري ملشتاين، الصادر سنة ١٩٩١. وكان الأستاذ خليفة أنجز، قبلاً، عمله الفذ في ترجمة الرواية الرسمية الإسرائيلية اليسارية لحرب ١٩٤٨، التي أصدرتها مؤسسة الدراسات الفلسطينية سنة ١٩٨٤.

وإني مدين بالشكر أيضاً للأخت الآنسة رضى سلمان، الباحثة القديرة السابقة في الشؤون العبرية في مؤسسة الدراسات الفلسطينية؛ إذ جمعت بدقة كل البيانات بشأن دير ياسين التي تبودلت بين قيادات كل من المنظمتين الإرهابيتين إيتسل (الإرغون) وليحي (شتيرن) من ناحية، والهاغاناه من ناحية أُخرى، عقب الواقعة سنة ١٩٤٨. كما أنها رصدت المقابلات والحوارات الرئيسية في المجلات والروايات الإسرائيلية، خلال السنين التالية، مع قادة هذه المنظمات الذين اشتركوا في الهجوم على دير ياسين، ونقلتها جميعاً إلى العربية؛ وللأخ الدكتور نديم روحانا، الخبير بأوضاع العرب في إسرائيل، الذي قام بتحديد وترجمة الفصول والمقاطع المتعلقة بدير ياسين لإحدى عشرة شخصية إسرائيلية من العسكريين ورجال الاستخبارات صدرت بالعبرية منذ سنة ١٩٤٨؛ فلولا ما قدمه السابق ذكرهم من عون لما تمكنتُ من إتمام هذه الدراسة.

وأشكر عظيم الشكر الأخ الأستاذ محمود سويد، مدير مكتب ومقر مؤسسة الدراسات الفلسطينية في بيروت، على توليه التنسيق المحكم بين المؤلف وأجهزة المؤسسة كافة خلال جميع مراحل إنجاز هذه الدراسة؛ والدكتور محمد علي الخالدي، الأستاذ في الجامعة الأميركية في بيروت، على الملاحظات السديدة التي أبداها عند مراجعته مخطوطة الدراسة؛ والأخ السيد سمير الديك، رئيس قسم التحرير في مؤسسة

الدراسات، الذي قام بالضبط اللغوي والتحريري للنص بالصرامة التي اشتهر بها؛ والأخت الآنسة منى نصولي، أمينة «مكتبة الدكتور قسطنطين زريق» في المؤسسة، التي لم يُطلب منها أي وثيقة عن دير ياسين إلاّ اكتشفتها؛ والأخت السيدة مي حلواني، مديرة مكتب مجلس أمناء المؤسسة، التي أعادت بهمّة جهادية طباعة المخطوطة المرة تلو المرة؛ والسيد زياد زيدان الذي أفرغ المقابلات المسجّلة وطبعها. والله أسأل أن يجزي الجميع عني خير الجزاء.

تمهيد

بدىء العمل في هذه الدراسة في أواسط الثمانينات. وكان الهدف آنذاك أن تصدر في الذكرى الأربعين للواقعة، غير أن الحاجة إلى المزيد من المعلومات والوثائق اضطرتنا إلى تأجيل الإصدار ريثما تُستكمل النواقص. وصدرت الدراسة في صيغة أولية في الذكرى الخمسين لدير ياسين ضمن سلسلة من عشرة مقالات للمؤلف نشرتها صحيفة «الحياة» (لندن) ابتداء من ٩ نيسان/أبريل ١٩٩٨. ولقد اعتمدنا نص «الحياة» أساساً، لكننا أجرينا عليه تعديلات وإضافات كثيرة، وأردفناه بمئتين وثلاث وثمانين حاشية وبملاحق ليتكون، من ذلك، هذا الكتاب الذي بين يدي القارىء العربي اليوم.

وتتميز هذه الدراسة مما سبق أن نُشر إلى الآن في شأن دير ياسين، بالعربية أو العبرية أو بغيرهما من اللغات، بأنها تقوم على ثلاثين شهادة تفصيلية لشهود عيان من الناجين من دير ياسين، رجالاً ونساء، شيوخاً وصغاراً، بما في ذلك شهادات لمقاتلين ممن دافعوا عنها في أثناء الهجوم عليها.

وضممنا إلى هذه الشهادات شهادات من الأصول العبرية لقادة وأفراد من قوات المنظمتين الإرهابيتين، إيتسل (الإرغون) وليحي (شتيرن)، ومن قوات البلماح والهاغاناه، راقبوا سير الأحداث خلال الهجوم أو اشتركوا فعلاً فيه أو دخلوا دير ياسين في الأيام التالية مباشرة له.

ولقد ربطنا جميع هذه الشهادات بعضها إلى بعض، وأردفناها بشهادة ممثل الصليب الأحمر الدولي الذي دخل دير ياسين يوم الأحد الواقع فيه ١١ نيسان/أبريل ١٩٤٨، وبوقائع اجتماع عسكري عُقد في

مقر المندوب السامي البريطاني في القدس في حينه، وبرواية للأحداث وردت في مذكرات المسؤول الفلسطيني الرئيسي في القدس، الدكتور حسين فخري الخالدي أمين سر الهيئة العربية العليا، نقلاً عن مذكراته المخطوطة، لتشكل هذه المواد جميعها سرداً متصلاً لسير الأحداث عشية الهجوم وخلاله وبعد انتهائه.

وتتميز هذه الدراسة، أيضاً، بأنها تعالج أحداث دير ياسين ضمن منظور عام لمسار القتال في الأسابيع الأخيرة من الانتداب البريطاني، وللاستراتيجية الصهيونية السياسية والعسكرية حيال التقسيم، وخصوصاً تجاه القدس، ولموقع ما حدث في دير ياسين وأثره في مسار القتال عامة، ولموقف كل من اليمين الصهيوني واليسار الصهيوني من واقعة دير ياسين، ولعلاقة ذلك بنهج قواتهما القتالي حينذاك. ولقد أشرنا في الحواشي إلى مصدر كل معلومة أو كل اقتباس من أقوال شهود العيان من العرب أو اليهود. والله وليّ التوفيق.

الفصل الأول

«لا تبكينّ الآن

لأن الصراخ والبكاء سيكون لاحقاً»

كان اليوم يوم جمعة، ٩ نيسان/أبريل ١٩٤٨، ولم يكن فجره قد انبلج حين انقضّت فجأة، وبمعرفة قيادة الهاغاناه، التابعة للوكالة اليهودية، قوات منظمتي شتيرن (ليحي) والإرغون (إيتسل) الإرهابيتين[١] على قرية مواجهة للضواحي اليهودية الغربية للقدس، على بعد أقل من خمسة كيلومترات من مقر حكومة الانتداب البريطانية السياسي والعسكري في عاصمة فلسطين. وما كادت شمس ذلك اليوم تغرب، بعد قتال عنيف دام أكثر من اثنتي عشرة ساعة واشتركت فيه، إلى جانب المهاجمين، وحدات من قوات البلماح الضاربة التابعة للهاغاناه، حتى تم للمعتدين ما عقدوا النية عليه واحتُلَّت القرية واستُشهد من سكانها (البالغ عددهم ٧٥٠ نسمة تقريباً) مئة شخص ونيف، معظمهم من الشيوخ والنساء والأطفال، وهُجِّر الناجون كافة ليدخلوا في شتات لا نهاية له، يحملون فيه إلى يوم الدين جروحاً نفسية لا تندمل لفقدان جدّ أو أب أو أخ أو أمّ أو ابنة أو حفيد أو بعضهم أو جلّهم خلال ساعات، وغدا اسم دير ياسين عبر الآفاق والعقود رمزاً لإفلاس بريطانيا العظمى المعنوي في فلسطين، ولدموية الصهيونية وبربريتها.

لم تكن دير ياسين أول قرية فلسطينية تعتدي عليها القوات الصهيونية، سنة ١٩٤٨، نسفاً وقتلاً؛ فقد سبقها، بالتسلسل الزمني، كل من: الطيرة (قضاء حيفا)؛ الخصاص (صفد)؛ قزازة (الرملة)؛ بلد الشيخ وأبو شوشة وشفاعمرو (حيفا)؛ تمرة (الناصرة)؛ عرب صقرير (غزة)؛ سعسع (صفد)؛ بيار عدس وأبو كبير (يافا)؛ الحسينية (صفد).[٢] كما لم تكن دير ياسين أول قرية فلسطينية تحتلها القوات الصهيونية سنة ١٩٤٨ وتطرد سكانها منها بعد أن استُشهد منهم من استُشهد؛ فقد سبقها كل من خُلدة ودير محيسن (الرملة)، ولفتا والقسطل (القدس).[٣]

كذلك لم تكن دير ياسين آخر قرية فلسطينية يصيبها ما أصابها، سنة ١٩٤٨، من قتل ونسف وتهجير واحتلال؛ فقد تبعها خلال السنة ذاتها أربعمئة قرية ونيف دُرست معالمها ومنازلها درساً، ووُزِّعت أراضيها ومزارعها نهباً حراماً على سكان مستعمرات يهودية أُنشئت على أنقاضها.[٤] فلماذا اكتسبت دير ياسين، من دون غيرها من قرى فلسطين المذكورة، هذه «المكانة»؟

الأجوبة التي سترد تفصيلاتها لاحقاً متعددة، أهمها ما يلي:

أولاً، تميزت دير ياسين من معظم شقيقاتها بقربها من عاصمة البلد، الأمر الذي مكّن من الاطلاع على ما جرى فيها بكل دقائقه؛ فقد دخل القرية ممثل الصليب الأحمر الدولي المقيم بالقدس صباح يوم الأحد، الواقع فيه ١١ نيسان/أبريل، لينقل إلى العالم الخارجي ما شاهده، قبل أن ينجح المعتدون في إخفاء معالم جريمتهم. كما أن المعتدين أنفسهم نقلوا، مساء يوم الجمعة ذاته (٩ نيسان/أبريل)، نحو ١٥٠ من «أسراهم» من الشيوخ والأطفال والنساء في شاحنات، وطافوا بهم في موكب نصر في الأحياء اليهودية قبل قذفهم على حدود الأحياء العربية ليرووا للسلطات الحكومية والفلسطينية المركزية، ولممثلي الصحافة العربية والدولية، معاناتهم الفردية والعائلية.

ثانياً، عقد قادة المنظمتين الإرهابيتين شتيرن والإرغون في القدس، الساعة الثامنة من مساء يوم الجمعة (٩ نيسان/أبريل) ذاته، مؤتمراً صحافياً دعوا إليه ممثلي الصحف والإذاعات الأميركية من دون غيرهم، وتباهوا فيه بنصرهم «العسكري» وبأنهم قاموا باحتلال «أول» قرية فلسطينية، كما تباهوا باشتراك قوات البلماح في الهجوم ـ وهو ما أحرج الوكالة اليهودية كل الإحراج ـ وذكروا كذباً أنهم قضوا على ٢٤٥ عربياً، وهو رقم تناقلته فوراً الإذاعات الحكومية وكذلك محطات الإذاعة في

العواصم العالمية والعربية، بما في ذلك إذاعة الـ «بي. بي. سي.» اللندنية.

ثالثاً، اضطرت الوكالة اليهودية، في إثر ضجة الاستنكار العالمية التي قامت، إلى تكذيب اشتراك قواتها ـ أي قوات البلماح ـ في الهجوم، وهو ما حدث فعلاً كما ذكرنا. واضطرت أيضاً إلى توجيه برقية اعتذار إلى الملك عبدالله (أنظر الملحق الخامس)، عقبتها برقية اعتذار شخصية إليه من دافيد بن ـ غوريون، وتصاريح تشجب أفعال «المنشقين» (أي أعضاء عصابتي شتيرن والإرغون) من قبل كبار الحاخامين، الأمر الذي ركز الأنظار على هول ما حدث. ودخلت القيادة العمالية السياسية اليهودية منذئذ مع قيادة المنظمتين الإرهابيتين وخليفتهما حزب الليكود اليميني في جدل عنيف، لم ينته إلى يومنا هذا، بشأن دور كل طرف في الهجوم على دير ياسين، وفيما يتعلق بأثر ما قامت به المنظمتان فيها يوم ٩ نيسان/أبريل في مجمل سير الأحداث سنة ١٩٤٨، وفي شأن ما تسميه القيادة العمالية، تدليساً، «طهارة السلاح العبري».

هذه أهم أسباب تسليط الأضواء على دير ياسين تاريخياً؛ إذ إن قوات الوكالة اليهودية (الهاغاناه والبلماح) دمّرت بصمت مئات القرى التي ذكرنا، بعيداً عن الضجيج الإعلامي والرقابة الصحافية، وهو صمت لم يشوبه سوى دويّ الانفجارات وأنين الضحايا الأبرياء. بيد أن لدير ياسين أبعاداً أُخرى، في نظرنا؛ فهي مثال صارخ لرياء القيادة الصهيونية السياسية والعسكرية بالنسبة إلى «طهارة» سلاح دنّسته داخل دير ياسين وخارجها، وقبل دير ياسين وبعدها. وما جرى في دير ياسين ذلك اليوم إنْ هو إلاّ اختزال لمجمل ما حدث في سائر القرى الأربعمئة ونيف الشهيدة. ودير ياسين إنما هي النموذج للصدام بين المنظمات الدولية الصهيونية ذات الطاقات المادية والبشرية الضخمة، وبين أرباب عائلات قروية متواضعة يدافعون عن عقر الدار وعتبتها، وعن الأم والزوجة والبنين والبنات

والأحفاد. ودير ياسين غدت، إلى جانب هذا وذاك، رمزاً لتقصير القيادات الفلسطينية والعربية الفادح والفاضح نتيجة سماحها للعدو باستفراد قرى فلسطين قرية قرية، ومدنها مدينة مدينة، سماحاً لا عذر له ولا غفران.

وبعد، فإذا اكتسبت دير ياسين، وحدها بين قرى فلسطين، هذه الرمزية **كضحية** ـ على غرار ما يحدث كثيراً في الحروب والثورات ـ لواقعة معينة، كما اكتسبت ذلك مثلاً واقعة جاليانْوَلاّ (Jallianwalla) في الهند (١٩١٩)، أو غويرنيكا (Guernica) في الحرب الأهلية الإسبانية، أو كوفنتري (Coventry) في بريطانيا خلال الحرب العالمية الثانية، أو شارب فيل (Sharpeville) (١٩٦٠) في جنوب إفريقيا، أو «الأحد الدموي» (Bloody Sunday) (١٩٧٢) في إيرلندا الشمالية، فقد حان الوقت لتكتسب دير ياسين أيضاً رمزيتها عن جدارة وحق **كمقاومة بطلة**؛ ذلك بأن أهاليها، على الرغم من عنصر المفاجأة وعدم وصول أي نجدات إليهم، قاوموا بإمكاناتهم المحدودة جداً نسبياً القوى المهاجمة مقاومة بطولية رائعة اضطرت المنظمتين الإرهابيتين إلى الاستنجاد بقوات البلماح لإخراجهما من ورطتهما العسكرية، كما سنبين لاحقاً.

طبعاً، لم تنفرد دير ياسين بين قرى فلسطين بروعة صمودها ومقاومتها؛ فقد شاركتها في ذلك قرى كثيرة نذكر منها، على سبيل المثال لا الحصر: إجزم وجبع وعين غزال (حيفا)؛ سلمة والعباسية وأبو كبير وتل الريش ويازور (يافا)؛ خُلدة ودير محيسن (الرملة).[٥] والواقع أنه لو قاومت القرى الأُخرى، في معظمها، كما قاومت دير ياسين وشقيقاتها لكان الوضع اختلف عما انتهى إليه في ريف فلسطين سنة ١٩٤٨. لذلك ينبغي لنا أن ننحني في ذكرى يوم الجمعة (٩ نيسان/أبريل ١٩٩٨) احتراماً لشهداء دير ياسين، ونحن بذلك إنما ننحني احتراماً لسائر شهداء البلد أجمعين.

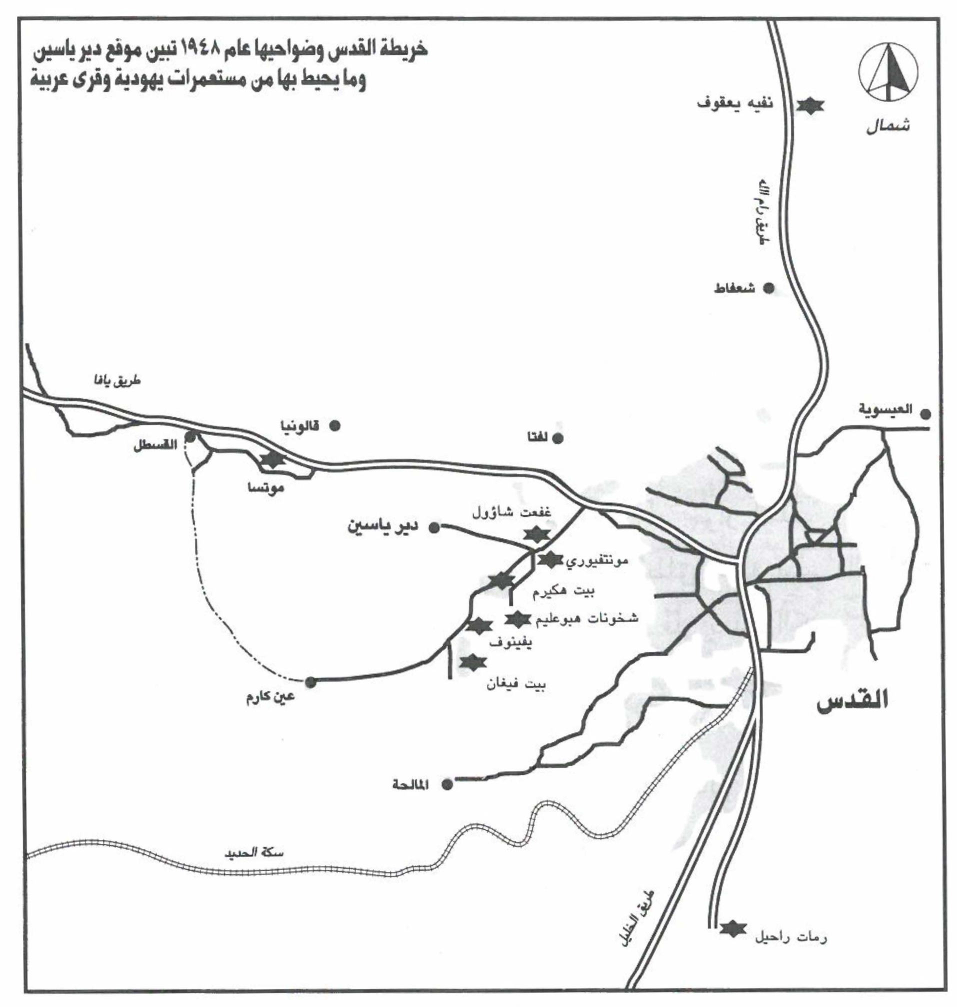
* * *

كانت دير ياسين تقع على المنحدرات الشرقية لتل يبلغ علو قمته ٨٠٠ متر، وكانت تواجه الضواحي الغربية اليهودية للقدس التي كانت أقربها (مستعمرة غفعت شاؤول) تبعد عنها ١٢٠٠ متر تقريباً، والتي تألفت من ست مستعمرات هي من الشمال إلى الجنوب: غفعت شاؤول، مونتفيوري، بيت هكيرم، شخونات هبوعليم، يفينوف، بيت فيغان، شكلت سداً منيعاً بين دير ياسين والقدس (أنظر الخريطة رقم ١، ص ٨). وأشرفت دير ياسين على مشهد واسع من الجهات كافة، وفصل بينها وبين المستعمرات اليهودية واد ذو مصاطب غُرست فيها أشجار اللوز والتين والزيتون وكروم العنب. وارتبطت دير ياسين بالعالم الخارجي بواسطة طريق ترابية واحدة تسلكها السيارات شمالي الوادي، وتمر عبر غفعت شاؤول، ومنها إلى القدس وغيرها. وكانت أقرب القرى العربية إليها قرية عين كارم، الواقعة على بعد كيلومترين تقريباً إلى الجنوب الغربي منها والدرب بينهما صعب ووعر.

وليست كلمة «دير» بغريبة عن قرى فلسطين أو جوار القدس. وكان ثمة في طرف القرية الجنوبي الغربي طلل كبير يُطْلَق عليه اسم «الدير» فقط. أمّا الشيخ ياسين، الذي تنتسب القرية إليه، فلا نعلم الكثير عنه. بيد أنه كان في القرية جامع يعرف باسمه، يضم ضريحه ومقامه ومضافة وساحة كبيرة تقام فيها حفلات الأعراس وليالي السمر.[٦]

بلغت مساحة أراضي دير ياسين ٢٧٠٠ دونم، كان أكثر من نصفها مزروعاً سنة ١٩٤٨. وكانت هذه الأراضي غنية بالحجر الكلسي المفضّل للبناء. وهكذا بازدهار حركة البناء في القدس في إبان الانتداب ازدهرت صناعة قلع الحجارة وصقلها وتكسيرها في دير ياسين، فانتشرت المحاجر والكسّارات على جانبي الطريق الموصلة إلى مستعمرة غفعت شاؤول، وانتقل اقتصاد دير ياسين في أكثره من الزراعة وتربية المواشي إلى هذه الصناعة.[٧]

الخريطة رقم ١



المصدر: جريدة «الحياة» (لندن)، بالتشاور مع المؤلف.

ورافق هذا التحول نهضة اجتماعية ثقافية في القرية، رعاها الشيخ محمود صلاح (١٨٨٧ ـ ١٩٤٢)، وهو من أبنائها الأثرياء، الذي شيّد جامعاً باسمه في الأعالي الغربية من القرية. وتم تأليف «لجنة إصلاح» ـ قوامها الحاج أسعد رضوان والحاج جابر وحسين زيدان، إضافة إلى الشيخ محمود نفسه ـ أشرفت على صناديق توفير وإقراض، وحددت المهر لتوفير فرص متكافئة في الزواج بين الغني والفقير، إذ اشتهرت دير ياسين في القرى المجاورة بـ «الجيزة الياسينية». وفي سنة ١٩٤٠، أُنشئت مدرسة ابتدائية للذكور، وتبرع أهل القرية بالأرض وثمن الحجارة وضموا إليها ملعباً لكرة القدم. كما أُنشىء، في سنة ١٩٤٣، ناد اجتماعي (نادي النهضة) ومدرسة للإناث في جامع الشيخ ياسين.[٨]

وكانت دير ياسين اشتركت، في سنة ١٩٣٥، مع جارتها العربية قرية لفتا، التي كانت تبعد عنها كيلومترين شمالاً في الطرف الآخر من غفعت شاؤول، في تأسيس شركة باصات باسم «شركة باصات لفتا ودير ياسين». وكان الباص يصل من القدس ثلاث مرات يومياً وبانتظام، كما كانت تصل معه الصحف اليومية.[٩] وعلى الرغم من قرب دير ياسين من القدس، فإن الحكومة البريطانية لم تمدها بالكهرباء أو الماء، خلافاً ـ طبعاً ـ للمستعمرات المجاورة. ومع ذلك كان في القرية ثلاثة أجهزة راديو تعمل بواسطة بطارية السيارة، كما كان فيها جهاز هاتف واحد في كسّارة أحمد أسعد رضوان عند أول الطريق الترابية بالقرب من غفعت شاؤول.[١٠] هذا وكان في القرية، أيضاً، فرن وثلاثة دكاكين.[١١]

وبازدهار دير ياسين زاد عدد سكانها من ٤٢٨ نسمة سنة ١٩٣١ إلى ٧٥٠ نسمة سنة ١٩٤٨، وارتفع عدد منازلها في الفترة ذاتها من ٩١ منزلاً إلى ١٤٤ منزلاً.[١٢] وتنوعت المهن التي عمل أهلها فيها، فمنهم معلمون في مدارس قروية، وكتبة في الدوائر الحكومية، ونجارون وسائقو شاحنات ونُدُل في معسكرات الجيش البريطاني. واشتهر بعض

الأهالي بالتجبير.(١٣)

تألف أهالي دير ياسين من ثلاث حمائل رئيسية هي: حمولة دار عقل، وحمولة دار شحادة، وحمولة دار حميدة. وتفرعت من الأولى عائلات: زهران ورضوان وعطية؛ ومن الثانية: زيدان وخليل وسمّور وعيد وجابر؛ ومن الثالثة: حامد وعليا.(١٤) واتسمت العلاقة بين الحمائل والعائلات بتماسك ووئام غير مألوفين، الأمر الذي تجسد بوجود مختار واحد للقرية على التوالي منذ نهاية القرن التاسع عشر. وكان آخر مختار لدير ياسين محمد إسماعيل سمّور، الذي تولى منصبه سنة ١٩٢٥ واستمر فيه لغاية ٩ نيسان/أبريل ١٩٤٨.(١٥)

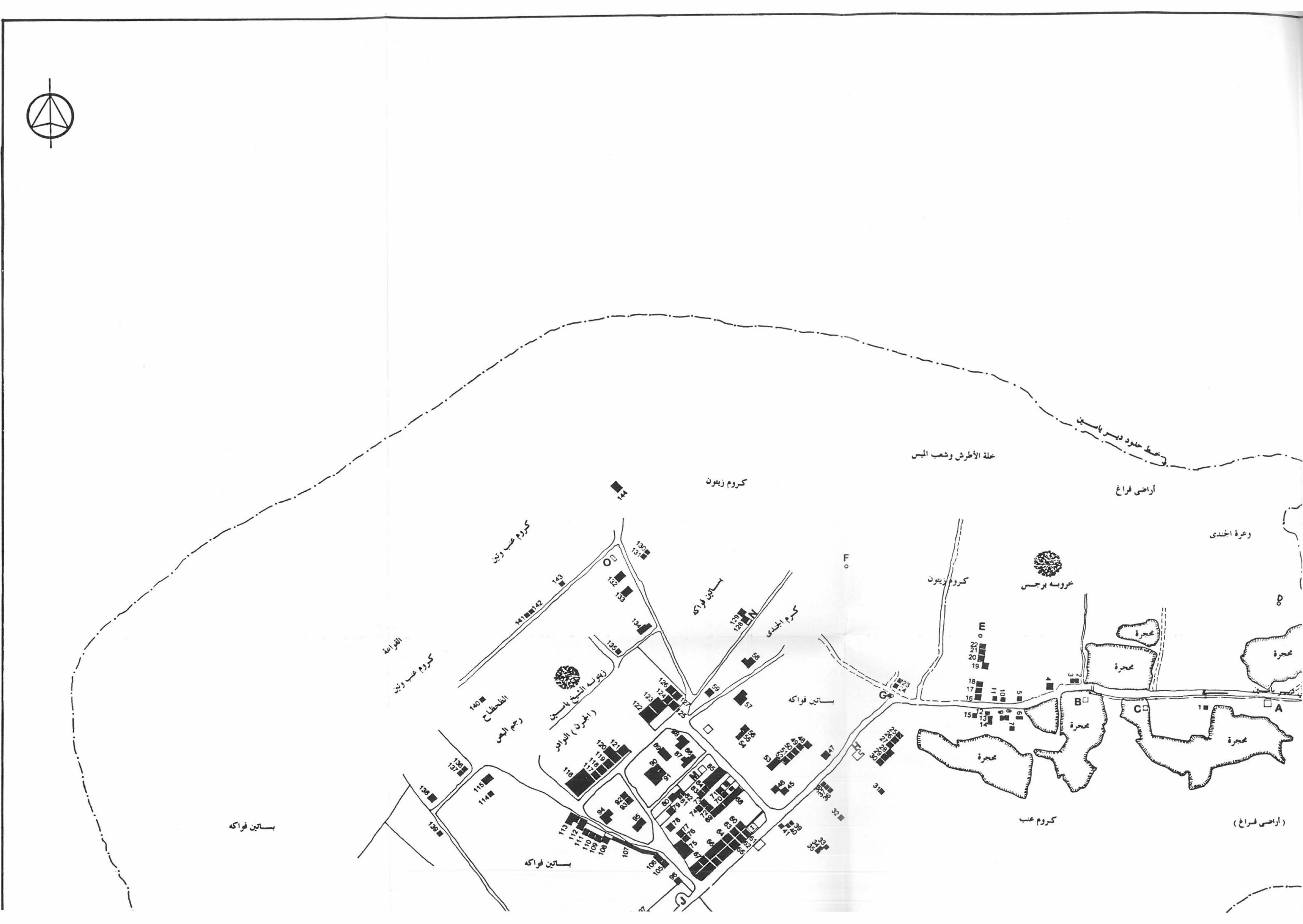
وانتشر معظم منازل القرية، كما يلاحَظ من الخريطة رقم ٢، في اتجاه الغرب على منحدرات التل فوق الوادي الفاصل بينها وبين المستعمرات اليهودية المقابلة. وامتدت طريق ترابية من الجنوب إلى الشمال بمحاذاة أعلى الوادي، من مقبرة القرية وأمام واجهات المنازل لتلتقي، عند زاوية قائمة، الطريقَ الموصلة شرقاً إلى غفعت شاؤول والقدس. وتوزعت المنازل في هذا القسم الغربي الرئيسي من القرية حول قلبها المعروف بـ «الحارة»، وهي أقدم أحياء القرية وأشدها اكتظاظاً. ثم أخذت تنتشر صعوداً في اتجاه الغرب إلى أن تصل إلى أعلى منزل فيها، وهو منزل الشيخ محمود صلاح (144)*. أمّا سائر منازل القرية فانتشر في القسم «الشرقي» منها بمحاذاة الطرف المقابل للطريق الجنوبية الشمالية التي ذكرناها، ابتداء من جامع الشيخ ياسين (44) لغاية الزاوية القائمة، حيث توزعت شرقاً على جانبي الطريق الموصلة إلى المحاجر وغفعت شاؤول. وكانت المنازل جميعها مبنية بالحجارة، ومتينة البنيان، وغليظة الحيطان ـ كما يجدر بقوم صناعتهم قلع الحجارة وصقلها. ويُذْكَر أن عائلات القرية حرصت على بناء منازل أفرادها بعضها قرب بعض. وهكذا

* الرقم يشير إلى المنزل. أنظر أيضاً أدناه صفحة ٥٤، الحاشية الثانية.

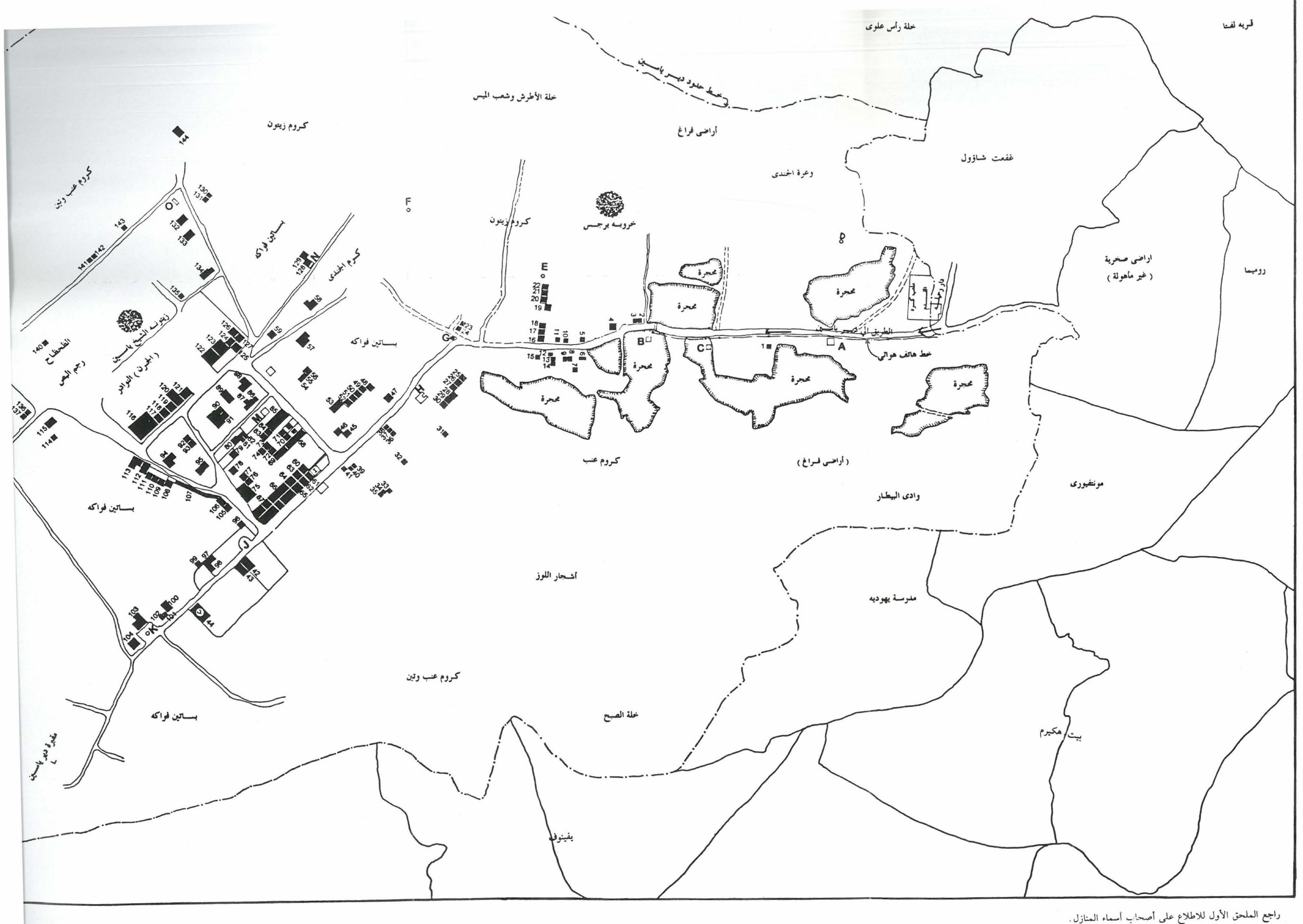
ففي الناحية الشرقية، مثلاً، كانت المنازل 19-22 تخص آل زهران، و25-30 تخص آل سمّور. وفي «الحارة» كانت المنازل 61-63 و68-71 تخص آل عيد، و65-67 تخص آل عطية. بينما في الناحية الغربية العليا كانت المنازل 122-129 تخص آل زيدان، وهكذا.

مرت العلاقة بين دير ياسين وجيرانها اليهود بمراحل متنوعة شأنها في ذلك شأن سائر البلد، بدءاً بعلاقات حسن جوار أيام العثمانيين ما لبثت أن اتسمت بتأزم متزايد نتيجة نمو الأطماع الصهيونية وفي إثر الانتداب البريطاني، ثم تحولت إلى عداء مستحكم انفجر في الثورة الكبرى ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩. وتميزت الأربعينات بركود نسبي في العلاقات العربية ـ اليهودية في فلسطين بسبب الحرب العالمية الثانية والصدام الصهيوني ـ البريطاني الذي عقبها. وخلال هذه الفترة نمت العلاقات الاقتصادية بين دير ياسين وأطراف يهودية محورها نتاج محاجر القرية. كما فرضت سيطرة اليهود على الطريق الوحيدة الموصلة بين دير ياسين والخارج نوعاً من التعايش بين الطرفين. وفي إثر قرار التقسيم الصادر عن هيئة الأمم في ٢٩ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٤٧، واندلاع القتال في فلسطين بأسرها، أخذ التوتر في العلاقات بين دير ياسين والمستعمرات المجاورة يتصاعد نتيجة الصدامات العنيفة بين العرب واليهود داخل القدس، وفي الريف المحيط بها.

اقترب الخطر من دير ياسين ذاتها أكثر فأكثر عندما شنت القوات الصهيونية غارات متواصلة، خلال كانون الأول/ديسمبر ١٩٤٧ وكانون الثاني/يناير ١٩٤٨، على جارتها العربية إلى الشمال ـ لفتا (شريكتها في شركة الباصات) ـ وعلى حيّين عربيين في الطرف الآخر من غفعت شاؤول في اتجاه القدس هما الشيخ بدر وروميما، وأُرغم أهاليهما جميعاً على هجر منازلهم بعد نسف الكثير منها.[١٦] وكان لسقوط لفتا وإخلائها بُعَيْد الحيّين المذكورين أثر كبير في نفوس سكان دير ياسين



خط حدود دير ياسين
خلة الأطرش وشعب الميس
كروم زيتون
أراضي فراغ
وعرة الجندي
خروبة برجس
كروم زيتون
كروم عنب زيتي
كروم عنب زيتي
القراعة
الطحطاح
رجم البص
زيتونة الشيخ ياسين
(الجرن) البوادر
بساتين فواكه
كروم الجندي
بساتين فواكه
بساتين فواكه
بساتين فواكه
محجرة
محجرة
محجرة
محجرة
محجرة
محجرة
محجرة
كروم عنب
(أراضي فراغ)
A
B
C
E
F
G
M
N
O



راجع الملحق الأول للاطلاع على أصحاب أسماء المنازل.

لقرب هذه المواقع من قريتهم، ولكون لفتا تكبرها سكانياً بخمسة أضعاف. بيد أن أخطر العواقب المباشرة على دير ياسين، نتيجة هذه التطورات، كان إغلاق الطريق الرئيسية إلى القدس عبر غفعت شاؤول، الأمر الذي عزلها عن المدينة، فلم تبق وسيلة للاتصال بالعاصمة إلاّ السير على الأقدام مسافة ١٢ كيلومتراً عبر قريتي عين كارم والمالحة جنوبي غربي القدس؛ وهي رحلة تستغرق ست ساعات تقريباً، بينما كانت تتم بالباص في خمس دقائق.[١٧]

وفي إثر هذه الأحداث تألفت لجنة طوارىء في القرية من سبعة أشخاص تمثل حمائلها الثلاث ـ عقل وشحادة وحميدة ـ قوامها الحاج أسعد رضوان وابنه أحمد رضوان ومحمد زهران (عقل)، ومحمد زيدان وحسين زيدان والحاج جابر (شحادة)، ويوسف أحمد عليا (حميدة).[١٨] وقررت اللجنة سياسة الاعتماد على النفس وتنظيم الدفاع عن القرية، كما قررت سياسة عدم التحرش بالعدو تجنباً لإعطائه الذريعة للهجوم على القرية. وشملت تدابير الدفاع إرسال وفد إلى مصر لشراء السلاح من الصحراء الغربية من مخلفات معارك الحرب العالمية الثانية، وتدريب الشبان على استعمال السلاح، وإقامة الاستحكامات في المواقع الاستراتيجية في القرية، ونظام حراسة ليلية وتفتيش على الحرّاس.[١٩]

وكان من أهم قرارات اللجنة هذه حفر خندق يقطع الطريق الرئيسية الموصلة إلى غفعت شاؤول لعرقلة تقدم المصفحات اليهودية. وقد تم اختيار موقع الخندق بين محجرين على جانبي الطريق، على بعد نحو ٥٠٠ متر من الزاوية القائمة عند اتصال هذا الطريق بالطريق الجنوبية الشمالية التي كانت تمر أمام الحارة كما سبق أن ذكرنا (راجع أعلاه الخريطة رقم ٢). ويروي خليل سمّور، ابن المختار محمد سمّور وأحد مقاتلي القرية الأشداء، وكان يعمل نادلاً في معسكر بريطاني، أن عمق الخندق كان مترين وكذلك كان عرضه.[٢٠] كما يروي محفوظ سمّور،

المدرّس في مدرسة ابتدائية في قرية رمّون (١٢ كلم شرقي رام الله)، والذي وصل إلى دير ياسين عبر عين كارم مساء يوم الأربعاء الواقع فيه ٧ نيسان/أبريل ليزور والديه وليعطيهما الراتب الذي قبضه عن شهر آذار/ مارس، أن الخندق مُوِّه بأغصان تعلوها طبقة ترابية.[٢١] ومن جهة أُخرى، قام علي قاسم حميدة، الذي كان اشترك في ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩، بتدريب الشباب على استعمال السلاح.[٢٢]

وفعلاً، ذهب الوفد إلى مصر. ويروي أحد أعضائه، حسين عطية،[٢٣] أنه حمل معه ١٠٠٠ جنيه فلسطيني (أي استرليني)، واتصل بالسماسرة فأخذوه إلى بلدة المنصورة حيث اشترى عشر بنادق مع ذخيرتها، لكن الاستخبارات المصرية اعتقلته وصادرت السلاح والذخيرة، ثم ما لبثت أن أفرجت عنه بعد اتصالات بقيادة الجيش المصري، الذي تولى فيما بعد نقل السلاح إلى بلدة رفح على حدود فلسطين حيث سُلِّم إليه فوضعه داخل صناديق في سيارة شحن تنقل خضروات إلى القدس، ومنها إلى عين كارم، ومن عين كارم بواسطة الدواب إلى دير ياسين حيث وصل يوم الأحد الواقع فيه ٤ نيسان/أبريل. ويقول خليل سمّور إن سعر البندقية الواحدة وصل إلى ٥٥ جنيهاً، وهو ما يعادل راتب شهر لكبار موظفي حكومة الانتداب العرب، بينما بلغ سعر المخزن الواحد للبندقية (خمس رصاصات) ٥٠ قرشاً، وهو ما يعادل أجرة يوم كامل للعامل العربي العادي.[٢٤] وكانت نساء القرية قد تبرعن بحليهن لشراء السلاح.[٢٥]

في ٢٢ آذار/مارس، تقدمت مجموعة يهودية مسلحة نحو كسّارة أحمد أسعد رضوان، وهي أقرب موقع للقرية من جهة غفعت شاؤول، وكان يحرسها صالح رضوان حاملاً بندقية. وكان هدف المجموعة طرد الحارس والاستيلاء على الكسّارة فتصدى لها صالح، وجرى تبادل إطلاق نار وجُرح اثنان من اليهود. وهرعت النجدات إلى الطرفين، وتدخلت

لجنة طوارىء القرية لتهدئة شبابها وضبطهم، بحسب رواية داود زيدان،[٢٦] وتدخلت الشرطة البريطانية وانسحب اليهود.

وكان حادث الكسّارة نذيراً بما هو آت، الأمر الذي جعل لجنة طوارىء القرية أكثر حرصاً على عدم استثارة العدو. فجرت عدة اتصالات بين أعضائها و«وجهاء» من غفعت شاؤول كانوا، كما يبدو، يتكلمون باسم الهاغاناه. وتم التفاهم، بحسب رواية خليل سمّور،[٢٧] بواسطة الحاج أسعد رضوان ويوسف أحمد عليا، من أعضاء اللجنة، على أن لا أحد من القرية يتعدّى كسّارة أحمد أسعد رضوان في اتجاه غفعت شاؤول، ولا يتعدّاها يهودي في اتجاه دير ياسين، وإلاّ أُطلقت النار على من يقوم بذلك. ويروي أحمد عيد[٢٨] أن اليهود عرضوا على المختار محمد سمّور اتفاق عدم اعتداء وهو في زيارة للقدس. ويروي خليل سمّور، ابن محمد، أن شخصاً من قبل الهاغاناه تسلل إلى القرية وهو يحمل مناشير بهذا المعنى، فأُخذ إلى بيت والده المختار، وأنه هو شخصياً (أي خليل) أعاده سالماً إلى غفعت شاؤول. وقد التزمت القرية، من جانبها، بنود هذا الاتفاق.[٢٩] ويروي موسى جابر أن فتاة يهودية ممزقة الثياب تسللت إلى القرية، بعد ذلك، فاعتقلها الحرس وأعادوها إلى المستعمرة سالمة. وتكرر الحادث بعد فترة، وأُعيدت فتاة أُخرى إلى المستعمرة سالمة، وكان جواب «وجهاء» غفعت شاؤول أن الفتاتين مختلّتان عقلياً.[٣٠] وأغلب الظن أن هدفهما كان التجسس على مواقع الحرس في القرية.

وفي ٣ نيسان/أبريل، بدأت معركة القسطل[٣١] (وهي قرية تقع على قمة مرتفع استراتيجي يسيطر على طريق يافا ـ القدس الرئيسي، وتبعد نحو كيلومترين إلى الشمال الغربي من دير ياسين، ويفصل بينهما واد سحيق) عندما احتلتها قوات البلماح. وبهذه الخطوة بدأ العدو عملية نحشون؛ وهي أولى العمليات في تنفيذ خطة «دال» (بالعبرية دالِتْ)

الكبرى التي وضعتها الهاغاناه بعد قرار التقسيم لإقامة الدولة اليهودية بقوة السلاح. وكان الهدف من عملية نحشون «تطهير» طريق يافا ـ القدس من كل القرى العربية القائمة على جانبيه، من السهل الساحلي غرباً إلى ضواحي القدس شرقاً. ورافق الهجومَ على القسطل هجوم ضخم على قرى السهل غربي باب الواد، بوّابة جبال القدس.(٣٢)

وتحتدم معركة القسطل طوال أيام ٤ و٥ و٦ و٧ نيسان/ أبريل. وفي صباح اليوم الواقع فيه ٧ نيسان/ أبريل يصل عبد القادر الحسيني إلى القدس، عائداً من دمشق خالي الوفاض، حانقاً غاضباً بعد فشل مهمته في الحصول على السلاح، ويتوجه تواً إلى القسطل عن طريق عين كارم ليصلها عصر ذلك اليوم، ويستشهد فيها في ٨ نيسان/ أبريل وهو يقود الهجوم المضاد لاستردادها.(٣٣) وكان منادٍ قد وصل إلى دير ياسين، في ٦ نيسان/ أبريل، ينادي ويستنجد بالقرى المحيطة لنجدة القسطل. وتَعْتبر دير ياسين أن ليس في وسعها إلاّ الاستجابة، فيتجه اثنا عشر مسلحاً منها إلى القسطل عبر عين كارم. ويروي خليل سمّور،(٣٤) وكان واحداً منهم، أنهم تلقوا هناك مع آخرين، قبل التوجه إلى القسطل، درساً مختزلاً في التكتيك القتالي من محاربين قدماء اشتركوا في ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩. ويقول: «دُرِّبنا على الزحف على الخطوط والخنادق وعدم الوقوف والتجمع.» وتشترك نجدة دير ياسين في معركة استرداد القسطل في ٧ ـ ٨ نيسان/ أبريل، ويشاهد أفرادها قدوم عبد القادر ورفاقه وكيف رفض دعوة عين كارم إلى الغداء أو حتى شرب القهوة فيها. ويُجرح منهم أربعة وهم يساعدون في حمل جثمانه لوضعه في المصفحة التي نقلته إلى القدس. ويعود رجال دير ياسين السالمون إلى قريتهم عصر اليوم الواقع فيه ٨ نيسان/ أبريل، ويشاهدون في عين كارم تجمعاً كبيراً لمجاهدين يستعدون لمواكبة جثمان عبد القادر. ويكون سكان دير ياسين قد تابعوا، بحسب رواية داود جابر،(٣٥) سير معركة القسطل من

سطوح منازلهم عبر الوادي السحيق. ويلفّ القرية شعور بالغمّ والقنوط لاستشهاد عبد القادر.

ويروي حسن أسعد رضوان: «كنا نسمع من غفعت شاؤول السكان سهرانين وفرحانين وجواً من المرح والفرح وقلنا هذا على سماع خبر استشهاد عبد القادر.»[٣٦] ويبكي بعض نساء دير ياسين رجالهن الذين جُرحوا في القسطل وأُرسلوا إلى مستشفى الرملة وغيره للمعالجة، فيزورهن أحد «اختيارية» دير ياسين، يوسف أحمد عليا، وهو عضو في لجنة الطوارىء، ليقول لهن ـ بحسب رواية أم عيد، زوجة محمد عيد: «لا تبكينّ الآن لأن الصراخ والبكاء سيكون لاحقاً.»[٣٧]

حواشي الفصل الأول

(١) الاسم الكامل بالعبرية لمنظمة شتيرن هو «لوحامي حيروت يسرائيل» (المقاتلون من أجل حرية إسرائيل)، وليحي هو الاسم المختصر لها، بينما شتيرن هو اسم عائلة مؤسسها (أبراهام شتيرن) الذي قتله البوليس البريطاني سنة ١٩٤٢. أمّا الاسم الكامل لمنظمة الإرغون فهو «إيرغون تسفائي ليئومي» (المنظمة العسكرية القومية)، وما إيتسل إلاّ الاسم المختصر لها.

(٢) راجع التفصيلات في: وليد الخالدي، «كي لا ننسى: قرى فلسطين التي دمرتها إسرائيل سنة ١٩٤٨ وأسماء شهدائها» (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٧)، تحت اسم كل قرية.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) د. شريف كناعنة ونهاد زيتاوي، «دير ياسين»، سلسلة القرى الفلسطينية المدمرة، رقم ٤٠ (بير زيت: جامعة بير زيت، ١٩٨٧)، ص ٩، ٢٥.

(٧) المصدر نفسه، ص ٢٨.

(٨) المصدر نفسه، ص ١٠، ٢٩ ـ ٣٠.

(٩) المصدر نفسه، ص ٢٧.

(١٠) مقابلة المؤلف مع خليل محمد سمّور (ابن المختار) في الزرقاء (الأردن)، شتاء سنة ١٩٨٨.

(١١) أنظر الخريطة العامة للقرية رقم ٢، ص ١٠ ـ ١١.

(١٢) الخالدي، مصدر سبق ذكره، ص ٦١٨. أنظر أيضاً الخريطة العامة للقرية رقم ٢، ص ١٠ ـ ١١، التي تظهر موقع كل منزل ومبنى، وكذلك الملحق الأول الذي يحدد صاحب كل منزل.

(١٣) كناعنة وزيتاوي، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠.

(١٤) اعتمدنا في هذا التصنيف للحمائل على الشجرة التي أعدها محفوظ سمّور، والتي وصلتنا عن طريق يوسف أسعد، وكلاهما من أبناء القرية. وللمزيد من التفصيلات أنظر الملحق الثاني، وكذلك: كناعنة وزيتاوي، مصدر سبق ذكره، ص ١٦ وما يليها.

(١٥) كناعنة وزيتاوي، مصدر سبق ذكره، ص ٩.

(١٦) أنظر، في شأن الهجمات الصهيونية على قرية لفتا والضواحي العربية المجاورة (روميما وخلّة الطرحة والشيخ بدر): عارف العارف، «النكبة: نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود»

(صيدا: المكتبة العصرية، ١٩٥٦)، الجزء الأول، ص ٧٦. وبحسب العارف، وقع أول هجوم على لفتا في ٢٧ كانون الأول/ديسمبر ١٩٤٧، وتبعه هجوم ثان في اليوم التالي. وقام اليهود، بعيد ذلك، بنسف معظم البيوت العربية الكائنة إلى الشرق من لفتا، فأحدث ذلك ذعراً في القرية الأمر الذي أدّى إلى إخلائها من السكان؛ فكان هذا أول حوادث رحيل السكان الجماعي عن منازلهم في قطاع القدس.

أنظر أيضاً تفصيلات هذه العمليات ودور منظمتي ليحي وإيتسل فيها في: يهودا سلوتسكي، «سيفر تولدوت ههاغاناه» (تاريخ الهاغاناه)، (بالعبرية)، (تل أبيب: إصدار عام عوفيد، ١٩٧٢)، المجلد الثالث، القسم الثاني، ص 1393؛ وفي الترجمة الكاملة لهذا الكتاب: أحمد خليفة (مترجم)، «حرب فلسطين ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨» (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨٤)، ص ٢٥٣. أنظر أيضاً قول سلوتسكي (ص 1546؛ وفي خليفة ص ٤٣٩): «استوجب تأمين المخرج الغربي للمدينة [القدس] إجلاء العرب عن روميما والشيخ بدر. وبعد ذلك هجر العرب أيضاً لفتا.»

(١٧) شهادة محفوظ عبد العزيز سمّور (أسعد): اضطر محفوظ، الذي كان يعمل مدرّساً في قرية رمّون الواقعة شرقي رام الله، إلى أن يسلك الطريق الالتفافية عبر القطمون (من أحياء القدس الغربية) فبيت صفافا، فالمالحة، فعين كارم كي يصل إلى قريته. واستغرقت رحلته هذه خمس ساعات سيراً على الأقدام.

(١٨) كناعنة وزيتاوي، مصدر سبق ذكره، ص ٥٠. أمّا بحسب شهادة خليل محمد سمّور (أسعد)، فإن أعضاء اللجنة كانوا: محمد سمّور (المختار)، وحسين زيدان، والحاج أسعد رضوان، والحاج جابر مصطفى، ويوسف أحمد عليا، وأبو علي صلاح.

(١٩) شهادة داود حسين زيدان (خليفة).

(٢٠) مقابلة المؤلف مع خليل محمد سمّور (ابن المختار) في الزرقاء (الأردن)، شتاء سنة ١٩٨٨.

(٢١) شهادة محفوظ عبد العزيز سمّور (أسعد).

(٢٢) شهادة أحمد الحاج خليل محمد عيد (خليفة)؛ شهادة داود حسين زيدان (خليفة).

(٢٣) شهادة حسين محمد عطية (أسعد).

(٢٤) مقابلة المؤلف مع خليل محمد سمّور (ابن المختار) في الزرقاء (الأردن)، شتاء سنة ١٩٨٨.

(٢٥) شهادة أم عيد، زوجة محمد مصطفى عيد (خليفة).

(٢٦) شهادة داود حسين زيدان (خليفة).

(٢٧) شهادة ابن المختار، خليل محمد سمّور (خليفة).

(٢٨) شهادة أحمد الحاج خليل محمد عيد (خليفة).

(٢٩) شهادة ابن المختار، خليل محمد سمّور (خليفة).

(٣٠) شهادة موسى محمد موسى جابر (خليفة).

(٣١) أنظر، في شأن معركة القسطل: بهجت أبو غربية، «في خضمّ النضال العربي الفلسطيني» (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٣)، ص ٢٠٤؛ العارف، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٦؛ وليد الخالدي، «خمسون عاماً على تقسيم فلسطين (١٩٤٧ ـ ١٩٩٧)» (بيروت: دار النهار للنشر، ١٩٩٨)، ص ١١٦.

(٣٢) أنظر، في شأن عملية نحشون والخطة دال: الخالدي، «خمسون عاماً...»، مصدر سبق ذكره، ص ١١٤؛

Walid Khalidi, «Plan Dalet: Master Plan for the Conquest of Palestine,» *Journal of Palestine Studies*, Vol. XVIII, No. 1, Autumn 1988, pp. 4-70;

أنظر أيضاً الرواية الإسرائيلية الرسمية للخطة دال ولعملية نحشون في: سلوتسكي، مصدر سبق ذكره، ص 1472 وما يليها، 1559 وما يليها؛ وفي الترجمة الكاملة لهذا الكتاب: خليفة، مصدر سبق ذكره، ص ٣٤٦ وما يليها، ٤٥٦ وما يليها.

(٣٣) أنظر، في شأن استشهاد عبد القادر الحسيني: أبو غربية، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٤ وما يليها.

(٣٤) شهادة ابن المختار، خليل محمد سمّور (خليفة).

(٣٥) شهادة الحاج داود جابر مصطفى (خليفة).

(٣٦) شهادة حسن أسعد رضوان (أسعد).

(٣٧) شهادة أم عيد، زوجة محمد مصطفى عيد (خليفة).

الفصل الثاني

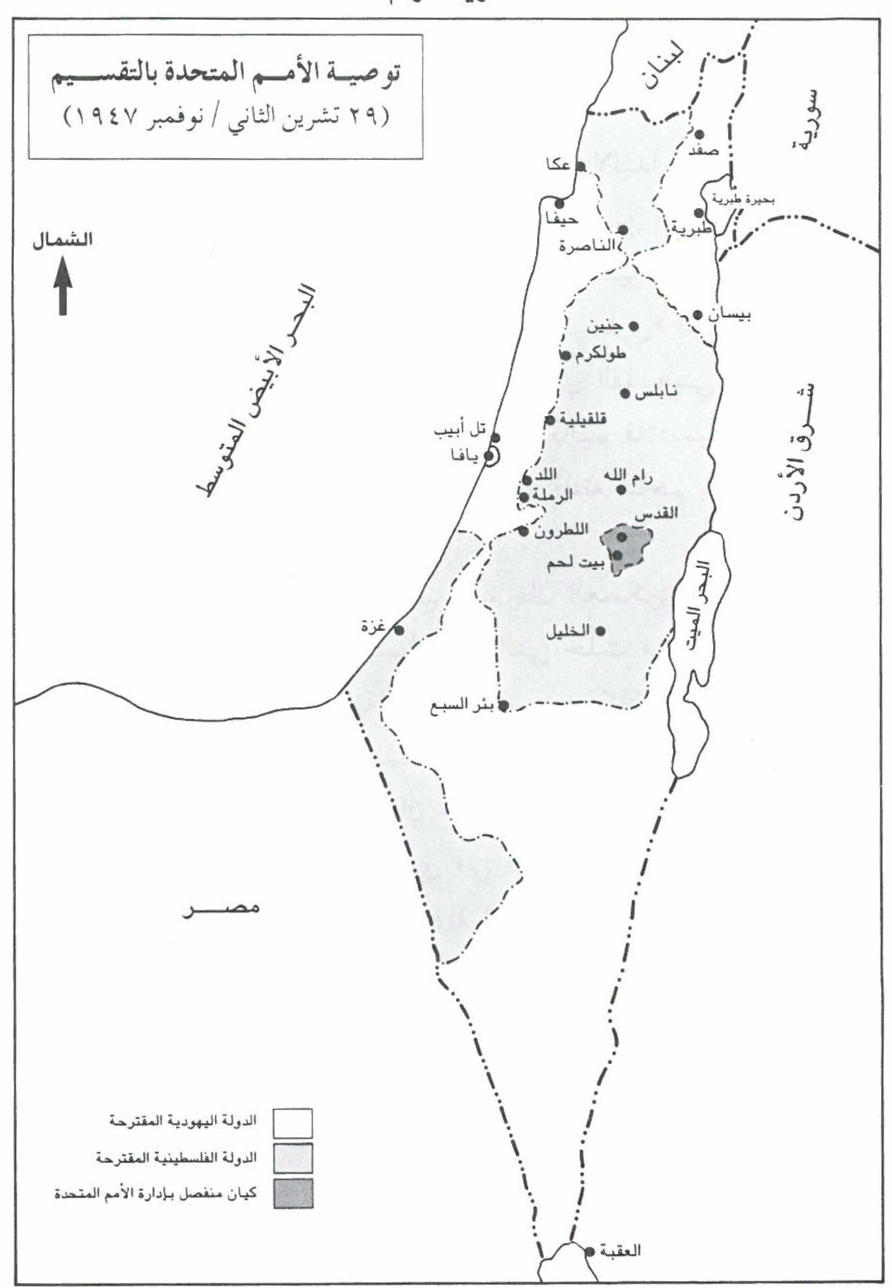
«لو أن شلتيئيل منع المنظمتين
من الهجوم على دير ياسين لامتنعتا»

وصل التنافس، في الأشهر الأخيرة من الانتداب البريطاني في فلسطين سنة ١٩٤٨ بعد قرار التقسيم، إلى ذروته بين منظمة الهاغاناه من جهة والمنظمتين الإرهابيتين الإرغون (إيتسل) وشتيرن (ليحي) من جهة أُخرى. ذلك بأن الأولى كانت تمثل التيار «اليساري» العمالي الحاكم بقيادة دافيد بن ـ غوريون في المجتمع اليهودي الفلسطيني، بينما كانت الأُخريان تمثلان التيار اليميني المسترشد بتعاليم فلاديمير جابوتنسكي (١٨٨٠ ـ ١٩٤٠) البولوني، والذي كان أبرز قادته مناحم بيغن (البولوني أيضاً)، خليفة جابوتنسكي.

وكان أهم مجال لهذا التنافس المجال العسكري، أي العمليات العسكرية والإرهابية ضد الفلسطينيين التي حلّت محل مثيلاتها ضد البريطانيين في الفترة السابقة لقرار التقسيم. وكان أخطر مسرح لهذا التنافس مدينة القدس وريفها، لما تمثله القدس من أهمية رمزية وتاريخية ودينية وسياسية واستراتيجية. وكان حصاد هذا التنافس المرتجى مكاسب سياسية، لدى الرأي العام اليهودي في فلسطين، تحدِّد موقع كل من التيارين على الخريطة السياسية للدولة العبرية المرتقبة الولادة فور انتهاء الانتداب في ١٥ أيار/مايو ١٩٤٨، بعد أن حصلت على الضوء الأخضر في قرار التقسيم.

وكان هامش المزايدة لمصلحة إيتسل وليحي في القدس على الهاغاناه واسعاً رحباً؛ ذلك بأن موقفهما السياسي المعلن من دون أي لبس أو حرج، بالنسبة إلى التقسيم، كان الرفض القاطع المطلق له من حيث المبدأ، والدعوة الصريحة إلى مناهضته بقوة السلاح لاستثنائه مناطق من إسرائيل الكبرى في نظرهم «مُنحت» للدولة العربية بموجب قرار التقسيم؛ وهو القرار الذي استثنى أيضاً مدينة القدس وريفها من كلٍ من

الخريطة رقم ٣



المصدر: Walid Khalidi (ed.), *All That Remains: The Palestinian Villages Occupied and Depopulated by Israel in 1948* (Washington, D. C.: Institute for Palestine Studies, 1992).

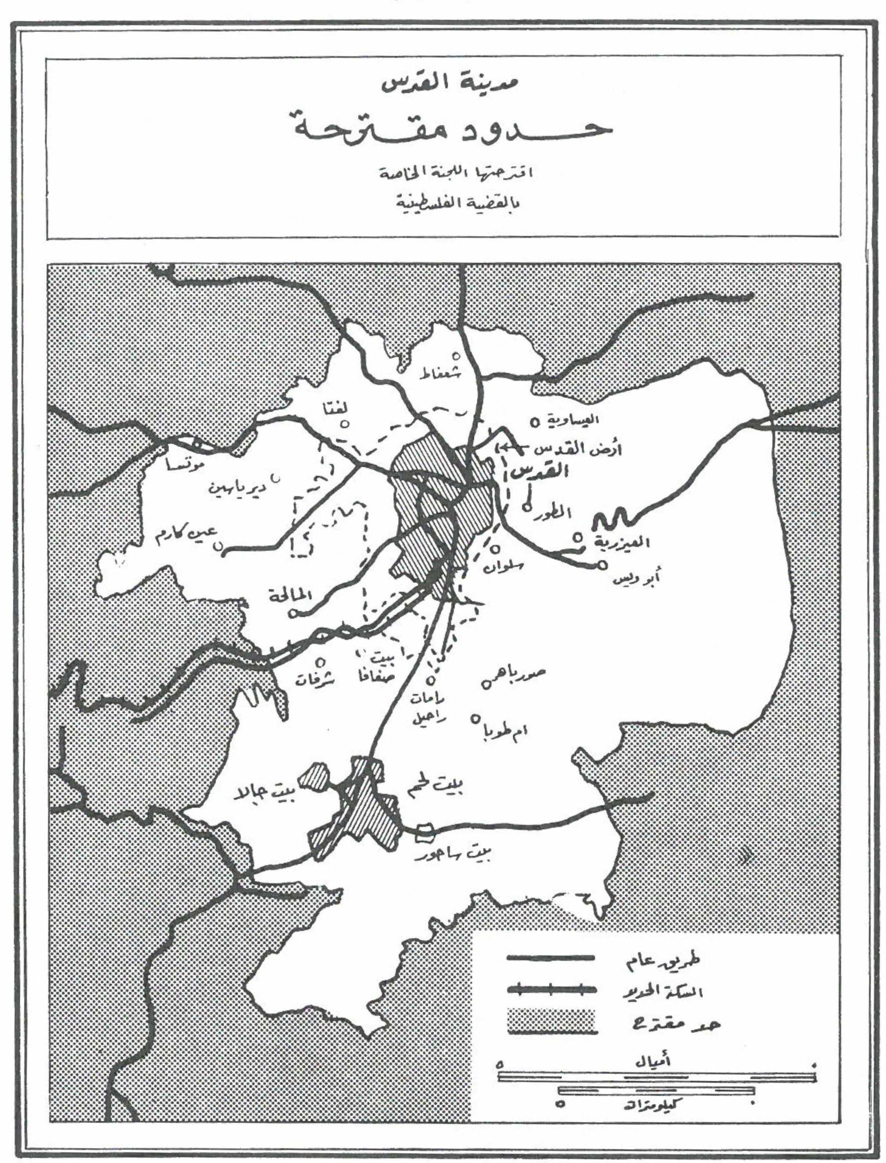
الدولة العبرية والدولة العربية، إذ نصّ على إنشاء وضع خاص منفصل (Corpus Separatum) لهما (أي للقدس وريفها) تحت الوصاية الدولية.[١] وفي المقابل، كان الموقف الرسمي المعلن للقيادة الصهيونية، المتمثلة في الوكالة اليهودية بقيادة بن ـ غوريون، هو القبول بالتقسيم باستثناءاته جميعاً، بما في ذلك مدينة القدس وريفها (أي الوضع الخاص السابق الذكر). وهو الموقف الذي جعل من الممكن، أصلاً، استحصال هذه القيادة على قرار التقسيم، إذ إن الدول اللاتينية الكاثوليكية لَمَا كانت صوتت في حينه، في هيئة الأمم المتحدة، تأييداً لمبدأ التقسيم لو كان يتضمن إدخال مدينة القدس في الدولة العبرية.[٢]

بيد أنه إذا كان موقف القيادة الصهيونية القبول اللفظي الظاهر باستثناء القدس من الدولة العبرية المرتقبة، فإن سياستها الفعلية الباطنة، المجسَّدة في خطة الهاغاناه الاستراتيجية الكبرى ـ خطة دال (دالِتْ بالعبرية) ـ السرية، كانت ضم القدس وما أمكن من المناطق العربية الأُخرى (داخل الدولة العربية) إلى الدولة العبرية بقوة السلاح. وفعلاً، باشرت قيادة الهاغاناه تنفيذ الخطة دال في الأسبوع الأول من نيسان/أبريل ١٩٤٨، عندما قدّرت أن ارتخاء القبضة البريطانية على البلد وصل إلى مرحلة تتيح لها الفرصة للبدء بتنفيذ خطتها الكبرى. وهكذا شرعت في افتتاح خطة دال بعملية نحشون، التي حشدت لها ١٥٠٠ من مقاتليها؛ وهو ما أشرنا إليه سابقاً.[٣]

المحادثات بين الهاغاناه من جهة وإيتسل وليحي من جهة أُخرى عشية الهجوم على دير ياسين

كان الطرف الأقوى بين المنظمات الثلاث في القدس هو الهاغاناه، التابعة للقيادة العمالية بزعامة بن ـ غوريون. وكان عديد قواتها في

الخريطة رقم ٤



المصدر: «قرارات الأمم المتحدة بشأن فلسطين والصراع العربي ـ الإسرائيلي» (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، الطبعة الثالثة، ١٩٩٣)، المجلد الأول، ١٩٤٧ ـ ١٩٧٤، الملحق ب.

المدينة ٥٣٣٥ جندياً وحارساً؛ وذلك في أول تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٤٧ قبيل صدور قرار التقسيم.(٤)

وكان أهم هذه القوات، التي نمت وتطورت بعد قرار التقسيم، وحدات قوة الميدان ووحدات البلماح الضاربة. وانقسمت وحدات قوة الميدان إلى كتائب ثلاث: كتيبة «مخمش»، وكتيبة «موريا»، وكتيبة «بيت حورون». وتمركزت سرايا البلماح في المستعمرات القريبة من قرية القسطل، على طريق تل أبيب ـ يافا ـ القدس الرئيسي. كما تمركزت وحدة من البلماح في معسكر شنلّر في ضاحية غربية من القدس، على بعد كيلومترين إلى الشرق من دير ياسين.(٥)

وفي ١٤ شباط/فبراير ١٩٤٨، عَيَّن بن ـ غوريون قائداً جديداً للهاغاناه في القدس (أي للأحياء اليهودية منها) هو دافيد شلتيئيل، وزوده تعليمات فحواها(٦) أنّ عليه أنْ ينتهج في المدينة خطة من مرحلتين: المرحلة (أ) إلى حين خروج البريطانيين في ١٥ أيار/مايو ١٩٤٨، والمرحلة (ب) مباشرةً بعد الجلاء البريطاني. وفي المرحلة الأولى ينبغي للهاغاناه: التحصّن وإعداد المدينة ومداخلها للدفاع؛ منع هجر الأحياء اليهودية الحدودية؛ تأمين المواصلات إلى المستعمرات المجاورة ومنها؛ منع إخلاء البلدة القديمة من اليهود؛ السيطرة على طريق القدس ـ باب الواد المؤدية إلى الساحل؛ السيطرة، في كل فرصة عسكرية وسياسية، على أحياء العرب بهدف تأمين التواصل الجغرافي بين المناطق اليهودية في المدينة. أمّا في المرحلة الثانية، أي بعد الجلاء البريطاني، فقد تلخصت الأوامر في جملة مقتضبة: «تحرير البلدة القديمة والقدس بأكملها.»

كان دافيد شلتيئيل ألماني الأصل، خدم في الفرقة الأجنبية الفرنسية، وعمل رئيساً لاستخبارات الهاغاناه قبل توليه منصبه في القدس. وكان قائد إيتسل في القدس موردخاي رعنان، بينما كان قائد ليحي فيها

يهوشواع زطلر.[٧]

وعندما بدأت الهاغاناه عملية نحشون في ٤ نيسان/ أبريل، لاحتلال القرى العربية الواقعة على جانبي طريق يافا - القدس في السهل الساحلي، واحتدمت معركة القسطل في جبال القدس بعد أن احتلتها قوات البلماح في اليوم نفسه ضمن إطار عملية نحشون ذاتها، شعر قائدا إيتسل وليحي في القدس بالحرج تجاه هذا التحرك الواسع النطاق للهاغاناه، فقررا أن يقوما بعمل «يضاهي» ما تقوم الهاغاناه به.[٨] ويقول رئيس استخبارات الهاغاناه في القدس في حينه، يتسحاق ليفي، في مذكراته إنه نظراً إلى قلة موارد إيتسل وليحي نسبياً، وإلى عجزهما عن القيام بعملية واسعة النطاق على غرار الهاغاناه، وخشية أن يتم «عزلهما» لدى الرأي العام اليهودي المقدسي، فقد وقع اختيارهما على دير ياسين؛ وكان ذلك في ٦ نيسان/ أبريل.[٩]

ويقول مئير باعيل،[١٠] الذي كان يعمل في استخبارات البلماح، «إن قادة 'إيتسل' و'ليحي' جاؤوا إلى شلتيئيل طالبين منه الموافقة على الهجوم على دير ياسين فقال لهم: لماذا دير ياسين؟ هذه قرية هادئة ويوجد اتفاق عدم اعتداء بين غفعت شاؤول [المستعمرة الأقرب إلى دير ياسين] وبين مختارها والقرية لا تشكل أي خطر أمني علينا ومشكلتنا هي المعركة الدائرة في القسطل والذي أقترحه أن تندمجوا في معركة القسطل وسأعطيكم مستعمرة بيت فيغان كقاعدة للهجوم على قرية عين كارم التي تتوجه عبرها النجدات العربية إلى القسطل. فأجاب قائدا 'إيتسل' و'ليحي' بأن الهجوم على عين كارم عملية في غاية التعقيد فقال شلتيئيل: أعطيكم عملية أهون منها، خذوا مستعمرة موتسا قاعدة لكم للهجوم على قرية قالونيا [القرية الأقرب إلى القسطل] حيث يمكنكم أن تفعلوا ما تشاؤون فتحاً وهدماً وتخريباً [conquer, destroy, demolish] لأن القوات العربية تتمركز فيها [أي في قالونيا].»[١١]

ويتابع ليفي أنه عندما تبيّن لشلتيئيل أن قائدي إيتسل وليحي مصممان على مهاجمة دير ياسين أرسل إلى كل من المنظمتين، في ٧ نيسان/ أبريل، الرسالة التالية:

«أود أن ألفت انتباهكم إلى أن احتلال دير ياسين والاحتفاظ بها يمثلان مرحلة في خطتنا العامة. ولا مانع لديّ من أن تنفذوا أنتم العملية، شرط أن تكونوا قادرين على الاحتفاظ بها. وإذا لم يكن في وسعكم ذلك، فإنني أحذركم من نسف القرية، الذي سيجر في أعقابه ترك سكانها لها واحتلال الأنقاض والبيوت المهجورة من قبل قوات غريبة. وهذا الوضع سيثقل على المعركة العامة بدلاً من أن يخفف، وسيكلف احتلال المكان مرة أُخرى ضحايا عديدة من رجالنا. وثمة سبب آخر أود أن أطرحه عليكم، وهو أنه إذا جاءت إلى المكان قوات غريبة، فسوف تتعرقل خطة إنشاء مطار [بالقرب من القرية].»[١٢]

ويتابع ليفي قوله: «عندما علمتُ برسالة شلتيئيل إلى المنظمتين أسرعت إليه وشرحت له خطورة عمله حيث أن سكان دير ياسين أمناء على العهد بيننا وبينهم وأنه لا يجوز أن نؤذيهم بهذا الشكل البشع واستأذنته بأن أنصحهم بإخلاء قريتهم دون أن أعلمهم بأن الهجوم عليهم وشيك الحدوث، رفض شلتيئيل رجائي قائلاً بأنه لا يستطيع أن يعرّض أرواحاً يهودية للخطر بمثل هذا التحذير حتى ولو كان هناك اتفاق بيننا وبين دير ياسين.» ويختتم ليفي كلامه قائلاً: «لو أن شلتيئيل منع المنظمتين من الهجوم على دير ياسين لامتنعتا.»[١٣]

يتضح بجلاء تام مما سبق، وخصوصاً من «تحفظات» شلتيئيل تجاه العملية، أن قيادة الهاغاناه أعطت إيتسل وليحي ضوءاً أخضر مشعاً للهجوم على دير ياسين، وأن مصيرها كان مقرراً ومحتوماً إن عاجلاً أو آجلاً، على الرغم من اتفاق عدم الاعتداء معها؛ فإن لم يكن على يد المنظمتين الإرهابيتين فعلى يد الهاغاناه.

يقول الكاتب الإسرائيلي عاموس بيرلميوتر،[١٤] الذي كتب سيرة مناحم بيغن قائد إيتسل الأعلى، إنه لِفَهْم ما حدث في دير ياسين يجب فهم ذهنية بيغن ونظرته إلى العرب في إطار الأوضاع السياسية والعسكرية القائمة؛ وهما ذهنية ونظرة استلهمهما من مرشده جابوتنسكي، مؤسس الحركة التصحيحية (Revisionist)؛ فـ «التصحيحية ترفض رفضاً قاطعاً أي ادعاء لعرب فلسطين بأية حقوق سياسية أو إقليمية (territorial) في أرض إسرائيل. . . . وجابوتنسكي حرص على نزع الرومانسية عن الشرق، وهو القائل إن 'الشرق هو الغريب عني (my stranger). ونحن معشر اليهود نحمد الله على أن ليست لنا أية علاقة بالشرق. . . . ولا بد من كنس الروح الإسلامية (Islamic Soul) من أرض إسرائيل'.» ويتابع بيرلميوتر قائلاً إن نظرة إيتسل وليحي تتفرع من الحركة التصحيحية لكنها أكثر «راديكالية» من نظرة جابوتنسكي، ويمكن تلخيصها بأن «العرب إنما هم قتلة ووحوش الصحراء (beasts of the desert) وليسوا شعباً يتمتع بشرعية الشعوب.»[١٥]

ويلقي الكاتب اليهودي الأميركي دان كورزمان مزيداً من الضوء على ذهنية ليحي سنة ١٩٤٨، عندما يخبرنا أن قادة المنظمة أسرّوا إليه بأنهم في أيار/مايو من السنة ذاتها خططوا لنسف مسجد قبّة الصخرة في الحرم الشريف، وبأن «منطقهم» في ذلك كان أن «المعبد الثاني بُني على أنقاض المعبد الأول، وأن لا بد من أن يقام المعبد الثالث على أنقاض المسجد.»[١٦]

وبعد اتخاذ القرار بالهجوم على دير ياسين اجتمع قادة إيتسل وليحي «العسكريون» لوضع خطة الهجوم. وحضر الاجتماع عشرة منهم، بمن في ذلك بن تسيون كوهين قائد الهجوم المزمع القيام به، ممثلاً لإيتسل (الإرغون)، ومساعده يهودا لبيدوت، وضابط عمليات إيتسل

يهوشواع غولدشميت. وحضر عن ليحي (شتيرن) بتحيا زليفنسكي قائد وحداتها، وموردخاي بن عوزيهو ضابط عملياتها.

ناقش المجتمعون تفصيلات الهجوم، وتتطرقوا إلى كيفية معاملة الأسرى والشيوخ والنساء والأطفال. ويخبرنا بن تسيون كوهين،[١٧] بحسب ما ورد في شهادة له بخط يده أودعها مؤسسة جابوتنسكي في تل أبيب، أنه «كان ثمة اختلاف في الآراء ولكن الأكثرية كانت تحبّذ تصفية جميع الرجال وكلّ من يقف بجانبهم، أكانوا شيوخاً أم نساء أم أطفالاً. واتضح من ذلك أنه كان هناك رغبة عارمة في الانتقام لما حدث في كفار عتسيون وعطروت.» والإشارة هنا إلى معركتين وقعتا قبل ذلك بقليل بالقرب من مستعمرتين: الأولى جنوبي القدس على طريق الخليل، والثانية شماليها على طريق رام الله، وانتصر فيهما المجاهدون على قافلتين للهاغاناه،[١٨] علماً بأنه لم يشترك أحد من دير ياسين في أيهما. وثمة وثيقة ثانية لكوهين بخط يده أُضيفت إلى الشهادة الأولى في مؤسسة جابوتنسكي، وتكرر حرفياً ما جاء في تلك الشهادة.[١٩]

ويخبرنا يهودا لبيدوت، مساعد بن تسيون كوهين، في شهادة له عن الاجتماع، «أن الاقتراح خلاله بتصفية سكان دير ياسين إنما جاء من ليحي وأن الغرض من ذلك كان أن نثبت للعرب ماذا يحدث عندما تشترك إيتسل وليحي في عملية واحدة، وأن نُحدِث عاصفة من الأصداء تجتاح البلد بأسره وتصبح نقطة تحول في القتال بيننا وبين العرب. وبكلمة كان المقصد تحطيم معنويات العرب ورفع معنويات الجالية اليهودية في القدس ولو قليلاً، وهي التي كانت في الحضيض نتيجة الضربات الموجعة التي كانت قد تلقتها مؤخراً.»[٢٠]

ويضيف لبيدوت أن فكرة الهجوم على دير ياسين كانت من وحي يهوشواع غولدشميت، ضابط عمليات إيتسل ومن أبناء مستعمرة غفعت شاؤول، جارة دير ياسين، و«أن الدافع الأساسي كان اقتصادياً ذلك أننا

كنّا في أمس الحاجة إلى الغنائم لتموين القواعد لمنظمتنا التي كنا أسسناها حديثاً بإمكانات محدودة مع بقاء الهدف الأمني العسكري.»[٢١]

ويدعي لبيدوت أن قادة إيتسل تحفظوا تجاه اقتراح ليحي القضاء على سكان دير ياسين قائلين إن الموضوع سياسي لا عسكري وبالتالي يحتاج إلى موافقة القيادة السياسية لإيتسل، وإن القيادة السياسية لم تُقِرّ اقتراح ليحي وطلبت من قادتها «التركيز على الناحية العسكرية أثناء احتلال القرية» (focus on the military side).[٢٢]

ونستخلص مما سبق ذكره عن أسباب اختيار دير ياسين هدفاً، وعن دوافع هذا الاختيار، ما يلي: **أولاً**، قرب دير ياسين من المستعمرات الست المقابلة لها والتي ذكرناها سابقاً، وخصوصاً مستعمرة غفعت شاؤول التي كانت على بعد ١٢٠٠ متر فقط من قلب القرية (الحارة)؛ **ثانياً**، سهولة الوصول إليها عبر الطريق الرئيسية بينها وبين غفعت شاؤول الصالحة لمرور المصفحات؛ **ثالثاً**، كون دير ياسين عقدت مع غفعت شاؤول اتفاق عدم اعتداء، الأمر الذي يدل على خوفها، وبالتالي ضعفها؛ **رابعاً**، إمكان استغلال عنصر المفاجأة لاعتماد دير ياسين على اتفاق عدم الاعتداء.

أمّا الدوافع فأربعة أيضاً: (أ) التنافس مع الهاغاناه والرغبة في تسجيل انتصارات عليها لدى الرأي العام اليهودي المقدسي؛ (ب) الانتقام لمعركتي كفار عتسيون وعطروت، مع أن دير ياسين لم تشترك في أي منهما؛ (ج) السلب والنهب، لكون دير ياسين من القرى العربية الغنية؛ (د) التنفيس عمّا في الصدور من كراهية عنصرية دفينة.

ويتضح من كلام لبيدوت بالنسبة إلى اجتماع القادة أنه يحاول إلقاء اللوم رجعياً على ليحي. أمّا ادعاؤه تحفظ إيتسل تجاه المسّ بالمدنيين فرياء وهراء؛ ذلك بأن إيتسل هي التي ابتدعت، منذ سنة ١٩٣٨، فن زرع الألغام الموقوتة في الأسواق العربية المكتظّة، وهي التي قامت بعد

قرار التقسيم في تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٤٧ بإلقاء القنابل والبراميل المملوءة بالمتفجرات على التجمعات العربية المدنية في القدس وفي غيرها. ففي ١٣ كانون الأول/ديسمبر ١٩٤٧ شنت خمس هجمات متزامنة في القدس ويافا والطيرة (قرية قرب حيفا) ويازور (قرية قرب يافا)، قتلت فيها ٣٥ مدنياً وجرحت العشرات. وفي ٢٩ من الشهر نفسه، قتلت ١٧ مدنياً في باب الساهرة (في القدس). وفي ٧ كانون الثاني/يناير ١٩٤٨، قتلت ٢٥ مدنياً وجرحت العشرات في باب الخليل (في القدس).[٢٣] ويُذكر أن يهوشواع غولدشميت، صاحب فكرة الهجوم على دير ياسين وضابط عمليات إيتسل الذي حضر اجتماع القادة، هو ذاته الذي ساق الشاحنة المملوءة بالمتفجرات التي نسفت فندق الملك داود في القدس يوم ٢٢ تموز/يوليو ١٩٤٦، الأمر الذي أسفر عن مقتل ٧٥ مدنياً من بريطانيين وعرب ويهود.[٢٤]

خطة الهجوم وترتيباتها الأخيرة

حشدت إيتسل وليحي قوة عديدها ٢٠٠ من أشرس مقاتليهما للهجوم على دير ياسين. وقد وُضع نحو ٧٠ منهم في الاحتياط، بينما نُظِّم الباقون كقوة هجومية قُسِّمت إلى أربع شراذم، وعُيِّن كل من يهودا لبيدوت ويهودا سيغل (كلاهما من إيتسل) ومنشه آيخلر وموردخاي بن عوزيهو (كلاهما من ليحي) قادة لهذه الشراذم. وكانت نسبة مقاتلي إيتسل إلى المجموع الثلثين. وعُيِّن بن تسيون كوهين (إيتسل) قائداً للهجوم، في حين تولى بتحيا زليفنسكي قيادة رجال ليحي.[٢٥] ووُزِّعت البنادق والرشيشات الأوتوماتيكية على المقاتلين، كما أُعطي كل مقاتل قنبلتين يدويتين ومسدساً وهراوة. وكان لكل شرذمة مدفع رشاش (Bren). وأغلب الظن أن الهراوات كانت للإجهاز على الجرحى العرب توفيراً للذخيرة. وحملت الشراذم كميات وافرة

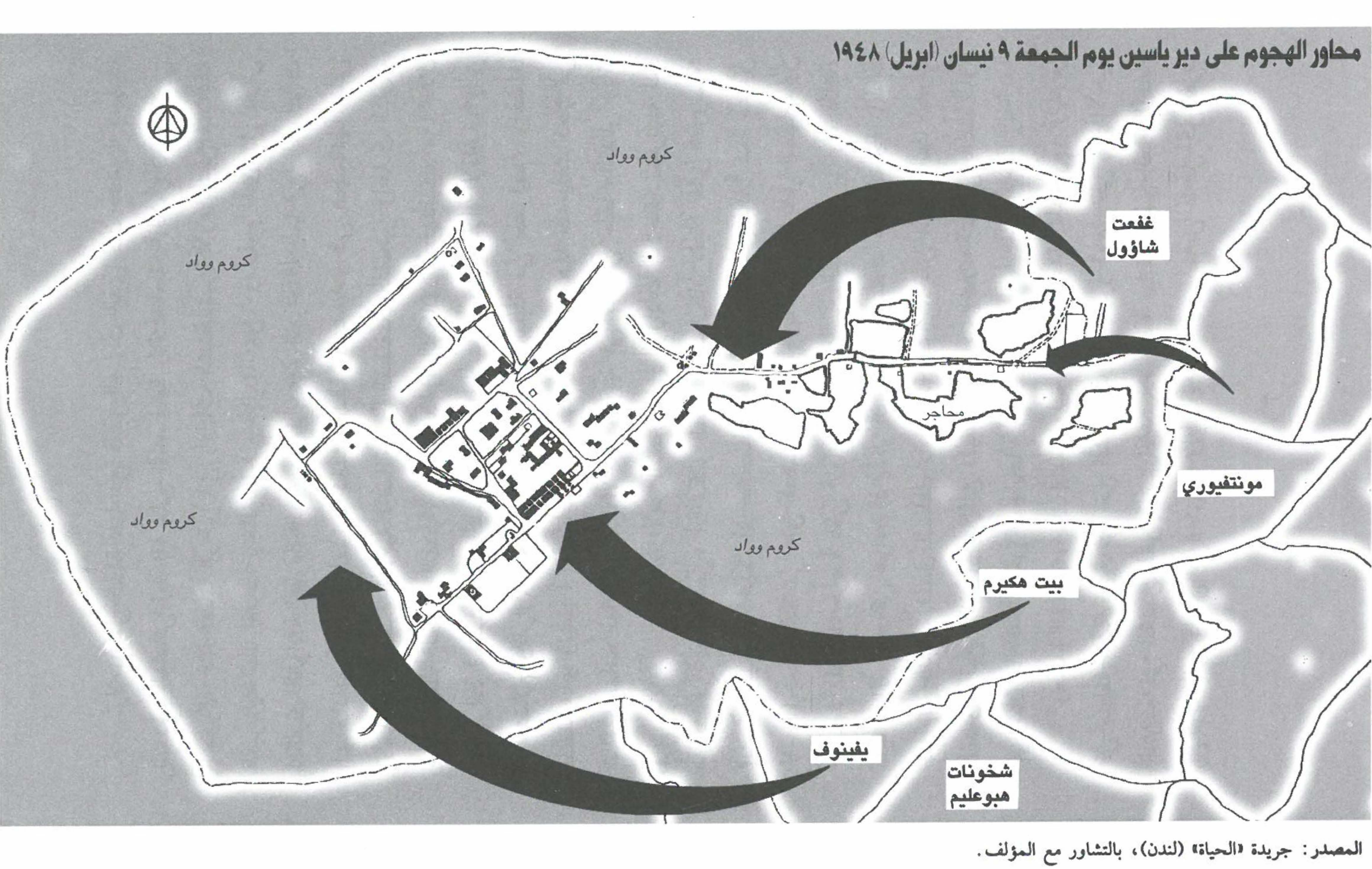
من المواد المتفجرة (gelignite).[٢٦]

تضمنت خطة الهجوم التحرك على أربعة محاور: **أولاً**، شرذمة ليحي بقيادة موردخاي بن عوزيهو تتقدم من غفعت شاؤول إلى دير ياسين من الشمال في اتجاه الزاوية القائمة حيث تلتقي الطريقُ الرئيسية غرب ـ شرق، الموصلة من غفعت شاؤول إلى دير ياسين، الطريقَ شمال ـ جنوب التي تمر أمام قلب القرية (الحارة)؛ **ثانياً**، شرذمة مختلطة تتقدمها مصفحة عليها مكبّر للصوت بقيادة منشه آيخلر، تندفع من الشرق إلى قلب القرية على الطريق الرئيسية من غفعت شاؤول؛ **ثالثاً**، شرذمة بقيادة يهودا سيغل تنطلق من مستعمرة بيت هكيرم وتهبط الوادي الفاصل بينها وبين دير ياسين لتتسلق الطرف الآخر من الوادي وتقتحم القرية من الناحية الشرقية الجنوبية عند جامع الشيخ ياسين؛ **رابعاً**، شرذمة بقيادة يهودا لبيدوت تنطلق من بيت هكيرم أيضاً وتهاجم القرية بحركة التفافية من الجنوب الغربي كي تسيطر على الأعالي الغربية للقرية من الخلف، أي من الغرب.[٢٧]

ويذكر موردخاي جيحون، ضابط استخبارات الهاغاناه في منطقة بيت هكيرم، في شهادة له،[٢٨] أن قيادة الهاغاناه أوكلت إليه مهمة احتلال تل الشارفة (جبل هيرتسل الآن) الواقع إلى الجنوب الشرقي من دير ياسين (على أن يتزامن ذلك مع تحرك قوات المنظمتين الأُخريين) من أجل نصب مدفع رشاش ثقيل (Spandau) يوفّر سيطرة نارية على درب دير ياسين ـ عين كارم لمنع النجدات من الأخيرة، ولضرب المواقع العليا الغربية في دير ياسين، ولإزعاج الفارين منها.[٢٩]

وعُيِّنت ساعة الصفر في الخامسة والربع فجراً، على ألاّ تبدأ القوات المهاجمة إطلاق النار قبل أن تصل كل منها إلى هدفها في أطراف القرية وفي وسطها، وبعد أن تطلَق رشقة ضوئية من مدفع رشاش إيذاناً ببدء الهجوم العام.[٣٠]

الخريطة رقم ٥



المصدر: جريدة «الحياة» (لندن)، بالتشاور مع المؤلف.

ولا بد من كلمة هنا عن مكبّر الصوت الذي كان منصوباً بجانب المدفع الرشاش (Bren) على المصفحة الاقتحامية؛ ذلك بأن دوره في المعركة غدا قطب الرحى في روايات المنظمتين الإرهابيتين اللاحقة التبريرية لما اقترف رجالهما في دير ياسين. ومعلوم لدى كل دارس لتكتيك القوات اليهودية الهجومي في هذه المرحلة، بما في ذلك قوات الهاغاناه، أن هذه القوات كانت دائمة الاعتماد، في هجماتها على الأهداف المدنية العربية (إضافة إلى القصف والتفجير وإطلاق النار)، على عنصر الحرب النفسية؛ وذلك بدعوة السكان المستهدفين، من خلال مكبّرات للصوت تنصَّب على ناقلات، ومن خلال الإذاعة، إلى الاستسلام والفرار، إمعاناً في خلق الذعر والبلبلة في صفوفهم، وإضعافاً للمقاومة، وتيسيراً لمهمات الوحدات القتالية. وهذا ما حدث فعلاً في أثناء هجمات الهاغاناه على الأحياء العربية في كل من حيفا والقدس ويافا وغيرها.[٣١] بيد أن الأمر أصبح، في الروايات اللاحقة التبريرية لما حدث في دير ياسين، أن مكبّر الصوت إنما كان دليلاً على «فروسية» إيتسل وليحي، حيث أن استعماله (وهو لم يُستعمل فعلاً كما سنبيّن لاحقاً) يعني التخلي عن عنصر المفاجأة وبالتالي تعريض المهاجِمين أنفسهم للهلاك حرصاً على أرواح المدنيين بين المهاجَمين. وما ذلك، طبعاً، إلاّ هراء في هراء. إذ يُذْكَر أن إيتسل اعتمدت هذه الحجة بالذات في إثر مذبحة فندق الملك داود سنة ١٩٤٦ حين ادّعت أنها أنذرت الفندق، قبل الانفجار بثلاثين دقيقة، بوجوب إخلائه لتجعل بذلك اللوم في شأن ما حدث على ضحاياها.[٣٢]

وهكذا انهمك رجال إيتسل وليحي في الإعداد للهجوم، وتدربوا في منطقة مبنية قريبة في حي الشيخ بدر المهجور (وهو حي من الأحياء العربية في القدس الغربية تم الاستيلاء عليه سابقاً) على إلقاء القنابل اليدوية إلى داخل كل منزل، وإطلاق رشقات رصاص داخل كل غرفة

قبل اقتحامها.[٣٣] وسرقوا مصفحة تخص الهاغاناه لاستعمالها في الهجوم، كما سرقوا سارية من مبنى حكومي لرفع الراية الصهيونية على القرية بعد احتلالها.[٣٤] وقد قاموا بجولات استطلاعية حوالى دير ياسين، ووصلوا إلى مشارفها، ورافقهم في ذلك رجال من الهاغاناه. كما التقوا أعضاء من الهاغاناه يتمركزون في مواقع قبالة القرية، واتفقوا معهم على كلمة السر: «سنضرب العدو».[٣٥]

ولا بد هنا من العودة قليلاً إلى مئير باعيل، الذي روينا عنه أعلاه ما جرى بين شلتيئيل، قائد الهاغاناه في القدس، وبين قائدي إيتسل وليحي في مقابلة حاول الأول فيها أن يثنيهما عن الهجوم على دير ياسين واختيار قرية سواها. ذلك بأن باعيل أصبح أبرز ناقد عمالي يساري لأفعال إيتسل وليحي في دير ياسين في المناظرة العنيفة التي ما زالت قائمة إلى يومنا هذا بشأن ما جرى فعلاً في ٩ نيسان/أبريل ١٩٤٨، وبالنسبة إلى دور الهاغاناه في المعركة. ويخبرنا باعيل، الذي كان يعمل في استخبارات البلماح في حينه،[٣٦] أنه كُلِّف مراقبة المعركة كي يرفع تقريراً إلى قادة الهاغاناه يقوّم فيه أداء المنظمتين الإرهابيتين العسكري؛ ذلك بأن هؤلاء القادة كانوا ينظرون في صلاحيتهما للاندماج في قوات الهاغاناه، أي جيش الدولة العبرية المزمع إعلانها قريباً. ويقول باعيل أنه اندسّ بين صفوف المهاجمين حين بدأوا تحركهم نحو دير ياسين، حاملاً رشيشاً من نوع tommy لم يطلق منه رصاصة واحدة، وأنه استصحب مصوراً يحمل آلة تصوير من نوع «لايكا»، وأن المصوّر التقط ٣٦ صورة لمراحل الهجوم كله أرسلها باعيل مع تقرير إلى قيادة الهاغاناه فور انتهاء المعركة.[٣٧] وسنتطرق لاحقاً إلى باعيل وروايته ومشاهداته.

قبيل منتصف ليل ٨ ـ ٩ نيسان/أبريل، تحركت قوة ليحي بقيادة بتحيا زليفنسكي من حي الشيخ بدر (مسرح تدريبها) إلى مستعمرة غفعت شاؤول نقطة انطلاقها، وتمركزت في موقع للهاغاناه ملاصق لمصنع

للبيرة. وفي الوقت نفسه، وصلت قوة إيتسل بقيادة بن تسيون كوهين والقائدين المساعدين، يهودا لبيدوت وميخائيل حوريف، إلى مستعمرة بيت هكيرم نقطة انطلاقها.[٣٨]

حواشي الفصل الثاني

(١) أنظر خريطة التقسيم بموجب توصية الجمعية العامة للأمم المتحدة، ٢٩ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٤٧ (الخريطة رقم ٣، ص ٢٤)، وخريطة الوضع الخاص المنفصل للقدس تحت الوصاية الدولية بموجب هذه التوصية (الخريطة رقم ٤، ص ٢٦).

(٢) كانت عضوية الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة سنة ١٩٤٧ تختلف كلياً، عدداً وتركيباً، عما هي عليه اليوم؛ إذ إن مجموعة الدول اللاتينية الكاثوليكية (وعددها ١٦ من مجموع ٥٤ دولة آنذاك) كانت تشكل أكبر المجموعات الإقليمية داخل هيئة الأمم، وكان نفوذ الفاتيكان في تلك الدول ما زال نافذاً قوياً في وقت أصرّ الفاتيكان، إصراراً شديداً، على وضع دولي خاص للقدس خارج نطاق الدولتين (العربية واليهودية) اللتين أوصى بهما قرار التقسيم.

(٣) أنظر، في شأن عملية نحشون والخطة دال: وليد الخالدي، «خمسون عاماً على تقسيم فلسطين (١٩٤٧ ـ ١٩٩٧)» (بيروت: دار النهار للنشر، ١٩٩٨)، ص ١١٤؛

Walid Khalidi, «Plan Dalet: Master Plan for the Conquest of Palestine,» *Journal of Palestine Studies*, Vol. XVIII, No. 1, Autumn 1988, pp. 4-70;

أنظر أيضاً الرواية الإسرائيلية الرسمية للخطة دال ولعملية نحشون في: يهودا سلوتسكي، «سيفر تولدوت ههاغاناه» (تاريخ الهاغاناه)، (بالعبرية)، (تل أبيب: إصدار عام عوفيد، ١٩٧٢)، المجلد الثالث، القسم الثاني، ص 1472 وما يليها، 1559 وما يليها؛ وفي الترجمة الكاملة لهذا الكتاب: أحمد خليفة (مترجم)، «حرب فلسطين ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨» (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨٤)، ص ٣٤٦ وما يليها، ٤٥٦ وما يليها.

(٤) أنظر، في شأن قوات الهاغاناه في القدس آنذاك: سلوتسكي، مصدر سبق ذكره، ص 1388 وما يليها؛ خليفة، مصدر سبق ذكره، ص ٢٤٧ وما يليها.

(٥) المصدران أنفسهما، ص 1442؛ ص ٣٠٨.

(٦) المصدران أنفسهما، ص 1395؛ ص ٢٥٥.

(٧) إسحاق ليفي، «القدس في حرب الاستقلال» (بالعبرية)، (تل أبيب: وزارة الدفاع، معاروخوت، ١٩٨٦)، ص ٣٤٠ ـ ٣٤٥، ترجمة نديم روحانا.

(٨) المصدر نفسه.

(٩) المصدر نفسه.

(١٠) أنظر المصدر نفسه للاطلاع على النقاش بين شلتيئيل (قائد الهاغاناه في القدس) وكل من موردخاي رعنان (قائد إيتسل) ويهوشواع زطلر (قائد ليحي)، بشأن الهجوم على دير ياسين. أنظر أيضاً شهادة مئير باعيل في: إيلان كفير، «يديعوت أحرونوت»، ١٩٧٢/٤/٤، ترجمة رضى سلمان.

(١١) شهادة مئير باعيل في: كفير، مصدر سبق ذكره.

(١٢) سلوتسكي، مصدر سبق ذكره، ص 1546؛ خليفة، مصدر سبق ذكره، ص ٤٤٠.

(١٣) ليفي، مصدر سبق ذكره، ص ٣٤٠ ـ ٣٤٥.

(١٤) Amos Perlmutter, *The Lifes & Times of Menachem Begin* (New York: Doubleday and Company, 1987), pp. 212-213.

(١٥) *Ibid.*

(١٦) Dan Kurzman, *Genesis 1948* (New York: The New American Library, 1970), p. 539.

(١٧) يسرائيل سيغال، «ملف دير ياسين» (تحقيق)، في: «كوتيرت راشيت»، ١٩/١/١٩٨٣، ص ٦، ترجمة نديم روحانا.

(١٨) وقعت معركة مستعمرة كفار عتسيون (عند موقع الدهيشة جنوبي القدس) بتاريخ ٢٧ آذار/مارس ١٩٤٨، ومعركة مستعمرة عطروت (عند قرية شعفاط شمالي القدس) بتاريخ ٢٤ آذار/مارس ١٩٤٨. وفي كلتا المعركتين أنزل المجاهدون خسائر فادحة في قافلتين مصفحتين للهاغاناه، ولم يُنْقِذ مَنْ نجا من جنودها سوى تدخل الجيش البريطاني. أنظر تفصيلات المعركتين في: عارف العارف، «النكبة: نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود» (صيدا: المكتبة العصرية، ١٩٥٦)، الجزء الأول، ص ١٣٩ ـ ١٤١؛ سلوتسكي، مصدر سبق ذكره، ص 1451 وما يليها؛ خليفة، مصدر سبق ذكره، ص ٣١٨ وما يليها.

(١٩) سيغال، مصدر سبق ذكره، ص ٦.

(٢٠) المصدر نفسه.

(٢١) المصدر نفسه.

(٢٢) المصدر نفسه.

(٢٣) سلوتسكي، مصدر سبق ذكره، ص 1543؛ خليفة، مصدر سبق ذكره، ص ٤٣٥.

(٢٤) نعرف من عدة شهادات لمشاركين في الهجوم على دير ياسين، واردة في تحقيق إيلان كفير («يديعوت أحرونوت»، ٤/٤/١٩٧٢، مصدر سبق ذكره) أن صاحب الاسم الحركي «غال» هو يهوشواع غولدشميت، من كبار قادة إيتسل. ونعرف من المصدر الأهم عن نسف فندق الملك داود في القدس، أن «غال» كان من أهم مخططي ومنفذي عملية النسف هذه. أنظر:
Thurston Clarke, *By Blood & Fire* (New York: Putnam, 1981), pp. 177-78, 229-31, 241 ff.

ويروي مئير باعيل، في شهادته لإيلان كفير المذكورة، أن يهوشواع غولدشميت خطط ونفذ معظم عمليات إيتسل ضد الإنكليز سنة ١٩٤٦، وأنه غادر القدس موقتاً لأنه كان مطارَداً من قبلهم، ليعود إليها سنة ١٩٤٨. ويضيف باعيل أن غولدشميت كان من سكان مستعمرة غفعت شاؤول المجاورة لدير ياسين، وأن والده كان جزّاراً بحسب الطقوس الدينية، وهو الذي بث فيه روح العداء لجارته دير ياسين وأوصاه، وهو على فراش الموت: «لا تنسَ دير ياسين».

(٢٥) شهادة موردخاي رعنان في: كفير، مصدر سبق ذكره. أمّا الرقم ٢٠٠ لعديد القوة المهاجمة فيرد في: يوسف شابيرا (محرر)، «دافيد شلتيئيل ـ القدس ١٩٤٨» (بالعبرية)، (تل أبيب: مسراد هابتاحون، ١٩٨١)، ص ١٤٠، ترجمة نديم روحانا.

(٢٦) المصدر نفسه.

(٢٧) شهادة يهوشواع زطلر، قائد ليحي في القدس، كما وردت في: كفير، مصدر سبق ذكره؛ شهادة موردخاي جيحون (الاسم الحركي «إليعيزر»)، ضابط استخبارات الهاغاناه في ضاحية القدس الغربية، كما وردت في: ليفي، مصدر سبق ذكره، ص ٣٤٠ ـ ٣٤٥.

(٢٨) شابيرا، مصدر سبق ذكره، ص ١٤١.

(٢٩) المصدر نفسه.

(٣٠) شهادة موردخاي رعنان في: كفير، مصدر سبق ذكره.

(٣١) يروي الصحافي اليهودي البريطاني هاري ليفين، الذي كان يعمل في إذاعة الهاغاناه في القدس، أن مكبّرات الصوت التابعة للهاغاناه كانت تحث العرب على الجلاء عن المدينة خلال هجوم قوات الهاغاناه على الأحياء العربية في أواسط آذار/مارس ١٩٤٨ قائلة: «أشفقوا على زوجاتكم وأطفالكم واهربوا من حمام الدم، استسلموا بأسلحتكم ولن يصيبكم أذى وإلاّ فانجوا بأنفسكم عن طريق أريحا التي ما زالت مفتوحة.» أنظر:

Harry Levin, *Jerusalem Embattled* (London: Gallancz, 1950), p. 160.

وتكرر الأمر في هجمات الهاغاناه على المدن الأُخرى. أنظر، مثلاً، *The Palestine Post*, April 19, 1948 بشأن استعمال الهاغاناه هذا التكتيك في حيفا. أنظر كذلك:

Walid Khalidi, «Selected Documents on the 1948 War: The Fall of Haifa,» *Journal of Palestine Studies*, Vol. XXVII, No. 3, Spring 1998, p. 86 ff.

(٣٢) أنظر تفصيلات عملية نسف فندق الملك داود، بما في ذلك موضوع الإنذار، في:

Clarke, *op.cit.*, pp. 177-78, 229-31, 241ff.

ويقول مؤلف هذا الكتاب (p. 254) إنه لو استجاب نزلاء الفندق وزائروه للإنذار وخرجوا من الفندق لكان عدد الضحايا أضعاف ما كان عليه نتيجة تساقط حطام المبنى بسبب شدة الانفجار الذي كان بحجم ٣٥٠ كلغ من الديناميت (p. 252). أمّا فترة «الإنذار» فكانت ثلاثين دقيقة لإخلاء مبنى ضخم مكون من ثماني طبقات تضم المئات من النزلاء والموظفين والزائرين، علماً بأن إيتسل كانت أصدرت عشرات الإنذارات الكاذبة قبل الحادث لإخلاء أبنية تابعة للإدارة البريطانية.

(٣٣) يوري ملشتاين، «تولدوت ميلحيمت هكوميميوت» (تاريخ حرب الاستقلال)، (بالعبرية)، (تل أبيب: زمورا، بيتان، ١٩٩١)، المجلد الرابع، ص ٢٦١، ترجمة أحمد خليفة.

(٣٤) المصدر نفسه.

(٣٥) المصدر نفسه، ص ٢٦٠.

(٣٦) رون ميفراغ، «دير ياسين»، في: مجلة «مونيتان»، العدد ٣٢، نيسان/أبريل ١٩٨١، ص ٣٦ ـ ٤٠، ترجمة نديم روحانا.

(٣٧) المصدر نفسه.

(٣٨) ملشتاين، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦٠، ٢٦٢.

الفصل الثالث

«يهدّىء أبو عيد روع زوجته
ويطلب منها الخلود إلى النوم
فترضع ابنها وتنام»

لم تكن ليلة يوم الجمعة، الواقع فيه ٩ نيسان/أبريل ١٩٤٨، ليلاً سكناً بالنسبة إلى أهالي دير ياسين البالغ عددهم ٧٥٠ نسمة. بيد أنه لم يخطر ببال أحد منهم أنها ستكون آخر ليلة يأوون فيها إلى فراشهم بين أهليهم ووسط كرومهم في قرية آبائهم وأجدادهم، أو أن الكثيرين من أقرب الأقربين إليهم لن يروا غروب الشمس التالي. ولفّ القرية جو جمع بين دكنة الليل والحزن على القائد عبد القادر الحسيني، شهيد معركة القسطل، وشدّ القلوب شعور بالانقباض وهواجس مصدرها التحسب وضيق النفس.

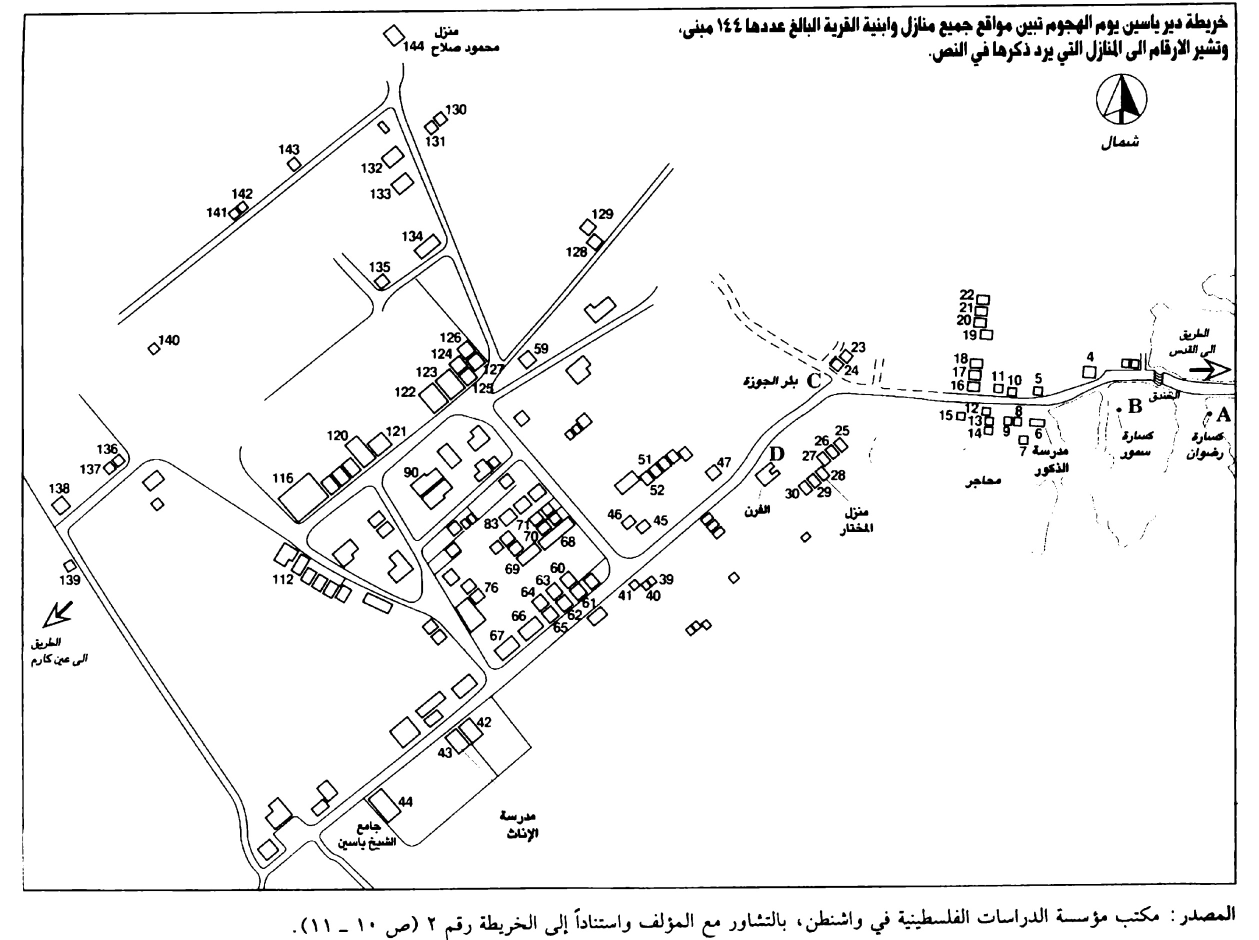
يطلب حسن رضوان من زوجته عثمانة[١] ألاّ تنام هي والأولاد تلك الليلة في منزلهما (131) الواقع في الطرف الغربي من القرية، وأن تذهب للمبيت في منزل والدها صالح رضوان (90) وسط القرية. فتفعل، وتمضي هزيع الليل في أحاديث مع والدها الذي يسرّ إليها بمخاوفه، وخصوصاً أن يهودياً من معارفه زاره ظهر ذلك اليوم (الخميس) في كسّارة العائلة (A) بالقرب من مستعمرة غفعت شاؤول ليحذره بلغة عربية ركيكة: «يا خاج روخ من هون بدهم يضربوا من شانك.»[٢] وتشاهد عزيزة عطية، زوجة محمود رضوان، من منزلهما (130)، ليلاً، تجمعاً يهودياً مريباً في غفعت شاؤول، وتخبر أحد جيرانها بذلك فينصح لها السكوت كي لا تخيف القرية. وتقرر الذهاب إلى فرن القرية (H) في ساعة مبكرة (الثانية من فجر يوم الجمعة)، على غير عادتها، حاملة صينية العجين على رأسها وتترك أولادها نياماً: جمال (عام ونصف عام) وثريا (٤ أعوام) وسكينة (٩ أعوام) وأحمد (١١ عاماً) وفاطمة (١٢ عاماً) ورفقة (١٤ عاماً)، وتغلق عليهم الباب وتأخذ معها المفتاح وفي نيتها العودة قبل أن يستيقظوا.[٣] ويستمع محمد مصطفى عيد إلى نعي عبد

القادر من جهاز الراديو في منزله (71)، وهو أحد ثلاثة أجهزة راديو في القرية تعمل بواسطة بطارية السيارة، ويقوم ليستحم وينام فتتولى زوجته أم عيد تنظيف المنزل وتأخذ المَنْقَل إلى الخارج وتشعر، في الظلام، بأن شيئاً ما لمسها فتدخل مذعورة وتصفق الباب بقوة أيقظت زوجها، وتروي له ما حدث فيهدِّئ روعها ويطلب منها الخلود إلى النوم، فترضع ابنها وتنام.[٤]

* * *

في الساعة الواحدة تقريباً من صباح يوم الجمعة، الواقع فيه ٩ نيسان/أبريل، تحركت شراذم مشاة المهاجمين الثلاث من قواعدها كي تكون في مواقعها المحددة لها في أطراف القرية وفق خطة الهجوم (أنظر أعلاه الخريطة رقم ٥، ص ٣٥) عند ساعة الصفر، أي الخامسة والدقيقة الثلاثين فجراً. وللتذكير نعيد ما سبق أن قلنا: اقتضت الخطة أن تنطلق شرذمة ليحي (شتيرن) من مستعمرة غفعت شاؤول غرباً لتقتحم القرية من الشمال في منطقة بئر الجوزة (G) عند المنازل 16–24، والمنازل قبلها إلى يمين الطريق. وتنطلق شرذمتان لإيتسل (الإرغون) من مستعمرة بيت هكيرم، إحداهما تقوم بحركة التفافية من الجنوب لتقتحم الأعالي الغربية للقرية عند المنازل 136–139، والثانية تقطع الوادي الفاصل هبوطاً وصعوداً لتقتحم القرية عند منطقة جامع الشيخ ياسين (44) ومدرسة الإناث (43). أمّا المصفحة فتنقل قسماً من الشرذمة الرابعة المختلطة (١٠ مقاتلين) من إيتسل وليحي ويتبعها الباقون سيراً على الأقدام وتسرع على الطريق الرئيسية لتصل إلى وسط القرية عند المنازل 60–67، على أن يتزامن وقت انطلاقها مع انتهاء تمركز الشراذم الثلاث الأُخرى في مواقع بدء هجومها عند ساعة الصفر، لقصر المسافة التي على المصفحة قطعها. وهكذا كانت الخطة ألاّ يباشر المهاجمون إطلاق النار قبل إحكام الطوق على القرية من الشمال والشرق والجنوب والغرب، على أن تكون إشارة البدء

الخريطة رقم ٦



المصدر: مكتب مؤسسة الدراسات الفلسطينية في واشنطن، بالتشاور مع المؤلف واستناداً إلى الخريطة رقم ٢ (ص ١٠ ـ ١١).

صلية ضوئية من مدفع رشاش تحمله الشرذمة التي يقودها يهودا سيغل والمكلفة مهمة الاقتحام بالقرب من جامع الشيخ ياسين (42 ـ 44). ويروي يهودا لبيدوت، قائد شرذمة إيتسل الثانية، أن قوته صادفت على الطريق حراساً من الهاغاناه، «فقلت لهم: إننا ذاهبون لمهاجمة دير ياسين. بارَكونا قائلين نتمنى لكم النجاح، نتمنى لكم النجاح.»[٥]

* * *

في هذه الأثناء، كان رجال دير ياسين وشبابها في حال تأهب شديد يتناوبون الحراسة ويساندون بعضهم بعضاً فيها. فإسماعيل محمد عطية (٣٧ عاماً)، العائد تواً من معركة استرداد القسطل، يتوجه إلى منزله ليتفقد أسرته ثم ينطلق إلى أحد مراكز المراقبة أمام منزلي العائلة (66 و67) ليقف على مسافة من أخيه الأصغر محمود، وكلاهما يحمل بندقية.[٦] وينهي داود جابر نوبته في الحراسة في الساعة الثانية عشرة ليلاً، وبدل أن يعود إلى منزله يتوجه مع آخرين لدعم المجموعة المرابطة عند كسّارة سمّور (B).[٧] وفي الساعة الثانية عشرة أيضاً، يسلم أحمد رضوان بندقيته إلى أخيه محمود الذي يكبره سناً، بعد أن أنهى نوبته في الحراسة،[٨] وفي الوقت نفسه يأخذ حسين زيدان البندقية من ابنه داود...[٩] وهكذا.

ويروي إسماعيل محمد عطية[١٠] أنه يشاهد في الساعة الثانية والدقيقة الثلاثين من فجر يوم الجمعة أضواء كاشفة لسيارات يهودية تخرج من المستعمرات تارة وتعود إليها تارة أُخرى، فيذهب مع آخرين إلى الطريق الرئيسية الموصلة إلى تلك المستعمرات ليستطلعوا الأمر، فلا تلبث حركة السيارات أن تتوقف ويبدو كل شيء هادئاً وتغط المستعمرات في ظلام دامس.

وتتعدد الروايات في شأن بدء إطلاق النار. فإسماعيل محمد عطية يروي أنه فوجىء، في الساعة الثالثة والدقيقة الثلاثين تقريباً، بسماع

رصاص من بندقية أخيه محمود، ويطلب منه تفسيراً لـ «هذا التصرف الطائش» فيردّ محمود أنه أطلق النار على يهودي حاول التسلل.[١١] ويروي داود جابر أنه سمع هو ورفاقه من موقعهم عند كسّارة سمّور (B)، في الساعة الرابعة، عياراً نارياً فيطلب منه حسين زيدان، الذي كان في الموقع نفسه، أن يذهب إلى القرية ويطلب ممن فيها عدم إطلاق النار.[١٢]

ويروي بن تسيون كوهين (إيتسل)، قائد الهجوم،[١٣] أن رجاله كانوا رابضين عند أطراف وسط القرية (42–44)، «وكان الحراس العرب يتجولون بين المنازل ويتحدثون مع بعضهم البعض وفي الساعة ٤:٢٥ دحرج أحدنا حجراً بطريق الخطأ فسمعنا ضجة خطوات مسرعة ويخاطب أحد الحراس زميله منادياً: 'يا محمد!'، فيظن قائد جماعتنا أن واحداً من ليحي (شتيرن) يلفظ بداية كلمة السر: 'أحدوت' (ومعناها 'وحدة') فيعطي الجواب المتفق عليه: 'لوحيمت' (ومعناها 'قتالية') فيصرخ الحراس العرب 'يهود يهود' ولم يعد أمامنا خيار. وفي الساعة ٤:٣٠ قبل ساعة الصفر بساعة أصدرتُ أمراً إلى جماعة يهودا سيغل الأمامية بإطلاق رشقة طلقات ضوئية من المدفع الرشاش إيذاناً ببدء الهجوم.»[١٤]

* * *

ويروي حسين عطية (٢٨ عاماً)،[١٥] وكان بين أعضاء وفد القرية الذي ذهب إلى مصر لشراء السلاح كما ذكرنا، أن دوره كان في مركز أمامي على تل يشرف على الطريق الرئيسية بالقرب من كسّارة سمّور (B)، وأنه في الساعة الرابعة من فجر يوم الجمعة سمع هو ورفاقه في الموقع وقع أقدام من الجهة الشمالية الشرقية (شرذمة ليحي القادمة من غفعت شاؤول)، لكن الصوت كان بعيداً ولم يروا شيئاً. وكانت مهمتهم حراسة الطريق الرئيسية. ولم يأت أحد على هذه الطريق بعد، ثم سمعوا صوت المعركة قائمة خلفهم وسط القرية (شرذمة إيتسل بقيادة بن تسيون

كوهين) «عند مركز ابن العم إسماعيل عطية وأخيه محمود» (66-67)، وما لبث أن شاهد مجموعة ثانية يهودية «طلعت علينا من الشمال عند المدرسة» (مدرسة الذكور 6) خلفهم أيضاً و«بدأت المعركة بيننا وبين اليهود [شرذمة ليحي] الذين احتلوا المدرسة كما استعرت في حارات وسط البلد.»[١٦]

وينتقل حسين مع رفاقه الستة من التل إلى سطح منزل الحاج أحمد رضوان (4)، المشرف على الخندق المموَّه، وتأتي المصفحة تتقدم الشرذمة الرابعة فتتوقف عند الخندق ويحاول مَنْ فيها (عشرة مقاتلين) ومَنْ خلفهم (شرذمة ليحي وإيتسل المختلطة) ردم الخندق. وتجري معركة عنيفة لمنعهم من ذلك، وتسقط المصفحة في الخندق، ويستمر تبادل إطلاق النار إلى أن تنفد ذخيرة المدافعين فيضطرون إلى الانسحاب من سطح المنزل عبر أشجار الزيتون إلى الأعالي الغربية للقرية (130-144) حيث ينضمون إلى المقاتلين المتمركزين هناك.[١٧]

ويروي جمعة زهران، الذي كان يقطن مع أقربائه من آل زهران في المنازل 19-22،[١٨] أنه خرج من منزله (20) لوضوء صلاة الفجر في الساعة الرابعة تقريباً، وأن حرس القرية أخذوا «ينهرون» بأصوات عالية قائلين: «سمعنا قرقعة تتقدم نحونا [شرذمة ليحي القادمة من الشمال، من غفعت شاؤول] ولكنهم لم يردوا علينا.» ويتابع جمعة: «إننا لم نتحرّ مصدر القرقعة لأول وهلة بسبب الظلام إذ كان الجو غائماً وبدأ رذاذ المطر»، إلى أن انطلقت إشارة «ملونة» في الساعة الخامسة تقريباً وبدأت المعركة.[١٩]

وكان جمعة زهران عند باب منزله (20) من دون سلاح، إذ إن السلاح كان مع والده الحاج محمد ومع أخيه علي وابن أخيه محمد، الذين كانوا يحرسون منازل العائلة. ويصاب الوالد بعد الطلقات الأولى فيأخذ جمعة البندقية الإيطالية منه وإذ به يفاجأ باليهود (شرذمة ليحي)

«تماماً أمام بيوتنا». وكان أخوه وابن أخيه يقاومان من ناحية الشمال، ويجد جمعة نفسه وجهاً لوجه أمام يهودي في ممر قريب من منزله فيتمترس كل منهما بجدار ويطلق اليهودي عليه رشقة من رشيشه فيخطئه، ويطلق جمعة عليه رصاصة فيخطئه هو الآخر. ويتقدم اليهودي من خلف الجدار ويمسك ببندقية جمعة يريد سحبها منه، وبعد شد وجذب يتغلب جمعة على اليهودي الذي ينقلب على ظهره فيطلق جمعة عليه رصاصة تصيبه وينصبّ على جمعة الرصاص من عدة جهات فينسحب إلى خلف منزل يوسف عليا (23) ومنه إلى الأعالي الغربية للقرية (130–135 و144) حيث ينضم إلى المقاتلين المتمركزين هناك.[٢٠] ويكون هذا آخر عهد له بمجموع أفراد عائلته وأقربائه كافة، وبمنازلهم أيضاً.

ويروي خليل سمّور، ابن المختار محمد سمّور[٢١] والذي كان يقاتل إلى جانب الحاج محمد زهران (والد جمعة)، أنه نصح للحاج الجريح العودة إلى منزله (19). ثم يذهب خليل إلى منزل يوسف عليا (23) لإخراج الذخيرة منه، وينضم إليه أبناء يوسف عليا: علي وأحمد ومحمد، ويتمترس الأربعة بجدار عند الزاوية القائمة بين الطريقين عند بئر الجوزة (G)، بالقرب من منزلي آل عليا 23 و24، وتكون شرذمة ليحي قد مرت وتقدمت إلى وسط القرية في اتجاه المنزلين 45 و46، فيجري تبادل إطلاق نار شديد بين الفريقين، ويبدأ مقاتلو دير ياسين المتمركزون في الأعالي الغربية للقرية (130–135 و144) إطلاق النار على منطقة بئر الجوزة (G)، ويتابع خليل قائلاً: «أصبحنا بين نيرانهم ونيران اليهود وحاولنا أن نلفت أنظارهم ولكن عبثاً.»[٢٢] وكانت الساعة نحو الخامسة والدقيقة الثلاثين صباحاً، وبعدها بقليل يأتيه من يقول إن بعض نساء وأطفال آل سمّور ما زالوا في منزل عبد الحميد سمّور (52)، فيذهب برفقته ويخرجهم من شباك خلفي ويصعد إلى منزل عارف سمّور

(59) حيث يتمترس على سطحه ويعوق هو ورفاقه تقدم اليهود على الطريق الرئيسية التي يشرف المنزل عليها.[٢٣]

وتذكر روايات المدافعين السابقة سير القتال في الطرف الشرقي للقرية عند الكسّارات والخندق (رواية حسين عطية) وعند زاوية الطريقين القائمة، أي بئر الجوزة (روايتا جمعة زهران وخليل سمّور). وننتقل الآن إلى وسط القرية قرب منزلي آل عطية (66 و67)، ثم إلى أعاليها الغربية عند المنازل 136–139، ثم نصعد إلى منازل أعالي القرية (130–135 و144). ويُلاحَظ أن شرذمة ليحي القادمة من الشمال، من غفعت شاؤول، قد نجحت في اقتحام منطقة المنازل 5–23 وتقدمت نحو وسط القرية من بئر الجوزة (G) في اتجاه المنازل 45–47. أمّا الشرذمة المختلطة، المكونة من عناصر من ليحي وإيتسل، والقادمة من الشرق على الطريق الرئيسية، والتي تقدمتها المصفحة، فقد تعثر مسيرها بسبب الخندق والمقاومة من سطح المنزل 4، ولاحقاً من خليل سمّور ورفاقه ومن المقاتلين في منازل أعالي القرية (130–135 و144).

وجوبهت الشرذمة الثالثة، المهاجمة من مستعمرة بيت هكيرم عبر الوادي، بمقاومة شديدة من وسط القرية. وكان أحد المواقع المقاوِمة منزل الحاج إسماعيل عطية (66)، وهو يطل على الوادي بأسره وعلى ساحة 42 في الطرف الآخر من الشارع، في حائطها بوابة كبيرة للعبور إلى الوادي ومنه.[٢٤] وكان المنزل يتألف من ثلاث طبقات، ولسطحه حائط سميك. وكان يُصعد إلى المنزل والسطح بسلّم من ٢٦ درجة، كما يذكر عزمي ابن الحاج إسماعيل، الصبي حينذاك (١٠ أعوام)، «إذ كنت أعدّها طالعاً نازلاً.»[٢٥] وكان في المنزل من الرجال: الحاج إسماعيل (٩٠ عاماً) وابنه ربحي (٢٢ عاماً) وحفيده محمود (٢٠ عاماً). وكان الابن الأكبر محمد (٤٥ عاماً) خارج المنزل. وما كاد محمد يهمّ بدخوله، وفق ما روى عزمي، حتى صرخت أخته سعاد: «محمد محمد

اليهود اليهود»، إذ رأت عدداً منهم يحاول عبور بوابة الساحة المقابلة من الوادي. فأطلق محمد عليهم النار من رشيشه (Sten)، وتراجع اليهود، وصعد هو في السلّم بسرعة في حين وفّر له ربحي ومحمود غطاء نارياً. واتخذ محمد زاوية من السطح موقعاً له، وابنه محمود زاوية أُخرى، بينما كان موقع ربحي عند إحدى النوافذ المطلة على الوادي والسلّم.(٢٦) ويطلب محمد من عزمي وسائر أفراد العائلة تعبئة مخازن ذخيرة الستن والبنادق له وللآخرين، ويستمر إطلاق النار بشدة من المنزل ومن منازل قريبة من دون أن يتمكن المهاجمون من اقتحام البوابة.(٢٧) وإذ تعثر هجوم شرذمة إيتسل في هذه الناحية، فإن هجوم الشرذمة الرابعة الالتفافي (الذي كان القصد منه الوصول إلى الأعالي الغربية للقرية من الجنوب عند المنازل 136–139) قد صُدّ. ويعزو تقرير قدمه في ١٠ نيسان/أبريل، غداة المعركة، موردخاي جيحون الذي كان ضابط استخبارات الهاغاناه في المنطقة والمكلَّف، كما سبق أن ذكرنا، مساندة الهجوم باحتلال تل الشارفة (جبل هيرتسل الآن)،(٢٨) فشل المهاجمين في احتلال دير ياسين في الساعات الأولى من الصباح إلى صدّ تقدم هذه الشرذمة بالذات؛ ذلك بأنها لو استطاعت، في وقت مبكر، الصعود إلى الأعالي الغربية للقرية لتمكنت من حسم المعركة في فترة وجيزة (انتهى كلام جيحون).(٢٩) ويعود صدّ تقدم هذه الشرذمة، وإرغامها على هبوط الوادي ثانية، إلى حفنة من مقاتلي القرية على رأسهم علي قاسم حميدة، الذي كان منزله (140) في أعاليها وأُصيب خلال دحره المهاجمين إصابة خطرة نُقل في إثرها إلى عين كارم. وهو من المحاربين القدماء في ثورة ١٩٣٦، وهو الذي درب أهالي دير ياسين على استعمال السلاح كما ذكرنا سابقاً.(٣٠)

وورد في الروايات السابقة انسحاب بعض المقاتلين إلى منطقة المنازل 130–135 و144. والواقع أن المرابطين في هذه المنطقة أدوا دوراً

أساسياً في القتال لا يقل عن دور علي قاسم، بل ربما يفوقه. ويروي حسن رضوان،[٣١] الذي كان نائماً في منزله (131) في تلك الأثناء، أنه استيقظ على أصوات إطلاق الرصاص وصراخ عال من أنحاء القرية. ويقف عند باب داره استطلاعاً للأمر فيشاهد جيرانه عند أبواب بيوتهم أيضاً. ويأخذ حسن بندقية من ابن جاره محمود لصغر سنه، ويتمترس بجدار أمام الدار يشرف على القرية بأسرها وعلى الطريق الرئيسية من غفعت شاؤول. وكانت بندقيته إنكليزية الصنع من مشتريات مصر، يحتوي مخزنها على خمس رصاصات. وكان في منزله نحو ثلاثين مخزناً اشترى ذخيرتها من هنا وهناك ومن بعض أفراد القرية. وعند بزوغ الشمس يشاهد حسن اليهود آتين من الشرق «عند بيوت زهران» (19-22)، وكانت الساعة الخامسة تقريباً، فيتبادل معهم إطلاق النار. وكانت أقرب رصاصة يطلقونها عليه تسقط بعيدة عنه نحو ثلاثة أمتار. وبقي ثابتاً في موقعه «لا طالع ولا نازل» حتى الساعة الواحدة والدقيقة الثلاثين من بعد الظهر. وظلّ يطلق النار بتروّ اقتصاداً لذخيرته، بمعدل ٢٠ رصاصة تقريباً في الساعة على أهداف مختارة.[٣٢] ويحضر إلى جواره، في الساعة السابعة تقريباً، جمعة زهران يتبعه خليل سمّور (29)* ثم عبد المجيد سمّور (51)* وأخوه عبد الحميد (52)* فيشاركون في القتال. وكان عبد المجيد قناصاً ماهراً.[٣٣] وفي هذه الأثناء، كان أبو علي صلاح يطلق النار باستمرار من مدفع رشاش برن من منزله (144)**.[٣٤] ويشتد أزيز الرصاص، وتدوي الانفجارات في عدد من أحياء القرية، ويحاول اليهود الصعود إلى أعالي القرية لكنهم يفشلون في ذلك بسبب شدة النيران من

* الرقم يشير إلى المنزل.

** المنزل 144 كان في الأصل منزل الشيخ محمود صلاح. ولمّا توفي ولم يخلف، تزوج أخوه محمد (أبو علي صلاح) أرملته وأقام في المنزل نفسه، فأصبح لأبي علي صلاح منزلان (111 و 144).

المدافعين المرابطين هناك. وتشهد جميع الروايات اليهودية اللاحقة بقوة مقاومة هذه المنطقة العليا وتصف، خطأً، منزل أبي علي صلاح بـ «منزل مختار دير ياسين» بينما منزل المختار (28) يقع قبالة فرن القرية (H) الذي كان المختار يملكه أيضاً. وتتمكن هذه المجموعة المقاوِمة، مع سائر المقاتلين، من وقف المهاجمين عند الأطراف الشرقية للقرية عدة ساعات، الأمر الذي أدخل اليأس في قلوب اليهود.

* * *

في الساعة الخامسة تبدأ طلائع الجرحى من المهاجمين بالوصول إلى غفعت شاؤول. ويكتب ضابط الهاغاناه المناوب في قيادة دافيد شلتيئيل (قائد الهاغاناه في القدس)، يونا بيتلسون، في دفتر العمليات اليومية: «هوجمت دير ياسين في عملية مشتركة لإيتسل وليحي، ليحي نجحت في عمليتها من جهة غفعت شاؤول وإيتسل اصطدمت بصعوبات، هناك أخبار عن مقاومة لا بأس بها وهناك قتلى وجرحى بين المهاجمين.»[٣٥] وفي الساعة السادسة، يصاب قائد الهجوم بن تسيون كوهين (إيتسل) بجروح خطرة، ويصعب إجلاؤه.[٣٦] ويروي بيتلسون: «كنت مناوباً في هيئة الأركان للهاغاناه تلك الليلة، ويسأل حراسُ الهاغاناه في غفعت شاؤول: ما العمل، المهاجمون عالقون؟ ونصدر لهم الأمر بمساعدتهم.»[٣٧]

ويقول المؤرخ اليميني يوري ملشتاين: «اشتركت رشاشات الهاغاناه في الأحياء [اليهودية] المقابلة لدير ياسين في العملية وأصيب الكثيرون من أهالي دير ياسين من جراء هذه النيران.»[٣٨] ويضيف: «تقدم عدد قليل فقط من إيتسل تحت وابل النيران لملاقاة رجال ليحي وسط القرية.»[٣٩] ويتابع: «عندما نفدت الذخيرة من إيتسل وليحي أعطاهم قائد الهاغاناه في غفعت شاؤول ذخيرة قليلة، وأخذوا من موقعه من دون موافقته مدفعاً رشاشاً من طراز لويس [Lewis].»[٤٠]

ويذكر تعميم وزعته استخبارات الهاغاناه على كبار القادة، في ١٨ نيسان/أبريل، أنه «مع سقوط الجرحى والقتلى الأوائل في أوساط المنشقين [أي إيتسل وليحي] دبّت الفوضى في صفوفهم، كل وحدة صغيرة خاضت المعركة بمفردها ونُفذ الاحتلال بوحشية، عائلات بأكملها قُتلت، وتكدست الجثث فوق بعضها البعض.»(٤١)

ويروي عزرا يخين (ليحي) أنه في الساعة السابعة صباحاً «جاء موفد من إيتسل إلى القطاع الذي كانت فيه ليحي وقال إن رجال منظمته يبحثون في الانسحاب بسبب النقص في الذخيرة، وقال موردخاي بن عوزيهو قائد ليحي الذي لم يكن قد جرح بعد للموفد 'إذهب واقنعهم بعدم الانسحاب فنحن في داخل القرية'.»(٤٢) وفي الوقت نفسه، يصل جريح إلى غفعت شاؤول، بحسب رواية ملشتاين، ويصرخ: «لماذا لا تجلون الجرحى؟». فتصدر الهاغاناه الأوامر إلى سيارة إسعاف نجمة داود الحمراء بالذهاب إلى دير ياسين لإجلاء الجرحى. وتكرر زياراتها ذهاباً وإياباً، ولم يتمكنوا من إجلاء بن تسيون كوهين إلاّ في الساعة الحادية عشرة والدقيقة الثلاثين.(٤٣)

وفي وقت مبكر، يحضر ضابط الاتصال بليحي إلى معسكر البلماح في مدرسة شنلّر، بحسب رواية ملشتاين، ويقول إن رجال إيتسل منهكون ويطلبون المساعدة، فتسرع مجموعة من البلماح في سيارة إلى مقر الوكالة اليهودية في القدس وتحضر مدفع هاون من عيار بوصتين ودليلاً، وتتوجه إلى دير ياسين.(٤٤)

وفي الساعة التاسعة يصل عدّاء (من أفراد القوة المهاجمة) من القرية إلى قيادة موردخاي رعنان، قائد إيتسل في القدس، بحسب رواية الأخير،(٤٥) ويبلّغه أن عدد المصابين عشرون، وأن القوة عاجزة عن التقدم، وأن بن تسيون كوهين الجريح ينتظر التعليمات. فيذهب رعنان وبصحبته يهوشواع غولدشميت، ضابط عمليات إيتسل (الإرغون) في

القدس، إلى القرية «تحت نيران القناصين»، ويجتمعان إلى كوهين الذي يقول لهما: «القرار لكما ولكن حسب رأيي لا توجد فرصة لاحتلال القرية وينبغي لنا أن ننسحب وكان يسود المكان جو من الكآبة.»(٤٦)

في هذه الأثناء، وبحسب رواية المؤرخ اليميني ملشتاين، يصل موفد من إيتسل إلى قيادة لواء عتسيوني التابع للهاغاناه في القدس قائلاً: «إذا لم تساعدونا فنحن هالكون.»(٤٧) ويصدر شلتيئيل أمره إلى قوات البلماح المرابطة في مستعمرة كريات عنافيم، بالقرب من القسطل، بإرسال ثلاث مصفحات إلى دير ياسين ويقول، في شهادة لاحقة: «اضطررت إلى إصدار الأمر إلى البلماح بمساعدتهم لإنقاذهم.»(٤٨) ويقول ضابط عمليات لواء عتسيوني، تسيون إلداد، في شهادة له فيما بعد: «لولا المساعدة التي قدمها البلماح لما كانت إيتسل أنقذت جرحاها ولما كانت استطاعت الاستمرار في العملية.»(٤٩)

لكن تدخل البلماح لم يكن لإجلاء الجرحى فقط، كما تشهد بذلك روايتا قائد القوة/النجدة، يعقوب فوغ، ونائبه أنفسهما. إذ يقول فوغ: «أخبروني عن دير ياسين وعن وضعهم الباعث على اليأس وأنه ليس في مقدورهم إجلاء جرحاهم وطلبوا سلاحاً وتغطية وأشخاصاً.»(٥٠) ويتابع فوغ قائلاً أنه أعطى موفدي زطلر (قائد ليحي في القدس) ٣٠٠٠ رصاصة، وتوجه عند الظهر، بعد الحصول على الأمر من شلتيئيل، إلى دير ياسين على رأس ١٥ محارباً من حراس القوافل مع مصفحتين وتندر ومدفعي هاون ٥٢ ملم وثلاثة مدافع رشاشة (Bren).(٥١) ويكون عدد الإصابات بين المهاجمين قد وصل إلى الأربعين إصابة، كما كان أُصيب كل من ضابط عمليات ليحي موردخاي بن عوزيهو، وقائد القوة الأمامية لإيتسل يهودا سيغل. ويطلب سيغل من مساعد قائد إيتسل، يهودا لبيدوت، أن يجهز عليه. ويروي لبيدوت: «مدّدته على باب وحمله اثنان من زملائه ولكنهما أصيبا فأرسلت آخرين ليعيدوا الثلاثة.»(٥٢)

وتصل قوات البلماح إلى القرية. ويجتمع فوغ إلى قائدي إيتسل وليحي، ويطلب منهما شرحاً تفصيلياً على الخريطة. ويتبين له من أقوالهما أن هناك في القرية، إضافة إلى الجرحى، ٢٥ مقاتلاً يهودياً عاجزين عن الحركة بسبب القناصين، ويخصّان بالذكر منزلاً معيناً (131 أو 144) يقع غربي القرية يطلق القناصون النيران منه. ويروي فوغ: «فأطلقت ثلاث قذائف على الجناح الشمالي للمنزل وتوقفت الطلقات منه.»[٥٣]

ويخبرنا مساعد فوغ، موشيه عيران، أن المهاجِمين والعرب في القرية كانوا متداخلين بعضهم في بعض، وأنه كان يتعذر استخدام مدافع الهاون من دون تعريض رجال إيتسل وليحي للخطر.[٥٤] وهكذا دخلت القرية جماعتان من البلماح، بقيادة فوغ وعيران، «لتصفية مصادر النيران». ويروي كلمان روزنبلات، أحد أفراد قوة البلماح، «انتقلتُ مع ستة أشخاص من منزل إلى آخر، ألقينا قنابل يدوية إلى داخل المنازل قبل أن ندخلها وقابلنا رجال إيتسل وليحي في وسط القرية وانضم بعضهم إلينا وقال الآخرون 'حتى الآن قاتلنا نحن والآن قاتلوا أنتم'.»[٥٥] ويضيف موشيه عيران: «كانت النيران داخل القرية حامية وكان الجرحى من إيتسل وليحي قريبين من النيران وحاولنا الاقتراب منهم وعندئذ جاء عدّاء من طرف القائد شلتيئيل وأمرنا بمغادرة القرية فوراً، أخذنا معنا عدداً من الجرحى وعدنا إلى غفعت شاؤول ولم نصل إلى منزل المختار!!.»[٥٦] ويقصد عيران بمنزل المختار المنزل 144 في أعلى القرية الذي ظنّوه، خطأً، منزل المختار.

ويروي ملشتاين أن جمهوراً يهودياً في حال انفعال تجمّع في مستعمرة غفعت شاؤول، وأنه كان هناك مصوّر من وكالة الصحافة الأميركية يونايتد برس، وأن نساء المستعمرة أخذن يملأن مخازن البنادق والمدافع الرشاشة لإرسالها إلى المهاجمين اليهود في دير ياسين.[٥٧]

ويروي شمعون مونيتا، أحد الأفراد المهاجمين من ليحي: «أزعجنا قناص كان يسيطر على المنطقة كلها من منزل المختار [131 أو 144] وكانت كل طلقة منه من مسافة ٥٠٠ متر صائبة ودخلنا المنازل للاحتماء من القناصين.»[٥٨] ويروي رؤوفين غرينبرغ، من مهاجمي ليحي أيضاً: «قاتل العرب كالأسود وتميزوا بقنص محكم وخرجت النساء من بيوتهن تحت النيران وجمعن الأسلحة التي سقطت من أيدي المقاتلين العرب الجرحى ونقلنها إلى المواقع الداخلية.»[٥٩]

حواشي الفصل الثالث

(١) شهادة عثمانة، زوجة حسن رضوان (أسعد).
(٢) المصدر نفسه.
(٣) شهادة عزيزة عطية، زوجة محمود رضوان (أسعد).
(٤) شهادة أم عيد، زوجة محمد مصطفى عيد (خليفة).
(٥) يوري ملشتاين، «تولدوت ميلحيمت هكوميميوت» (تاريخ حرب الاستقلال)، (بالعبرية)، (تل أبيب: زمورا، بيتان، ١٩٩١)، المجلد الرابع، ص ٢٦٢، ترجمة أحمد خليفة.
(٦) شهادة إسماعيل محمد عطية (سمّور).
(٧) شهادة الحاج داود جابر مصطفى جابر (خليفة).
(٨) شهادة أحمد محمود رضوان (أسعد).
(٩) شهادة داود حسين زيدان (خليفة).
(١٠) شهادة إسماعيل محمد عطية (سمّور).
(١١) المصدر نفسه.
(١٢) شهادة الحاج داود جابر مصطفى جابر (خليفة).
(١٣) ملشتاين، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦٢.
(١٤) المصدر نفسه.
(١٥) شهادة حسين محمد عطية (أسعد).
(١٦) المصدر نفسه.
(١٧) المصدر نفسه.
(١٨) شهادة جمعة محمد زهران (أسعد).
(١٩) المصدر نفسه.
(٢٠) المصدر نفسه.
(٢١) مقابلة المؤلف مع خليل محمد سمّور (ابن المختار) في الزرقاءَ (الأردن)، شتاء سنة ١٩٨٨. وكذلك شهادة خليل محمد سمّور (خليفة) نفسه.
(٢٢) المصدران أنفسهما.
(٢٣) المصدران أنفسهما.
(٢٤) شهادة عزمي إسماعيل عطية (أسعد).
(٢٥) المصدر نفسه.
(٢٦) المصدر نفسه.
(٢٧) المصدر نفسه.

(٢٨) أنظر أعلاه ص ٣٤.

(٢٩) شهادة موردخاي جيحون في: إسحاق ليفي، «القدس في حرب الاستقلال» (بالعبرية)، (تل أبيب: وزارة الدفاع، معاروخوت، ١٩٨٦)، ص ٣٤٠ ـ ٣٤٥، ترجمة نديم روحانا.

(٣٠) يُجمع الشهود من القرية على دور علي قاسم الرئيسي في صد الهجوم الالتفافي.

(٣١) شهادة حسن أسعد رضوان (أسعد).

(٣٢) المصدر نفسه.

(٣٣) المصدر نفسه.

(٣٤) المصدر نفسه.

(٣٥) ملشتاين، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦٢.

(٣٦) المصدر نفسه، ص ٢٦٤.

(٣٧) المصدر نفسه، ص ٢٦٢.

(٣٨) المصدر نفسه، ص ٢٦٦.

(٣٩) المصدر نفسه، ص ٢٦٤.

(٤٠) المصدر نفسه، ص ٢٦٥.

(٤١) المصدر نفسه، ص ٢٧٤.

(٤٢) المصدر نفسه، ص ٢٦٥.

(٤٣) المصدر نفسه.

(٤٤) المصدر نفسه، ص ٢٦٢ ـ ٢٦٣. ومدرسة شنلّر هذه كانت مدرسة ألمانية لتدريب العرب على الصناعات، احتلتها الهاغاناه بعيد صدور قرار التقسيم في ٢٩ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٤٧ وجعلتها قاعدة لقوات البلماح.

(٤٥) شهادة موردخاي رعنان في: إيلان كفير، «يديعوت أحرونوت»، ٤/٤/١٩٧٢، ترجمة رضى سلمان. أنظر أيضاً: ملشتاين، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦٤.

(٤٦) شهادة موردخاي رعنان في: كفير، مصدر سبق ذكره.

(٤٧) ملشتاين، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦٥.

(٤٨) يوسف شابيرا (محرر)، «دافيد شلتيئيل ـ القدس ١٩٤٨» (بالعبرية)، (تل أبيب: مسراد هابتاحون، ١٩٨١)، ص ١٤١، ترجمة نديم روحانا.

(٤٩) ملشتاين، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦٥.

(٥٠) ليفي، مصدر سبق ذكره، ص ٣٤٠ ـ ٣٤٥؛ ملشتاين، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦٥.

(٥١) ملشتاين، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦٥.

(٥٢) المصدر نفسه.

(٥٣) المصدر نفسه، ص ٢٦٥ ـ ٢٦٦.

(٥٤) المصدر نفسه.

(٥٥) المصدر نفسه، ص ٢٦٦.

(٥٦) المصدر نفسه.

(٥٧) المصدر نفسه.

(٥٨) المصدر نفسه، ص ٢٦٣.

(٥٩) المصدر نفسه.

الفصل الرابع

،سمعتُ أنيناً من الداخل

وبكاء طفلة من ناحية أُخرى

فناديت وأجابني صوت يقول 'أنا فاطمة'،

لم تتمكن وحدة البلماح مع مصفحاتها التي اشتركت في القتال عند الظهيرة، كما ذكرنا، من تصفية المقاومين في الأعالي الغربية من القرية قبل انسحابها، مع أنها وصلت قريباً منها عند المنازل 120-127. واسترد المقاومون، بعد انسحاب وحدة البلماح بأمر من قيادتها، بعض المبادرة، حتى أن اثنين منهم (خليل سمّور وأبو علي صلاح) نزلا إلى المنزل 59 وتمترسا به في الساعة الثالثة تقريباً من بعد الظهر، بحسب رواية خليل.[١]

بيد أن المعركة كانت تحولت لمصلحة المهاجمين منذ تدخّل البلماح، وتزامن ذلك مع شحّ متزايد في الذخيرة لدى المدافعين بلغ حدّ النفاد. وكان مختار دير ياسين، محمد سمّور، قد توجه تواً عند بدء القتال إلى القدس طلباً للعون والإمدادات،[٢] ليجد الآلاف من رجال الجهاد المقدس المسلحين يستعدون لاستقبال جثمان عبد القادر الحسيني. وكان مئات منهم تجمعوا عائدين من معركة استرداد القسطل في قرية عين كارم بالذات، على بعد أقل من كيلومترين من دير ياسين، ينتظرون وصول الجثمان من القسطل لمواكبته إلى القدس. ولم يلتفتوا إلى نداءات أُوَل اللاجئات اللاتي وصلن مع أطفالهن إلى عين كارم ناجيات من جحيم دير ياسين. كذلك لم تحرك القوات البريطانية، المرابطة في القدس، ساكناً طوال المعركة. ويروي أحمد عيد[٣] أنه توجه برفقة علي جابر، وكلاهما من دير ياسين، إلى مركز البوليس الرئيسي في «قشلة» القدس حيث قابلا العقيد محمد السعدي طالبين إليه التدخل، فاعتذر لكون الأمر خارجاً عن إرادته. كما أنهما اتصلا باللجنة القومية في المدينة من دون أية جدوى. وكان مجمل النجدة التي وصلت إلى دير ياسين من الخارج شخصين اثنين بالتمام والكمال، هما محمد

البسطي وأحمد شقبوعة من سكان عين كارم، لقرابة بينهما وبين بعض أهالي دير ياسين.(٤) وتروي أم عيد، زوجة محمد عيد، أن أحد أهالي دير ياسين توجه إلى عين كارم، عندما نفدت ذخيرته، عارضاً ابنته للزواج في مقابل الذخيرة؛ فلم يعثر على مستجيب.(٥)

ويصف بتحيا زليفنسكي، قائد قوة ليحي، طريقتهم (أي طريقة ليحي) في القتال: «تقدمت كل جماعة إلى الهدف، نسفنا الأبواب بأصابع جيليغنايت [gelignite]، قذفنا قنابل يدوية إلى داخل المنازل ورشقناها بالرصاص، وهكذا جُرح عرب كثيرون خلال المعركة.»(٦) وكنا ذكرنا أن قائد القوة المهاجمة بن تسيون كوهين (إيتسل) جُرح جرحاً خطراً ووصل إلى قناعة، في الساعة التاسعة صباحاً، بعد قتال دام نحو أربع ساعات، بأن لا سبيل للنجاح ولا مفر من الانسحاب من دير ياسين. فيأتيه موردخاي رعنان، قائد إيتسل في القدس، وبصحبته يهوشواع غولدشميت، ضابط عمليات إيتسل. وبعد التشاور عند أطراف القرية، يتم الاتفاق بينهم جميعاً على استئناف الهجوم لكن بأسلوب «جديد» اقترحه غولدشميت (وهو الذي كان ساق الشاحنة المملوءة بالمتفجرات في عملية نسف فندق الملك داود في القدس سنة ١٩٤٦).(٧) أمّا ما اقترحه غولدشميت فكان تجميع القوة المهاجِمة بأسرها في مجموعة واحدة تتحرك ضد كل منزل على حدة، وتطلق النيران على المنزل بكثافة، ثم يتقدم حملة المتفجرات تحت ستارها لنسفه، وهكذا.(٨) ويروي رعنان أن العمل بموجب هذه الخطة بدأ في الساعة الحادية عشرة: «نسفنا المنزل الأول وبعد كل ربع ساعة كنا ننسف منزلاً آخر ولم يكن لدينا أية فكرة عمن داخل المنازل واعتبرنا كل منزل حصناً قائماً بحد ذاته ووصلنا بهذه الطريقة إلى المنزل الذي أُصيب أمامه 'يفتاح' [وهو الاسم الحركي ليهودا سيغل] قائد قوة إيتسل الأمامية المهاجمة فتبين لنا أنه توفي وتمركز أحد المقاتلين الشباب حاملاً مدفعاً رشاشاً (Bren)

وأنذرنا سكان المنزل بالاستسلام فخرجوا رافعي الأيدي بعد أن شاهدوا ما حصل للمنازل الأُخرى فضغط الشاب على زناد المدفع وقتلهم جميعاً بصلية واحدة صارخاً ‹من أجلك يا يفتاح› وكانوا تسعة بينهم أمرأة وطفل.»[٩]

ويروي مئير باعيل (الذي، كما سبق أن ذكرنا، كلّفته قيادة الهاغاناه مراقبة سير المعركة لتقديم تقرير إليها عن أداء إيتسل وليحي «العسكري») أنه اندسّ بين صفوف المهاجمين ودخل دير ياسين معهم، وتابع القتال من داخل منزل في القرية وبصحبته مصوّر،[١٠] وأنه هو (باعيل) الذي نصح لقائد قوة البلماح (فوغ) ترك الساحة قائلاً له: «هذه العملية لإيتسل وليحي ولا دخل لنا [أي الهاغاناه] بها.»[١١] ويضيف باعيل أن تدخّل البلماح «ليّن» (softened) المقاومة، وإنْ لم يؤدّ إلى استسلام القرية فهو مكّن رجال إيتسل وليحي من «الخروج من مخابئهم» والبدء بـ «تطهيرها».[١٢] ويتابع: «شاهدتهم وكأنه جن جنونهم يركضون في أزقة القرية يدخلون المنازل الواحد تلو الآخر يطلقون النار على من فيها والمصوّر يلتقط هذه المشاهد التي ما زالت حية في ذاكرتي؛ فهنا زاوية منزل فيها امرأة وأطفال وشيخ مذبوحين وهناك منزل فيه رجل وامرأة وأطفال مذبوحين وهنا وهناك يتناثر الجرحى.» ويضيف باعيل قائلاً إن هذه المذبحة لم تتوقف إلاّ بعد الظهر، عندما جاء بعض سكان مستعمرة غفعت شاؤول وأخذوا يزعقون في وجوه رجال إيتسل وليحي.[١٣] وعلى الرغم من شجب باعيل لأسلوب هاتين المنظمتين القتالي ضد المدنيين العزّل، فإن هذا الأسلوب هو نفسه الذي اتبعته قوة البلماح عند تدخّلها في دير ياسين، وهو نفسه أسلوب البلماح والهاغاناه القتالي، في دير ياسين وفي غيرها من قرى فلسطين ومدنها.

وشكل قادة الهاغاناه شبه هيئة أركان حرب لهم في غفعت شاؤول طوال فترة الهجوم على دير ياسين، فكان منهم هناك كل من زلمان مارت

قائد كتيبة «موريا» في لواء عتسيوني، ويشورون شيف المرافق الخاص لشلتيئيل (قائد الهاغاناه في القدس)، وتسيون إلداد ضابط عمليات لواء عتسيوني، إضافة إلى عدد من ضباط الاتصال بكل من إيتسل وليحي.(١٤) وهكذا كانت قيادة الهاغاناه على علم تام بما يجري في دير ياسين ساعة فساعة بعد أن أعطت المنظمتين الإرهابيتين الضوء الأخضر للهجوم، وقدمت لهما ما قدمت من عون ومساندة، كما ورد فيما سبق.

مع ذلك، وحتى بعد نفاد الذخيرة كلياً من المقاومين، وعدم وصول أية نجدة إليهم، وتوقُّف إطلاق النار من المناطق الغربية لدير ياسين، فإن رجال إيتسل وليحي لم يجرؤوا على التقدم نحو ما سمّوه، خطأً، «بيت المختار» (144)، وهو في الواقع منزل أبي علي صلاح*، إلاّ في اليوم التالي (السبت) عندما رفعوا فوقه العلم الصهيوني كما يذكر المؤرخ اليميني ملشتاين.(١٥)

* * *

وإذا كانت شهادات رجال دير ياسين التي أوردناها تعطينا صورة لمسار القتال في القرية، فإن شهادات النساء والأطفال الذين نجوا أو وقعوا في الأسر تعطينا صورة أدق لمعاناة العزّل من شيوخ ونساء وأطفال خلال ذلك اليوم.

وفيما يلي بعضها:

أمضت نزيهة رضوان (٨ أعوام)(١٦) ليلة الجمعة، في ٩ نيسان/ أبريل، في منزل والدها أحمد أسعد رضوان (4) مع أخيها عمر (عامان) في عهدة جدتهما لوالدتهما الحاجة آمنة (٨٠ عاماً) لغياب الوالدين عن المنزل. وكان المنزل يقع عند مدخل القرية في الخط الأمامي قبالة مستعمرة غفعت شاؤول، ويشرف على الخندق المموَّه الذي حفر

* أنظر أعلاه صفحة ٥٤، الحاشية الثانية.

للحيلولة دون عبور المصفحات على الطريق الرئيسية الموصلة إلى دير ياسين. وكان أُقيم على سطح المنزل متراس تمترس به تلك الليلة سبعة مسلحين من أهالي القرية، بمن فيهم رضوان أسعد رضوان (١٨ عاماً) وحسين عطية الذي أوردنا أعلاه وصفه للمعركة الحامية التي دارت بين هذا الموقع وبين المصفحة التي هوت في الخندق. وقد ذُكر سابقاً أن المسلحين على السطح اضطروا إلى الانسحاب بعد نفاد ذخيرتهم، ما عدا رضوان الذي أصيب.(١٧)

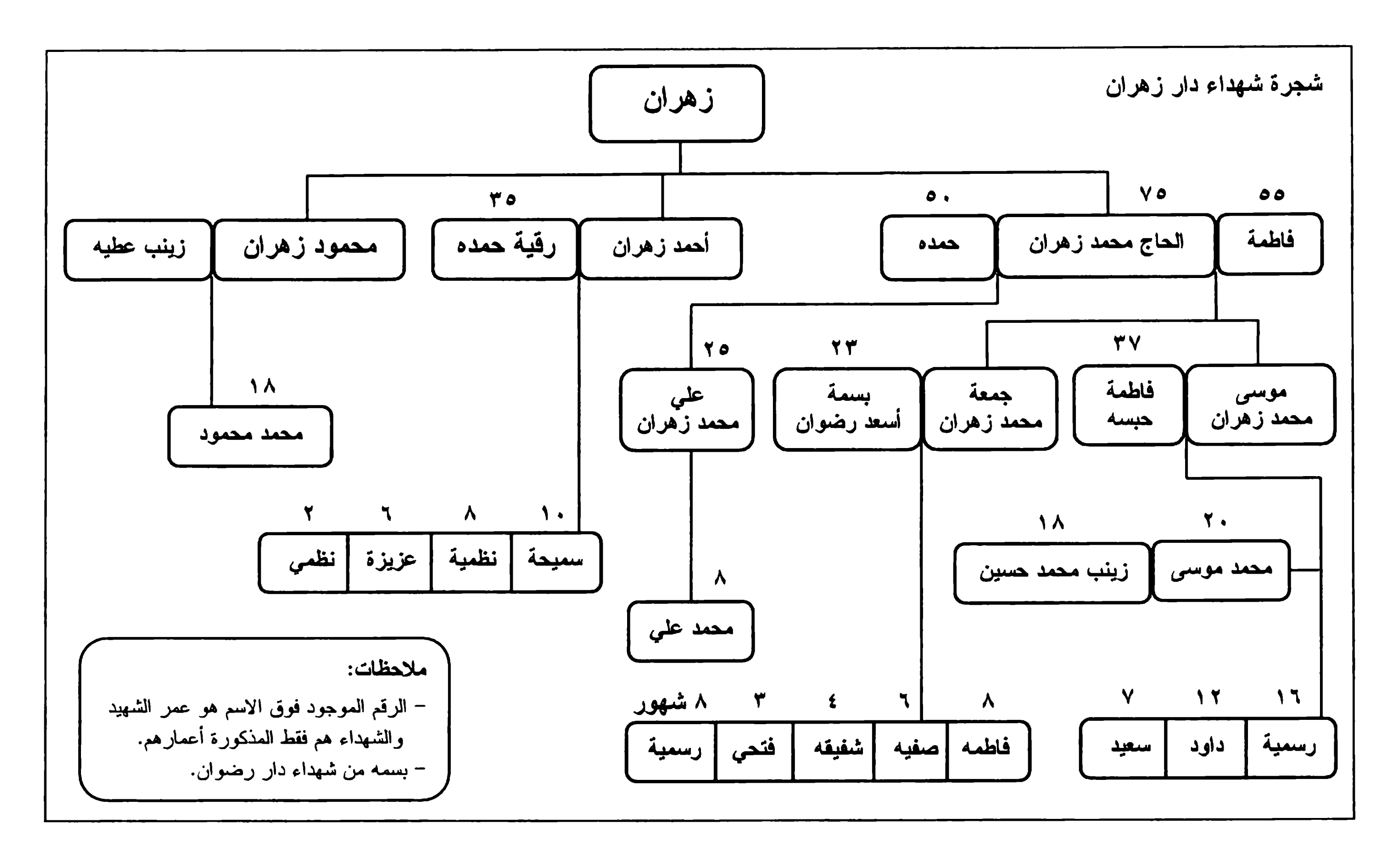
وتروي نزيهة أنها فوجئت برؤية عمها الشاب رضوان يتدحرج جريحاً على السلّم الداخلي المؤدي إلى السطح، وكيف ساعدته الجدة على السير لكنه ما لبث أن أخذ بندقيته وشرع في إطلاق الرصاص من خلال النافذة المطلة على الطريق. ويشاهده المهاجمون فيلقون قنبلة يدوية على المنزل تهزه وتحطم زجاج شرفته، «وأخذتُ أنا وأخي عمر نبكي من شدة الخوف فتقدمت جدتي نحو عمي رضوان وأخذت البندقية منه وخبأتها تحت الفراش وطلبت منه أن ينام فوقه وأخذ اليهود يطرقون الباب بأعقاب بنادقهم ويقولون بالعربية 'إفتحوا وإلاّ ننسف الدار عليكم' وطلبت جدتي الأمان وألاّ يقتلونا فقالوا 'لا نقتلكم' وفتحت جدتي الباب ودخل يهوديان مسلحان ومعهما فتاة مسلحة وسألوا جدتي عن الشخص المسلح وقبل أن تجيب شاهدوه نائماً فسحبوه من السرير وأطلقوا عليه الرصاص ورأيت عمي يترنح ويدور حول نفسه وتقدمت اليهودية منه وصارت تطلق الرصاص على رأسه حتى مزقته فارتعدنا أنا وجدتي من هول المنظر(١٨) ودفعونا إلى الخارج ووضعونا في قن الدجاج وأمرونا ألاّ نغادر القن وساروا نحو القرية وبعد فترة أخذتنا جدتي حاملة عمر على ظهرها عبر بساتين الزيتون نحو أقرب بيت من أقربائنا آل زهران [19–22] عند عمتي بسمة أسعد رضوان [زوجة جمعة زهران الذي أوردنا شهادته سابقاً].(١٩) وقبل وصولنا إلى دار عمتي بسمة [20] بقليل

فوجئنا بيهودي قابلنا وجهاً لوجه يطلق النار على جدتي فسقطت على الأرض وسقط أخي عمر عن ظهرها فارتميت بجانبهما وبعد قليل تفحصتُ جدتي ووجدتها تتضرج في بركة من الدماء وأخذت أبكي وأقلّب أخي عمر وأناديه ولكنه كان قد مات أيضاً مع أني لم أر أثر دماء عليه.(٢٠) ثم تقدمت من منزل عمتي بسمة داخل 'الحوش' الذي كان يضم بيوتاً عدة للعائلة ويا لهول ما رأيت: الجثث أكواماً أكواماً أمام كل باب منها وكان باب دار عمتي محترقاً والدخان يتصاعد من الداخل ولا يمكن رؤية شيء في داخل البيت ورأيت عمتي بسمة مطروحة على مدخل البيت ومن حولها جثث بناتها وابن عمتي فتحي [٣ أعوام] وكان تحت رأس عمتي بركة من الدم وغطاء رأسها ملقى إلى جانب رأسها وبينما كنت أنظر إليها سمعت أنيناً من الداخل وبكاء طفلة من ناحية أُخرى فناديت وأجابني صوت يقول 'أنا فاطمة' فعرفتها لتوي لأنها بنفس عمري وكنا نلعب سوياً، سألتني 'من أنتِ؟' فقلت لها 'أنا نزيهة' فطلبت مني أن أدخل البيت وقلت لها إنني لا أستطيع ذلك 'لأن بيتكم محروق' وطلبتُ منها أن تخرج هي وتأتي عندي فقالت إن رأسها ينزف دماً ولا تستطيع الحركة وعدت إلى عمتي وأخذت أضع يدي على جبينها ورأسها وتلطخت يداي وشعري بدمها واعتراني فزع هائل ورجعت واستلقيت بجانب جدتي وأخي عمر ولشدة خوفي غفت عيناي وكنت قد شاهدت على درج أحد البيوت طفلاً صغيراً رأسه سافلاً ورجليه إلى الأعلى ودمه يسيل من أعلى الدرج ولم أعرف من هو.(٢١) وبعد فترة أفقتُ على وخزات على جسدي فلما فتحت عيناي رأيت يهودياً فوق رأسي يوخزني بكعب بندقيته ومسك بيدي وأنهضني وأمرني أن أتبعه وسرت خلفه إلى أحد البيوت القريبة وله ساحة وكان هناك عدد من المسلحين اليهود يأكلون خبزاً وتطلي ومد أحدهم قطعة خبز عليها تطلي وأخذ يلحس بأصبعه من التطلي حتى يريني أنه جيد ولكنني رفضت من شدة خوفي

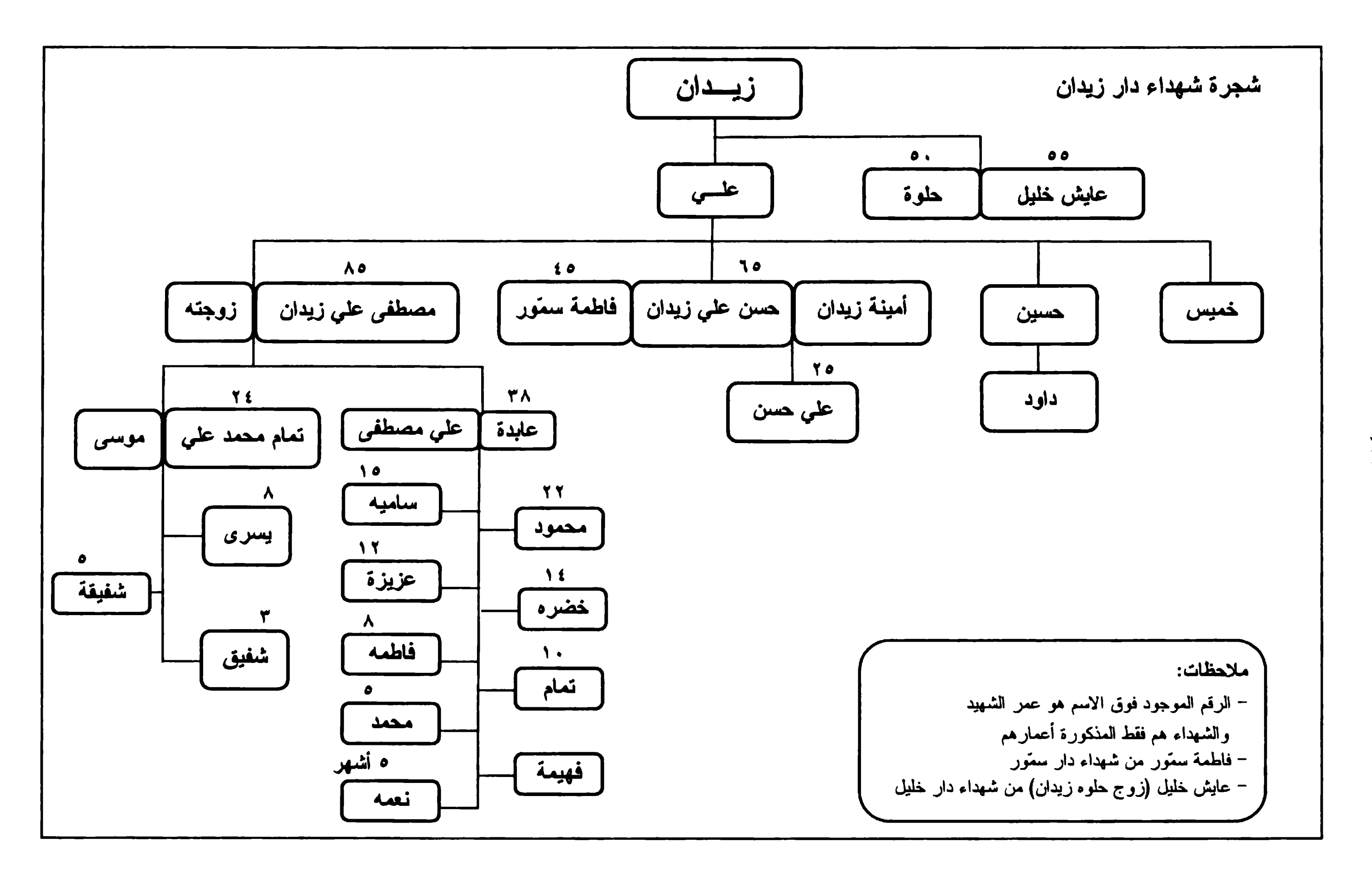
وقام واحد منهم يصوّب بندقيته نحوي بينما قام آخر يدفعها عني وهم يتضاحكون ويتمازحون وسألوني عن والدي فقلت لهم إنه غائب [كان والدها أحمد أسعد رضوان مسافراً مع سائر أولاده إلى بلدة المجدل] وسألوني عن منزلنا فقلت إنه في أول القرية ثم قلت إنني أريد أن أذهب عند أمي وكانت جدتي قد قالت لي إننا إذا لم نجد أمي عند عمتي بسمة فسنجدها عند بيت خالي إبراهيم عطية فسألوني عن مكان أمي فأشرت إلى دار خالي [13] القريبة منا وأخذني أحدهم يحمل بندقية نحو الدار وأخذ يطرق الباب بكعبها ولمّا سمعتْ امرأة خالي صفية ذلك أخذت تستعطف اليهودي من الداخل ألاّ يقتلها فقال لي 'تكلمي معها' فلمّا ناديتُ سمعتْ صوتي وفتحت الباب وهي تحمل راية بيضاء ولمّا رأتني أمي أخذت تناديني وأنا أناديها وكلتانا تبكي وهنا أخرج اليهودي أمي نزهة وامرأة خالي صفية وسار بنا إلى بيت قريب [16] كانوا بدأوا يجمعون النساء والأطفال فيه.»(٢٢)

* * *

كانت منازل آل زهران (19–22) أول «موقع عسكري» سيطرت عليه شرذمة ليحي القادمة من غفعت شاؤول، كما ذكرنا، بقيادة موردخاي بن عوزيهو، وكان حصادها من آل زهران كالتالي:


شجرة شهداء دار زهران
زهران
٥٥
فاطمة
٧٥
الحاج محمد زهران
٥٠
حمده
أحمد زهران
٣٥
رقية حمده
محمود زهران
زينب عطيه
١٨
محمد محمود
١٠
سميحة
٨
نظمية
٦
عزيزة
٢
نظمي
موسى
محمد زهران
٣٧
فاطمة
حبسه
جمعة
محمد زهران
٢٣
بسمة
أسعد رضوان
٢٥
علي
محمد زهران
٨
محمد علي
٢٠
محمد موسى
١٨
زينب محمد حسين
١٦
رسمية
١٢
داود
٧
سعيد
٨
فاطمه
٦
صفيه
٤
شفيقه
٣
فتحي
٨ شهور
رسمية
ملاحظات:
– الرقم الموجود فوق الاسم هو عمر الشهيد
والشهداء هم فقط المذكورة أعمارهم.
– بسمه من شهداء دار رضوان.

وتروي زينب عطية، زوجة محمود زهران،[٢٣] الذي كان منزله (76) بعيداً عن منازل سائر آل زهران وفي وسط القرية، أنها كانت، عند بدء الهجوم، في المنزل مع أخيها موسى عطية (١٥ عاماً) وأولادها: آمنة (٥٠ يوماً) وخليل (عامان) ومريم (٣ أعوام) وسهيلة (٥ أعوام)، وسمعت إطلاق رصاص غزيراً وصراخاً وعويلاً من جهة منازل آل زيدان (39–41) القريبة منها، والتي كان منزلها ذو الطبقتين يشرف عليها. فتنظر عبر النافذة وتشاهد اليهود وقد جمعوا عموم أفراد عائلة زيدان أمام منازلهم الثلاثة، وأخذوا يطلقون الرصاص عليهم،[٢٤] فلا يسلم منهم أحد. ويكون الحصاد من آل زيدان كالتالي:



شجرة شهداء دار زيدان
زيـــدان
علـــي
٥٠
حلوة
٥٥
عايش خليل
٨٥
مصطفى علي زيدان
زوجته
٤٥
فاطمة سمّور
٦٥
حسن علي زيدان
أمينة زيدان
حسين
خميس
٢٥
علي حسن
داود
٢٤
تمام محمد علي
موسى
علي مصطفى
٣٨
عابدة
٨
يسرى
٥
شفيقة
٣
شفيق
١٥
ساميه
١٢
عزيزة
٨
فاطمه
٥
محمد
٥ أشهر
نعمه
٢٢
محمود
١٤
خضره
١٠
تمام
فهيمة
ملاحظات:
– الرقم الموجود فوق الاسم هو عمر الشهيد
والشهداء هم فقط المذكورة أعمارهم
– فاطمة سمّور من شهداء دار سمّور
– عايش خليل (زوج حلوه زيدان) من شهداء دار خليل

وتقول زينب: «رأيت هذا بأم عيني حيث أنني أسكن مقابل منازل هؤلاء وكلهم أفراد عائلة واحدة يعيشون مع بعضهم البعض.»[٢٥] وبعد فترة يقترب من منزل زينب خمسة يهود تصحبهم فتاتان يحملون السلاح وأكياساً في داخلها قنابل يدوية، ويطلبون منها أن تفتح الباب وإلاّ ألقوا قنبلة على المنزل. فترفض وتقول في نفسها: «قنبلة تجهز علينا دفعة واحدة أفضل من أن نُقتل بالرصاص كما فعلوا بعائلة زيدان.» وإذ بهم يقذفون البيت بقنبلة تحطم الباب والزجاج، وتجرح كلاً من آمنة ومريم، ثم يقتحمون المنزل ويمسك أحدهم بأخيها موسى فتستغيث وتستعطف ألاّ يقتله وتعرض عليه مبلغ ٢٠٠ جنيه في مقابل إنقاذه فيُبدي قبولاً ويأخذ المبلغ ويضعه في جيبه، لكنه يدفع بموسى إلى الشارع ويوقفه رافعاً يديه أمام حائط ويرديه. وتتابع زينب: «بعدها أخذتُ أنحني على قدميه متوسلة حتى لا يقتل أطفالي فأخذَنا جميعاً إلى حيث كانوا يجمعون النساء وتركنا هناك.»[٢٦]

* * *

وتروي عزيزة إسماعيل عطية، زوجة محمود أسعد رضوان،[٢٧] وهي التي ـ كما سبق أن ذُكر ـ خرجت من منزلها (130) باكراً وعلى رأسها صينية العجين بعد أن أقفلت الباب على أطفالها الستة وأخذت المفتاح معها،[٢٨] أنها وصلت إلى الفرن (H) فوجدت مجموعة من النساء قد سبقنها. ثم جاء غيرهن فأصبح الفرن يعجّ بنحو ثلاثين امرأة. وأخذ الفران حسين الشريف (٥٠ عاماً)، وهو من مدينة الخليل، وابنه عبد الرؤوف (١٨ عاماً) يشعلان الفرن ويغذّيانه بالحطب والنساء ينتظرن كي يصبح حامياً، وإذ بثلاثة يهود مسلحين يقتحمون الفرن ـ في الساعة الرابعة تقريباً من صباح ذلك اليوم ـ ويطلقون النار على الفران وابنه ويقتلونهما، «فأخذنا نصرخ 'يهود يهود'، ونهرب كل واحدة منا في اتجاه، وسمعتُ إحدى النساء تصيح وتقول 'رموا الفران في الفرن وهو

مشتعل›.(٢٩) وكانت دارنا بعيدة فحاولتُ الاحتماء في دار المختار [محمد إسماعيل سمّور] القريبة [28] فوجدتها مغلقة وإذ بمحمد جودة سمّور يشير إليّ من منزله [25] فركضت نحوه وأدخلني داره وما هي إلاّ لحظات حتى جاءنا محمد محمود سمّور ومعه بندقية فدخل وهكذا أصبحنا في المنزل خمسة: محمد جودة [٥٢ عاماً] وزوجته وابنه محمود [٢٥ عاماً] ومحمد محمود [٣٠ عاماً] وأنا. وأغلقنا الباب وسمعنا أزيز الرصاص ودويّ الانفجارات وصراخاً من كل جانب وبعد فترة قامت ضجة كبرى في دار المختار تبعها إطلاق رصاص وعويل امرأة ثم أخذوا يطرقون بابنا بقوة وهم يقولون ‹إفتحوا› فتقدمتُ نحو الباب وقلت: ‹هل تقتلونا إذا فتحنا؟›، قال أحدهم لا، هل عندكم رجال؟ قلت: نعم. قال: كم رجلاً؟ قلت: ثلاثة. قال: إفتحوا. قلت: إحلف بالعشر كلمات (الوصايا العشر) لا تقتلونا فحلف بالعشر كلمات، فتحت الباب وخرجت من الدار ولكنهم عندما شاهدوا الرجال ألقوا عليهم قنبلة انفجرت داخل البيت وقتلت من فيه.»(٣٠)

وتتابع عزيزة: «هربتُ إلى دار المختار فرأيت الحاجة فضية [٦٠ عاماً]، زوجة المختار، ملقاة ميتة على عتبة المنزل وإلى جانبها جثتا ابنَيْ ابنيها سمّور خليل [١٢ عاماً] وحسين إسماعيل [١٥ عاماً]، وأخذتُ أصرخ وأبكي وحاولتُ الهرب إلاّ إنهم أمسكوا بي، قلت أريد أن أذهب إلى داري حتى أرى أولادي الصغار. قالوا: أين دارك؟ قلت: غرب البلد. قالوا: إذهبي ولكنهم مشوا خلفي وكان الرصاص ينهمر كالمطر فخفت أن أتابع السير لأن أهل القرية كانوا يتمركزون بجانب دارنا [130] فأخذوا يضربونني بأعقاب البنادق ويقولون: إمشي. وتابعت السير حتى وصلت بالقرب من دار الحاج عايش خليل [121] وإذ به قتيلاً [٥٥ عاماً] وبجانبه جثتا زوجته حلوة زيدان [٥٠ عاماً] وابنهما محمد [٢٣ عاماً]، وارتعدتُ من الخوف وفجأة سمعتُ إطلاق رصاص غزيراً والتفتُّ خلفي

وإذ باليهود الثلاثة الذين كانوا يتبعونني يصابون، لا أعرف كيف أو من أين جاء الرصاص وحاولتُ الهرب وإذ بيهودي ومعه يهودية يظهران فجأة وتمسك هي بي وتدفعني برشاشها باتجاه بيت مصطفى عيد [16] حيث اجتمعت النساء وشاهدتُ في الطريق إلى بيت مصطفى عيد وعند منزل محمد عيد [68] جثة عمي والد زوجي الحاج أسعد رضوان [٨٥ عاماً] وشاهدتُ اثنين من اليهود يركلان طربوشه كما شاهدتُ جثة موسى سمّور [٤٨ عاماً] بجانب داره [27] مقطوعة اليدين.»(٣١)

* * *

ولاستشهاد الحاج أسعد قصة يرويها حفيده أحمد (١٧ عاماً).(٣٢) ذلك بأن أحمد أسرع إلى منزل جده (116) فور بدء المعركة ليخبره بما يجري فوجده قد فرغ من صلاة الفجر يتلو آيات الذكر الحكيم. «قلت له بصوت ملهوف: سيدي سيدي، أجاب منذهلاً: ماذا حدث؟ قلت: ألا تسمع أصوات الرصاص والقنابل؟ لقد هجم اليهود.» وقام الجد تواً وقبّل المصحف ووضعه على الطاولة ولبس عباءته وطربوشه وحمل عصاه وخرج متمتماً أن لا بد له من الوصول إلى منزل ابنه أحمد (4) عند مدخل القرية، حيث جرت المعركة مع المصفحة كما سبق أن ذكرنا. ويتابع أحمد: «سرتُ وراء جدي، وسلك أولاً ممراً قرب دار الحاج جابر [83] لكنه عاد بسبب غزارة الرصاص بين المدافعين والمهاجمين وذهب من زقاق آخر لينفذ إلى الطريق الرئيسية وفجأة يقفز يهوديان مسلحان من وراء جدار أمام دار الحاج عيسى عيد [61] ويقبضان عليه ورأيت أحدهما يسير خلفه مصوباً بندقيته إلى رأسه فيلتفت جدي إليه ملوحاً بعصاه وإذ بي أسمع طلقات لم أعد بعدها أرى جدي. وبقيت فترة في مكاني حتى أعرف مصير جدي وإذ بمحمود زهران [76]* يبرز فجأة ويمسكني بيدي ويحمل بندقية باليد الأُخرى ويقول: هيّا إلحقني

* الرقم يشير إلى المنزل.

لقد قتلوا جدك.»[٣٣]

* * *

وتروي سكينة (٩ أعوام)،[٣٤] ابنة عزيزة إسماعيل عطية، التي تركتها والدتها مع أخويها جمال (عام ونصف عام) وأحمد (١١ عاماً)، وأخواتها ثريا (٤ أعوام) وفاطمة (١٢ عاماً) ورفقة (١٤ عاماً)، وأقفلتْ عليهم الباب لتتوجه إلى الفرن، أنها استأذنت والدتها عصر يوم الخميس، الواقع فيه ٨ نيسان/أبريل، أي في اليوم السابق للواقعة، من أجل شراء دفتر للقيام بواجبها المدرسي في النسخ والحساب، من أحد دكاكين القرية الثلاثة، إذ كانت في الصف الثاني الابتدائي وحريصة على إرضاء معلمتها حياة البلابسة. وتضيف سكينة أن المعلمة كانت من القدس، وتأتي منها إلى القرية يومياً قبل إقفال الطريق الرئيسية، لكنها درجت بعد إقفالها على المبيت في دير ياسين والتردد على أهلها في القدس بين الحين والآخر عن طريق عين كارم الوعر. وكانت سكينة ورفيقاتها في الصف ينتظرن المعلمة وقت موعد عودتها من القدس ليحملن عنها ما تحمله من حاجات.[٣٥] واستيقظت سكينة من نومها مذعورة، فجر يوم الجمعة عند الهجوم على القرية، على صوت دوي الرصاص والقنابل، وأيقظت أختها فاطمة التي كانت تنام إلى جانبها، ثم أيقظت الباقين وحاولوا جميعاً الخروج من المنزل فوجدوا الباب مقفلاً، لكنهم عثروا على مفتاح باب غرفة الضيوف وخرجوا منه، ناسين الطفل جمال (عام ونصف عام) في سريره. واندفعوا من دون وعي إلى وسط القرية وفوجئوا بالنساء والأطفال يهرعون نحوهم فيتبعونهم إلى أحد المنازل (136–139) الواقعة في طرف القرية على طريق عين كارم. وشاهدت سكينة معلمة المدرسة حياة في قميص نوم أصفر تساعد النساء على الهروب لمعرفتها بالطريق، وتجد سكينة نفسها وقد أمسكت بطرف ثوب امرأة تتبعها حيثما تذهب في الطريق إلى عين كارم.[٣٦] ويحدثنا داود

زيدان (٢٥ عاماً)[٣٧] أنه كان كُلِّف إخراج المعلمة حياة وإيصالها إلى عين كارم، لكنها تمتنع وتقول: «كيف أترك الناس يموتون وأهرب؟ أتمنى أن أُقتل هنا.» وأشارت بإصبعها إلى جبينها وعادت إلى القرية تحاول إسعاف الجرحى.[٣٨] وتروي أم عيد، زوجة محمد مصطفى عيد، أنها تمرّ وهي في طريقها عبر وسط القرية حاملة ابنها الرضيع (ستة أشهر) وهاربة في اتجاه عين كارم، أمام منزل عيسى أحمد عليا (112) فتجده مصاباً إصابة خطرة وترى المعلمة حياة راكعة إلى جانبه تسعفه وإذ بالرصاص ينطلق فتصيب رصاصة المعلمة في جبينها وتسقط صريعة فوق عيسى (٥٥ عاماً) ـ الذي ما لبث أن فارق الحياة ـ وهي في الرابعة والعشرين من عمرها.[٣٩]

حواشي الفصل الرابع

(١) مقابلة المؤلف مع خليل محمد سمّور (ابن المختار) في الزرقاء (الأردن)، شتاء سنة ١٩٨٨. وكذلك شهادة خليل محمد سمّور (خليفة) نفسه.

(٢) المقابلة والمصدر أنفسهما.

(٣) شهادة أحمد الحاج خليل محمد عيد (خليفة).

(٤) مقابلة المؤلف مع خليل محمد سمّور (ابن المختار) في الزرقاء (الأردن)، شتاء سنة ١٩٨٨؛ شهادة فاطمة إسماعيل سمّور (أم صفيّة) بواسطة أحمد خليفة؛ دراسة محفوظ عبد العزيز سمّور التي وصلتنا عن طريق يوسف أسعد.

(٥) شهادة أم عيد، زوجة محمد مصطفى عيد (خليفة).

(٦) يوري ملشتاين، «تولدوت ميلحيمت هكوميميوت» (تاريخ حرب الاستقلال)، (بالعبرية)، (تل أبيب: زمورا، بيتان، ١٩٩١)، المجلد الرابع، ص ٢٦٣، ترجمة أحمد خليفة.

(٧) أنظر أعلاه ص ٣٣.

(٨) ملشتاين، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦٥.

(٩) شهادة موردخاي رعنان في: إيلان كفير، «يديعوت أحرونوت»، ١٩٧٢/٤/٤، ترجمة رضى سلمان.

(١٠) أنظر أعلاه ص ٣٧.

(١١) رون ميفراغ، «دير ياسين»، في: مجلة «مونيتان»، العدد ٣٢، نيسان/أبريل ١٩٨١، ص ٣٦ ـ ٤٠، ترجمة نديم روحانا.

(١٢) شهادة مئير باعيل في: كفير، مصدر سبق ذكره.

(١٣) المصدر نفسه.

(١٤) ملشتاين، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦٢.

(١٥) ورد ذكر احتلال «منزل المختار» في اليوم التالي لبدء الهجوم، أي السبت ١٠ نيسان/أبريل، في شهادة يهوشواع زطلر، قائد ليحي في القدس. أنظر الشهادة في: كفير، مصدر سبق ذكره.

(١٦) شهادة نزيهة أحمد أسعد (أسعد).

(١٧) شهادة حسين محمد عطية (أسعد). أنظر أعلاه ص ٤٩ وما يليها.

(١٨) شهادة نزيهة أحمد أسعد (أسعد).

(١٩) شهادة جمعة محمد زهران (أسعد). أنظر أعلاه ص ٥٠ وما يليها.

(٢٠) شهادة نزيهة أحمد أسعد (أسعد).

(٢١) المصدر نفسه.

(٢٢) المصدر نفسه.

(٢٣) شهادة زينب عطية، زوجة محمود زهران (أسعد).

(٢٤) المصدر نفسه.

(٢٥) المصدر نفسه.

(٢٦) المصدر نفسه.

(٢٧) شهادة عزيزة عطية، زوجة محمود أسعد رضوان (أسعد).

(٢٨) أنظر أعلاه ص ٤٥.

(٢٩) شهادة عزيزة عطية، زوجة محمود أسعد رضوان (أسعد).

(٣٠) المصدر نفسه.

(٣١) المصدر نفسه.

(٣٢) شهادة أحمد محمود رضوان (أسعد).

(٣٣) المصدر نفسه.

(٣٤) شهادة سكينة، ابنة عزيزة عطية زوجة محمود أسعد رضوان (أسعد).

(٣٥) المصدر نفسه.

(٣٦) المصدر نفسه.

(٣٧) شهادة داود حسين زيدان (خليفة).

(٣٨) المصدر نفسه.

(٣٩) شهادة أم عيد، زوجة محمد مصطفى عيد (خليفة).

الفصل الخامس

«أجهزنا على أسرانا وكذلك على الجرحى...

وقررنا الإجهاز على الأسيرات»

سخّرت المنظمتان الإرهابيتان إيتسل (الإرغون، التي كان قائدها الأعلى مناحم بيغن مقيماً بتل أبيب) وليحي (شتيرن، التي كان قائدها الأعلى يتسحاق شمير) الأسرى من النساء والشيوخ، وحتى الأطفال، للقيام بثلاث مهمات: **الأولى**، إرغامهم بقوة السلاح على السير أمام «مقاتليهما» في اتجاه مواقع الدفاع عن دير ياسين للاحتماء بهم من رصاص المدافعين؛ **الثانية**، إرغامهم، حتى المسنّات بينهم، على أن ينقلوا تحت الرصاص جرحاهما وقتلاهما من الأمكنة الخطرة في أرض المعركة إلى مناطق أكثر أماناً، أو إلى سيارات الإسعاف؛ **الثالثة**، استعمالهم غطاء وخديعة كي يفتح الأهالي أبواب منازلهم لإخراجهم منها وأسرهم والاستيلاء على محتويات المنازل.

أمّا الجرحى والأسرى العرب من دير ياسين فيخبرنا عنهم يهوشواع غورودونتشيك، الضابط الطبيب الذي رافق قوة إيتسل (الإرغون) المهاجِمة، في شهادة له أودعها أرشيف مؤسسة جابوتنسكي في تل أبيب: «بعد أن تكبّدنا العديد من الإصابات فكرنا في الانسحاب من القرية وبالإجهاز (destroy) على الذين كنا قد أسرناهم وبالفعل أجهزنا عليهم وعلى الجرحى كذلك، لأنه لم يكن في وسعنا على كل حال أن نقدم أية إسعافات لهم وكذلك قررنا الإجهاز على الأسيرات اللواتي رفضن الانصياع لأوامرنا بالتوجه نحو مراكز تجمع الأسرى.»[١]

وتروي زينب سمّور أنه عندما كانت مع شقيقتها في أحد مراكز تجمع الأسرى، سمعتا بكاء طفلة فطلبت شقيقتها من أحد الحراس السماح لها بأن تأتي بها ـ وكانت الطفلة في دار خالها ـ وقالت للحارس: «أنا آخذها وأربّيها». وعندما وصلت إلى البيت رأت خالها وزوجته وزوجة ابنه وأطفال العائلة جميعاً قتلى يسبحون في بركة من الدماء،

ووجدت طفلة رضيعة ممسكة بثدي أمها باكية، فما كان من الحارس إلاّ أن صوّب رشاشه إلى الطفلة وقتلها. وتضيف زينب: «أصاب شقيقتي خوف كبير ورعشة شديدة استمرت معها حتى لحقت بشهداء دير ياسين.»[٢] وتروي والدة محمود سمّور أنها بعد أن اقتيدت كي تسير أمام المهاجمين لدخول البيوت، وأعيدت إلى المكان المخصص للأسيرات، أبصرت على الطريق جريحاً من أهالي القرية تتدفق الدماء منه فحاولت التوقف لإسعافه، وإذ بضربة شديدة على ظهرها من حارسها تعقبها ضربات، ثم يأمرها بمتابعة السير.[٣] وتروي زوجة موسى عطية أنها عندما أُخرجت من منزلها شاهدت جثة زوجها عند الباب، فحاولت النظر إليه وإذ بحارسها يلطمها ويسألها عن هوية القتيل فتنكر معرفتها به.[٤] وتروي فاطمة (أم صفية) أنه عندما أسروا الشيخ يوسف أحمد حميدة (٧٠ عاماً) جذبوه من لحيته وشتموه قبل إعدامه.[٥]

* * *

وتعرضت الأسيرات جميعاً، من دون استثناء، لسلب كل ما عليهن من الحلى والأساور والخواتم والنقود وأغطية الرأس المزينة بالعملات الفضية والذهبية التي اشتهرت بها نساء ريف فلسطين، وذلك بعد أن فُتِّشن بأسلوب علني مهين تناول الألبسة الداخلية من قبل يهوديات مسلحات وصل بهن الجشع إلى حد تمزيق الآذان وهن ينتزعن الأقراط. وقد شهد على ذلك فيما بعد ريتشارد كاتلينغ، نائب المفتش العام للبوليس البريطاني في فلسطين، الذي قابل الأسيرات وهن في هذه الحالة بعد وصولهن إلى القدس.[٦] وتروي نزيهة رضوان أنه بعد أن جمعوا نساء القرية وعدداً من الأطفال في أحد مراكز تجمع الأسرى، «جاءت فتيات يهوديات مسلحات وطلبن من الجميع أن يخلعن كل ما عليهن من مصاغ ونقود ووضعن حراماً على الأرض لإلقائها عليه.»[٧]

* * *

بعد أن توقفت المقاومة بسبب نفاد الذخيرة وعدم وصول أية نجدة أصعد اليهود الأسرى، من شيوخ ونساء وأطفال، إلى شاحنات وهم يهددونهم بأسوأ العواقب. وروت زينب، زوجة محمود زهران: «قدم شخص وقال أنه سيلقي علينا قنبلة تقتلنا جميعاً دفعة واحدة ولكن آخر أمسك به ومنعه من ذلك ثم أحضروا حبالاً وقالوا أنهم قرروا شنقنا وأنه يمكننا أن نختار بين الشنق والحرق وتصدت لهم شقيقتي الكبيرة وقالت: ولـمَ لا تختارون أنتم ما تريدون؟ ولكني ضربتها لشدة خوفي على أنفسنا وقلت لهم سلِّمونا للحكومة فهي أرحم.»[٨]

وطاف اليهود بهؤلاء الأسرى في موكب نصر على مرحلتين: الأولى، حين توقفت الشاحنات عند مستعمرة غفعت شاؤول، وهي أقرب المستعمرات إلى دير ياسين، حيث أُنزلوا وجرى تفتيشهم أمام سكان المستعمرة الذين كانوا يسخرون ويشتمون ويبصقون عليهم؛ والثانية، عندما نقلتهم الشاحنات إلى وسط الأحياء اليهودية في القدس، إذ اصطف السكان على جوانب الشوارع «يشتموننا ويرموننا بالحجارة والقاذورات» ـ وهذا بحسب رواية عزيزة، زوجة محمود رضوان.[٩] ويصف الصحافي اليهودي البريطاني هاري ليفين، في مذكراته، موكب النصر هذا بقوله: «شاهدت بعد ظهر يوم الجمعة ٩ نيسان/ أبريل ثلاث شاحنات تسير ببطء ذهاباً وإياباً في جادة الملك جورج وهي تحمل أسرى دير ياسين من شيوخ ونساء وأطفال رافعي الأيدي يخفرهم يهود مدججون بالبنادق والرشيشات وكان في مقدمة إحدى الشاحنات صبي صغير وعلامات الهلع على وجهه ويداه مجمدتين إلى الأعلى.»[١٠] ويقول غابريئيل شتيرن: «في ذلك اليوم، شاهدت من موقعي في شارع هنيغئيم الناجين من المذبحة يساقون أمامي في موكب نصر مقرف.»[١١] ويقول يعقوب غيل، الذي كان شاهد عيان وأصبح عضو كنيست لاحقاً: «عندما مرت الشاحنات في حي نحالوت الذي كنت أقطن فيه أخذت الجماهير تبصق

على الأسرى وتقذفهم بالحجارة وبأقذر الشتائم وكان مشهد الهستيريا الجماعية هذه والأسرى ملتصقين ببعضهم البعض للحماية منظراً بشعاً مهيناً لا سابقة له.»[١٢] ولم ينته موكب النصر هذا إلاّ بعد أن اضطرت الهاغاناه إلى التدخل وإرغام رجال إيتسل وليحي على تسليمها الأسرى. وقد سلّمت الهاغاناه هؤلاء الأسرى إلى قوات الجيش البريطاني التي أوصلتهم، بدورها، إلى الأحياء العربية في القدس. وكان عدد الأسرى نحو مئة وخمسين.

* * *

وإذا كانت النجاة نصيب هؤلاء الأسرى، مهما كانت معاناتهم قاسية وحزينة، فإن النجاة لم تكن نصيب نحو عشرين رجلاً من الأسرى وقعوا في قبضة إيتسل وليحي وشاهد مصيرهم مئير باعيل، الضابط في استخبارات البلماح.[١٣] وكنا ذكرنا أن قيادة الهاغاناه (التي كان البلماح تابعاً لها) كلّفت باعيل، بحسب قوله، الاندساس بين صفوف المهاجمين لمراقبة الأداء «العسكري» لإيتسل وليحي خلال المعركة ورفع تقرير إليها. ويقول باعيل: «في ساعات الظهيرة قبضوا على ما بين عشرين وخمسة وعشرين رجلاً كانوا عزّلاً من السلاح عندما رأيتهم وأصعدوهم إلى شاحنات واتجهوا بهم نحو القدس وسمعت فيما بعد أنهم طافوا بهم في جولة في أحياء القدس وكانت هناك صيحات حماسية من الجمهور بعضها يقول 'خذ عشرة جنيهات واسمح لي أن أقتل واحداً منهم'، ولكنهم لم يسمحوا بذلك، بل أعادوا هؤلاء العرب إلى القرية وأنزلوهم إلى محجر بين غفعت شاؤول ودير ياسين وجعلوهم يصطفون عند حائط المحجر وأطلقوا عليهم الرصاص وقتلوهم جميعاً. شاهدت ذلك بأم عيني بعد الظهر وكان معي مصوّر التقط صوراً لهذا المشهد.»[١٤]

* * *

لم يقتصر السلب والنهب على حلى النساء وأقراطهن، بل شمل

أيضاً موجودات القرية وموجودات منازلها كافة. ويقول المؤرخ الفلسطيني عارف العارف فيما يتعلق بالوضع الاقتصادي لدير ياسين: «بعض سكان دير ياسين مزارعون والبعض تجار ومقاولون ولهم محاجر وكسّارات ومطاحن وسيارات ولهم أملاك في مدينة القدس وجلّهم، إنْ لم نقل كلهم، أغنياء يعيشون عيشة تدل على السعة والثراء.»(١٥)

ويقول المؤرخ الإسرائيلي اليميني ملشتاين إن رجال إيتسل وليحي «قاموا بجمع الغنائم: سكر، زيت، طحين، مواد غذائية أُخرى بكميات كبيرة وأيضاً قطيع أغنام ودجاج كثير وذهب وجنيهات استرلينية ودولارات ومصاغ.»(١٦) ويقول يهودا مرينبيرغ (ليحي) أنه تولى بنفسه توزيع الغنائم بين المنظمتين، وأن يهوشواع غولدشميت مثّل إيتسل في هذا الأمر.(١٧) ويروي يتسحاق ليفي، رئيس استخبارات الهاغاناه في القدس، في مذكراته: «صودرت [من دير ياسين] كميات كبيرة من الغذاء لكن كميات السلاح التي صودرت كانت قليلة وصودرت أيضاً كميات كبيرة من المال والأدوات المنزلية ووقعت حوادث نزاع وتشاجر على الغنائم بين القادة والأنفار وساد جو من الاستياء بين رجال ليحي لحصة إيتسل من الغنائم بسبب اعتبارهم أن دور إيتسل في القتال كان أقل فعالية من دورهم.»(١٨) ويروي شاهد عيان يهودي اكتفى بإعطاء الحرفين الأولين من اسمه (.D.A) أنه شاهد في مساء يوم الجمعة، الواقع فيه ٩ نيسان/أبريل، رجال ليحي وإيتسل يسوقون قطعان الماعز من القرية.(١٩) ويروي شاهد عيان يهودي آخر (الحرفان الأولان: .Y.A) دخل القرية بعيد خروج إيتسل وليحي منها: «كانت آثار السرقة والنهب بادية في كل شيء وأينما نظرت. وجدنا الخزائن في منازل القرية وقد قُلبت رأساً على عقب لإفراغها من محتوياتها، والفرش وقد شُقّت ومُزّقت بحثاً عما قد تخبئه.»(٢٠)

وكتبت هاداسا أفيغدوري في يومياتها،(٢١) بعد يومين (١١

نيسان/أبريل)، وهي من أفراد قوة البلماح المرابطة في معسكر شنلّر في القدس الغربية الذي انطلقت منه وحدات البلماح التي ساهمت في الهجوم على دير ياسين: «تصل باستمرار إشاعات عن الوحشية العمياء والتعطش للدم، أطفال وشيوخ مسالمون، تنكيل بالأسرى والقتلى، تنكيل ببشر... وسلب ونهب على أيدٍ سبّاقة للقتل...». وتذهب هاداسا لتمضية إجازة آخر الأسبوع (السبت، ١٠ نيسان/أبريل) في منزل أبويها وتعود صباح الأحد: «عندما عدتُ هذا الصباح [كتبتْ في يومياتها] شاهدتُ رفيقتي 'ل' تقف متأنقة في ثوب فلاحي عربي مطرَّز وعندما أبديت استغرابي وسألتها من أين لها هذا الثوب أجابتني واحدة من الفتيات كانت مغطّاة كلها ببطانية بما في ذلك رأسها بصوت خافت: إن 'ل' أحضرت هذا الثوب من دير ياسين وقد جلبوا من هناك 'لقطات' متنوعة وبينما كانت الفتيات يسألنني 'ألا تسمعين قرقرة الدجاج في الساحة؟' أصابني غثيان وخجل وغضب وألم ونهضت ورجعت عائدة إلى المنزل.»[٢٢]

لكن هاداسا تعود إلى المعسكر عند المساء لتجد موشيه دايان، الذي كان حضر من تل أبيب في زيارة خاطفة للمعسكر، جالساً على الأرض مترئساً حلقة من الجنود وإلى جانبه يعقوب فوغ، قائد قوات البلماح في المعسكر. والذي قاد وحدات البلماح لنجدة إيتسل وليحي في معركة دير ياسين ظهر الجمعة (٩ نيسان/أبريل)، كما ذُكر سابقاً. وكان دايان، في حينه، ضابط أركان في هيئة الأركان العامة للهاغاناه، وأصبح فيما بعد رئيس أركان الجيش الإسرائيلي ثم وزيراً للدفاع والخارجية.

وتكتب هاداسا: «انتظرتُ حتى أسمع من أحد القادة كلمة تعبّر عن الاشمئزاز أو الغضب أو الأسف عما حصل في دير ياسين أو تدعو إلى التقيد ببعض المبادىء الأخلاقية وكان هذا أول لقاء لي مع موشيه دايان

الذي كنا قد سمعنا الكثير عن جرأته ومواهبه القيادية. وانتظرت طويلاً آملة أن يعبّر دايان عن هذه المشاعر أو على الأقل أن يحدد ما يجوز عمله أثناء القتال وما لا يجوز ولكن لم يتكلم أحد من القادة في هذه الأمور وعندما حاولت مع آخرين طرح بعض الأسئلة وأخذ النقاش يتطور ببطء أسكتونا معلنين أنهم سيوزعون علينا فوراً الحساء الساخن الممزوج بقطع الدجاج وحيث أننا لم نكن قد تناولنا منذ فترة مديدة مثل هذا الطعام الشهي كان واضحاً أن هذا الأمر يحتل الأولوية على أي موضوع آخر، فجلسنا جميعاً نحتسي الحساء وشاركتهم في ذلك رغم أنني كنت أبلع الطعام بحلق مختنق.»[٢٣]

وهكذا لم يقتصر السلب والنهب من دير ياسين على المنظمتين الإرهابيتين إيتسل (الإرغون) وليحي (شتيرن)، بل اشتركت فيهما أيضاً صفوة وحدات الهاغاناه: البلماح، من دون سؤال أو جواب من كبار قادته. ويؤكد بيان صدر عن ليحي في ١٣ نيسان/أبريل، عقب اتهام الهاغاناه للمنظمتين الإرهابيتين بأنهما قامتا بنهب القرية، أنه بعد دخول قوات الهاغاناه دير ياسين في ١٢ نيسان/أبريل، في إثر خروج رجال هاتين المنظمتين، لم تتردد هذه القوَات نفسها في نهب ما بقي من مؤن وغذاء في القرية. كما يؤكد البيان أن شركة المقاولات الكبرى، سوليل بونيه، التابعة لنقابة العمال (الهستدروت) ولقيادة حزب العمال، بدأت تواً بالاستيلاء على الكسّارات والمعدات في محاجر دير ياسين ونقلها بشاحنات إلى عنابرها.[٢٤]

* * *

لنعد إلى يوم الجمعة، ٩ نيسان/أبريل، في دير ياسين: أخيراً، تحرك دافيد شلتيئيل، قائد الهاغاناه في القدس. وهو، كما ذُكر سابقاً، كان أرسل إلى إيتسل وليحي رسالة في ٧ نيسان/أبريل (أي قبل الهجوم بيومين) يوافق فيها على الهجوم على دير ياسين شرط أن يحتفظ

المهاجمون بها.[٢٥] ففي الساعة الثانية والدقيقة الثلاثين من بعد ظهر يوم الجمعة، أي بعد مضي عشر ساعات على بدء القتال، يستدعي شلتيئيل موردخاي رعنان، قائد إيتسل في القدس (الذي كان في القرية)، إلى مقابلته في مستعمرة غفعت شاؤول. ويروي رعنان أنه عندما قابل شلتيئيل قال (رعنان) له:[٢٦] «انتهينا، القرية احتُلَّت، أجلينا جميع العرب الذين لم يُقتلوا، استلِموا [أي الهاغاناه] القرية.» ويطلب شلتيئيل أن تبقى قوات إيتسل وليحي في القرية، ويرفض رعنان ذلك قائلاً: «نحن جيش مقاتل ومقتحم وليست مهمتنا المحافظة على مواقع.» ويطلب شلتيئيل من مرافقه يشورون شيف ومن تسيون إلداد، ضابط عمليات لواء عتسيوني (وهو لواء الهاغاناه المرابط في القدس)، أن يدخلا القرية مع رعنان ليقدرا حجم القوة الضرورية للاحتفاظ بها. ويقوم الثلاثة بجولة في القرية ويصلون إلى ركام منازل مدمرة، ويقترب شيف منها ويعود ليقول لرعنان: «هذا مرعب وفظيع، هناك جثث ممعوسة.» ويتابع رعنان: «دخلت وشاهدت منظراً بالفعل مفزعاً جداً.» ويعود الثلاثة إلى شلتيئيل، ويقول إلداد إن سرية من قوات الغدناع (الشبيبة) تستطيع، في تقديره، الحفاظ على القرية. ويعترض شيف على ذلك قائلاً: «لا يجوز إرسال فتيان الغدناع لمشاهدة أشلاء الجثث المريعة.» عندئذ يلحّ شلتيئيل على رعنان في ضرورة «تنظيف» القرية. ويعود شيف مع رعنان لمحاولة ذلك.[٢٧] ويضيف رعنان: «خارت قوى الرجال تحت وطأة هذا العمل، رفعوا كتلاً من الأسمنت والأحجار المقدسية من أجل إخراج أشلاء الجثث من المباني وكان ذلك مريعاً وخارت عزيمتهم وعندها قال لي يهودا لبيدوت [قائد قوة إيتسل في دير ياسين]: 'من السخف أن نطلب من رجالنا فعل ذلك وأنا لا أنوي أن أفعل ذلك، كفى'، وبقيت الجثث في المكان.» ويعود رعنان قبيل المساء إلى القدس ويقول لشلتيئيل، في مكالمة هاتفية، إن قوات إيتسل وليحي ستخلي القرية

صباح غد، السبت ١٠ نيسان/أبريل. ويطلب شلتيئيل منه الاحتفاظ بها على الأقل إلى يوم الأحد.[٢٨]

ويروي موردخاي جيحون، ضابط استخبارات الهاغاناه في منطقة دير ياسين، أنه كُلِّف دخول دير ياسين بعد الظهر من يوم الجمعة، لإقناع المحتلين بتنظيفها وبألاّ يتركوا الجثث من دون دفن: «قلت لهم لا تلقوا الجثث في الحفر والكهوف لأن هذا هو أول مكان سيجري البحث عنها فيه.»[٢٩] ويتابع جيحون: «كان ذلك بعد خدمة في الجيش البريطاني في أوروبا وبعد الالتقاء بالناجين من المحرقة في المعسكرات، كنت مستعداً لتقبل كل شيء عن الألمان ولكني كنت ساذجاً بخصوص حروبنا ومحاربينا وكانت زيارتي إلى دير ياسين صدمة أخلاقية بالنسبة لي لأني لم أكن شاهدت قبل ذلك بأم عيني هذا العدد الكبير من الجثث واليوم أعرف أن أموراً كهذه ارتُكبت.»[٣٠] ويروي جيحون أنه صُدم أيضاً بمرأى بعض «المنشقين»، أي أعضاء إيتسل وليحي، «يتناولون طعامهم بشهية إلى جانب الجثث.»[٣١]

* * *

عند الساعة الثامنة من مساء الجمعة، تعقد المنظمتان «المنشقتان» مؤتمراً صحافياً في غفعت شاؤول كانتا دعتا إليه الصحافيين اليهود والأميركيين، من دون غيرهم. ويمثل المنظمتين موردخاي رعنان. ويصف مراسل الإسوشييتد برس الأميركي المؤتمر كما يلي: «دخلنا إلى 'فيلا' كبيرة [في غفعت شاؤول] تشعّ من حولها الأنوار الكهربائية ويحيط بالمكان بضع مئات من شباب اليهود وفتياتهم مدججين بالأسلحة الأوتوماتيكية وقادونا إلى القائد [وهو من عصابة الإرغون] ومن حوله أعوانه... يحملون بأيديهم المدافع الرشاشة الخفيفة وبادرنا القائد، بعد أن أخذنا مقاعدنا، بقوله: 'يسوؤني أن أعلمكم أننا قمنا بحملة تأديبية على قرية دير ياسين العربية القريبة من هنا لِما كان شبابها يقومون به من

تحرش واستفزاز بالأهلين اليهود فأبدناهم عن بكرة أبيهم ودمرنا قريتهم ليكونوا عبرة لغيرهم. ويسوؤنا أن نعلمكم أننا نعترف بتقتيل عدد من النساء والأطفال تعرضوا لخطوط نيران بنادقنا ومدفعيتنا الرشاشة). وانتهى المؤتمر الصحفي، ولم يُسمح لنا بالتجول أو زيارة القرية وأُعدنا من حيث أتينا تحت حراسة شديدة لنذيع أمر هذه النكبة على العالم.»(٣٢)

ويقول المؤرخ اليميني ملشتاين إن رعنان أجاب عن أسئلة الصحافيين، في أثناء هذا المؤتمر، بقوله إن عدد القتلى العرب هو ٢٤٥، وإن محطة الإذاعة البريطانية (بي.بي.سي.) أذاعت في الليلة نفسها (الجمعة) هذا الرقم مضيفة أن معظمهم من النساء والأطفال.(٣٣) ويضيف ملشتاين قائلاً إن رعنان أخبر الصحافيين بأن البلماح اشترك في الهجوم.(٣٤)

ويقول عاموس بيرلميوتر، كاتب سيرة مناحم بيغن، إن بيغن صرّح تلك الليلة أن احتلال دير ياسين «إنجاز رائع» (بالعبرية: هيسِغ غَدُول)،(٣٥) وإن حاييم لنداو، نائب بيغن، وجّه الرسالة التالية إلى قادة العملية: «تقبلوا تهانينا على هذا النصر المدهش، أنقلوا إلى الجميع أفراداً وقادة أننا نصافحهم فخورين بروحهم القتالية الغازية التي صنعت التاريخ في أرض إسرائيل وإلى النصر كما في دير ياسين كذلك في غيرها سنقتحم ونبيد العدو، ربنا، ربنا لقد اخترتنا للفتح.»(٣٦)

* * *

يروي الدكتور حسين فخري الخالدي في مذكراته،(٣٧) وكان أمين سر الهيئة العربية العليا في القدس، وأحد اثنين من أعضائها بقيا في فلسطين (الآخر هو أحمد حلمي باشا): «وصلتنا أخبار مجزرة دير ياسين بعد ظهر ذلك اليوم الجمعة بعد أن أودعنا شهيدنا عبد القادر مقره الأخير فأتّصل حالاً بمكتب السكرتيرية [أي الحكومة المركزية البريطانية] في القدس وأعطي المسؤولين بعض التفاصيل ولم يكن خبر الحادث قد

وصل إليها بعد ثم أَتّصل بقيادة البوليس فينفي لي مساعد المدير العام الخبر وينكر معرفته ولكنه يعد بإرسال مصفحة بوليس لبحث الأمر ويعود بعد ساعة من الزمن فيخبرني بأنه أرسل شرطياً بريطانياً وضابطاً يهودياً إلى المكان المذكور ولكنهما عادا فأخبراه بأن الهدوء يخيّم على القرية وجوارها وأن الحادثة مجرد إشاعة وتصلنا جموع النساء والأطفال وحالتهم تُفتت الأكباد يعلموننا بما جرى وأن الجثث تملأ شوارع القرية فأَتّصل بالسلطات العسكرية وتنكر هي الأُخرى الحادثة وتأسف لعدم استطاعتها المداخلة.

«ونخابر مندوب الصليب الأحمر الدولي فيعد بالذهاب لزيارة القرية ولكن السلطات المسؤولة في الوكالة اليهودية وجيش الهاغاناه تماطل ولا تسمح له بزيارة القرية مساء ذلك اليوم لكي يستطيع اليهود إخفاء معالم جريمتهم.»[٣٨]

ويتابع الخالدي روايته:

«فأكرر الطلب للسلطات المدنية وسلطات الأمن العام بأن تقوما بعمل استطلاعي على أقل تقدير وترسلا بعض الدبابات أو المصفحات لترابط حول القرية إلى أن يأتي ما يأتي به الغد.

«وفي اليوم التالي [السبت، ١٠ نيسان/أبريل] لم يبق شك فيما جرى وأن الضحايا من سكان القرية بلغ عددهم المئتين والخمسين وجلّهم من النساء والأطفال والشيوخ وبعض النساء من الحوامل ويستغيث بعض رجال القرية، الذين استطاعوا الإفلات من الحدث، بنا وبالحكومة ويطلبون على الأقل السماح لهم بالعودة إلى قريتهم لدفن موتاهم وشهدائهم فتمتنع الحكومة عن سماع صوت هذه الاستغاثة أو إلحاحنا نحن من مكتب الهيئة في القدس ولا يجرؤ الجيش البريطاني بقوته وعظمته حتى على الاقتراب من مكان الكارثة خوفاً من الاصطدام مع اليهود.»[٣٩]

ويضيف الخالدي قائلاً:

«ويزورنا في مكتب الهيئة مساعد قومندان البوليس الميجر فايز الإدريسي، ويؤكد أن في استطاعته اختراق الحصار اليهودي واحتلال القرية وضواحيها إذا ما سمحت له الحكومة بذلك على أن ينتخب ثلاثمئة من رجال الشرطة العرب الأشداء من بوليس المدينة [القدس] والضواحي، ولكن الحكومة ترفض هذا العرض مع العلم بأن شرطياً بريطانياً واحداً لن تتعرض حياته للخطر.»(٤٠)

* * *

ويقول جاك دو رينييه، ممثل الصليب الأحمر الدولي في القدس، إن العرب (الدكتور الخالدي) اتصلوا به هاتفياً يوم السبت، ١٠ نيسان/ أبريل، وطلبوا إليه التوجه فوراً إلى دير ياسين. وقد اتصل بالوكالة اليهودية وقيادة الهاغاناه، فقيل له إن لا علم لهما بما حدث في دير ياسين، ونُصح له عدم التدخل في الأمر كي لا يقضي بذلك على مهمته الإنسانية. ورفضت كل منهما أن تمنحه أية حماية إذا ما قرر الذهاب، فيجيب بأنه مصمم على الذهاب وبأن الوكالة اليهودية مسؤولة عن حمايته. وعلى الرغم من موقف السلطات اليهودية السياسية والعسكرية، فإن دو رينييه يتمكن من دخول القرية بسيارة إسعاف وبصحبته طبيب يهودي. لكن ذلك لا يتم إلاّ في اليوم التالي، الأحد الواقع فيه ١١ نيسان/ أبريل.(٤١)

ويصف دو رينييه ما شاهده في دير ياسين كما يلي: «كان جلّ أفراد العصابة، سواء الرجال منهم أو النساء، من الأحداث، وبعضهم في سن المراهقة. وكانوا جميعاً مدججين بالسلاح، يحملون المسدسات والرشاشات والقنابل اليدوية والسكاكين الطويلة. وكان معظم السكاكين ملطخاً بالدماء. واقتربت مني شابة وسيمة ذات عينين مجرمتين وأرتني، بتباهٍ، سكينتها التي كانت ما زالت تقطر دماً. وكان واضحاً أن هذا هو

فريق التطهير [أي الإجهاز على الجرحى]، وأنه كان يقوم بمهمته خير قيام.»[٤٢]

ويحاول دو رينييه دخول أحد المنازل، وإذ بمسلحين يحيطون به ويمنعونه من ذلك قائلين أنهم سيأتون بالجثث إليه. فيغضب دو رينييه ويثور كما لم يثر في حياته من قبل، ويدخل المنزل من دون إذن منهم. ويتابع دو رينييه روايته قائلاً: «كان كل ما فيه مقلوباً رأساً على عقب، وفيه جثث باردة والواضح لكل عين ترى أن التطهير جرى بالمدافع الرشاشة والقنابل اليدوية وأُكمل بالسكاكين. وكان المشهد في المنزل التالي مماثلاً. وبينما كنت على وشك الخروج منه وإذ بي أسمع صوتاً كأنه تنهد خافت. فأخذت أفتش في كل مكان وأقلّب الجثث إلى أن بان لي قدم صغير كان لا يزال دافئاً وكانت صاحبته فتاة صغيرة لها من العمر عشرة أعوام شوّهتها قنبلة يدوية لكنها ما زالت حية، فحملتها وتوجهت نحو باب المنزل، وإذ بالضابط اليهودي واقفاً عنده يعترض مروري، فدفعته جانباً حاملاً حملي الثمين. وضعت الطفلة في سيارة الإسعاف وطلبت من السائق أن ينقلها تواً إلى المستشفى ثم يعود إليّ. وكان المشهد المريع ذاته في كل منزل دخلته. ولم أجد حياً غير امرأتين أُخريين، إحداهما جدة طاعنة في السن ظلت مختبئة خلف كومة من الحطب طوال اليومين الأخيرين.»[٤٣]

كانت الطفلة التي عثر دو رينييه عليها البنت فاطمة الجريحة في البيت المحترق، والتي كانت الطفلة نزيهة كلّمَتْها لكنها لم تستطع الوصول إليها.[٤٤] وكانت إصابتها في رأسها، وتوفيت بعد يومين من العثور عليها. ويذهب دو رينييه إلى الوكالة اليهودية فور عودته إلى القدس، فيقابله الزعماء اليهود بالاعتذار والاستهجان والادعاء أن لا سيطرة لهم على منظمتي الإرغون وشتيرن. ويتوجه بعدها إلى مكتب الهيئة العربية (الدكتور الخالدي) فيجد المسؤولين العرب في حال غضب

عارم، ويطلبون إليه أن يعود إلى دير ياسين ليتأكد من دفن الشهداء بصورة لائقة في موقع يمكن التعرف عليه لاحقاً. ويحاول اليهود في القرية منعه من الدخول، لكنه يتمكن من ذلك ويصرّ بحزم على بدء الدفن في حضوره. وتبدأ عملية حفر قبر جماعي بالقرب من حديقة صغيرة، ويدوّن دو رينييه أوصاف الجثث التي كان عدد كثير منها قد صُفّ على طول الطريق العام. وقبل حلول الليل يغادر دو رينييه دير ياسين واعداً بالعودة إليها. ويعود فعلاً يوم الثلاثاء، الواقع فيه ١٣ نيسان/أبريل، ليجد أن رجال الإرغون وشتيرن اختفوا من المكان وحل محلهم رجال الهاغاناه. ويتفقد القرية فيجد الجثث مكدسة في عدة أمكنة في الهواء الطلق، من دون مراعاة لأي حشمة أو احترام.[٤٥]

ويقول الطبيب اليهودي ألفرد أنغل، الذي رافق دو رينييه إلى دير ياسين: «كان واضحاً أن المهاجمين انتقلوا من منزل إلى آخر وأطلقوا النار على الأشخاص عن كثب. لقد خدمت مدة خمس سنوات طبيباً في الجيش الألماني في الحرب العالمية الأولى ولم أر مشهداً مفزعاً كهذا.»[٤٦]

ويقول الدكتور حسين الخالدي، في نهاية كلامه عن دير ياسين في مذكراته: «واقترحنا ذهاب إمام أو شيخ ليصلي على الشهداء الصلاة الأخيرة والجماعية قبل دفنهم ولكن اليهود رفضوا ذلك.»[٤٧]

حواشي الفصل الخامس

(١) يسرائيل سيغال، «ملف دير ياسين» (تحقيق)، في: «كوتيرت راشيت»، ١٩/١/١٩٨٣، ص ٦، ترجمة نديم روحانا. أنظر أيضاً الفقرة بحروفها في تحقيق للكاتب البريطاني اليهودي إريك سيلفر، استناداً إلى المصدر نفسه، في:

The Manchester Gardian, April 9, 1983.

كذلك أنظر:

Amos Perlmutter, *The Lifes & Times of Menachem Begin* (New York: Doubleday and Company, 1987), p. 214.

(٢) شهادة زينب سمّور، والدة محفوظ عبد العزيز سمّور (محفوظ سمّور).

(٣) شهادة والدة محمود عبد العزيز سمّور (سعيد سمّور).

(٤) شهادة عائشة الحاج محمد شلبي، زوجة موسى إسماعيل سمّور (خليفة).

(٥) شهادة أم صفيّة فاطمة إسماعيل سمّور (خليفة).

(٦) Larry Collins and Dominique Lapierre, *O Jerusalem* (New York: Simon and Schuster, 1972), p. 276.

أنظر أيضاً شهادة الحاجة جيلة في: د. شريف كناعنة ونهاد زيتاوي، «دير ياسين»، سلسلة القرى الفلسطينية المدمرة، رقم ٤٠ (بير زيت: جامعة بير زيت، ١٩٨٧)، ص ٥٤. كذلك أنظر شهادة بروريا هوفمان في: يوري ملشتاين، «تولدوت ميلحيمت هكوميميوت» (تاريخ حرب الاستقلال)، (بالعبرية)، (تل أبيب: زمورا، بيتان، ١٩٩١)، المجلد الرابع، حيث قالت: «وصلت إشاعات عن أعمال وحشية في دير ياسين عن قطع آذان»، ص ٢٦٧، ترجمة أحمد خليفة.

(٧) شهادة نزيهة أحمد أسعد (أسعد).

(٨) شهادة زينب عطية، زوجة محمود زهران (أسعد).

(٩) شهادة عزيزة عطية، زوجة محمود أسعد رضوان (أسعد).

(١٠) Harry Levin, *Jerusalem Embattled* (London: Gallancz, 1950), p. 57.

(١١) ملشتاين، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦٧.

(١٢) مقابلات أجراها شوكي بن عامي في «عال همشمار»، ٨/٤/١٩٨٣، ترجمة نديم روحانا.

(١٣) شهادة مئير باعيل في: إيلان كفير، «يديعوت أحرونوت»، ٤/٤/١٩٧٢، ترجمة رضى سلمان؛ شهادة مئير باعيل في: رون ميفراغ، «دير ياسين»، في: مجلة «مونيتان»، العدد ٣٢، نيسان/أبريل ١٩٨١، ص ٣٦ ـ ٤٠، ترجمة نديم روحانا.

(١٤) المصدران أنفسهما.

(١٥) عارف العارف، «النكبة: نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود» (صيدا: المكتبة العصرية، ١٩٥٦)، الجزء الأول، ص ١٦٩.

(١٦) ملشتاين، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦٩.

(١٧) المصدر نفسه.

(١٨) إسحاق ليفي، «القدس في حرب الاستقلال» (بالعبرية)، (تل أبيب: وزارة الدفاع، معاروخوت، ١٩٨٦)، ص ٣٤٠ ـ ٣٤٥، ترجمة نديم روحانا.

(١٩) بن عامي، مصدر سبق ذكره.

(٢٠) المصدر نفسه.

(٢١) هاداسا أفيغدوري، «على الدرب الذي مشيناه: من مذكرات حارسة للقوافل» (بالعبرية)، (تل أبيب: وزارة الدفاع، ١٩٨٨)، ص ٩٠ وما يليها، ترجمة نديم روحانا.

(٢٢) المصدر نفسه.

(٢٣) المصدر نفسه.

(٢٤) Israel Shahak (ed.), *Begin & Co. as they Really Are* (London: British Anti-Zionist Organisation - Palestine Solidarity, 1977), p. 45.

(٢٥) أنظر أعلاه ص ٢٩.

(٢٦) شهادة موردخاي رعنان في: كفير، مصدر سبق ذكره. أنظر أيضاً: ملشتاين، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦٨.

(٢٧) ملشتاين، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦٨.

(٢٨) المصدر نفسه.

(٢٩) المصدر نفسه.

(٣٠) المصدر نفسه.

(٣١) المصدر نفسه.

(٣٢) فور انتهاء المؤتمر الصحافي قابل مراسل الأسوشييتد برس الأميركي الدكتور حسين فخري الخالدي، أمين سر الهيئة العربية العليا في القدس، وقدم له هذا الوصف للمؤتمر بحروفه. أنظر: «مذكرات الدكتور حسين فخري الخالدي» (مخطوط)، ص ٦٨٠.

(٣٣) ملشتاين، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦٨ ـ ٢٦٩.

(٣٤) المصدر نفسه، ص ٢٦٦.

(٣٥) Perlmutter, *op.cit.*, p. 215.

(٣٦) *Ibid.*

(٣٧) «مذكرات الدكتور حسين فخري الخالدي» (مخطوط)، ص ٦٨١.

(٣٨) المصدر نفسه.

(٣٩) المصدر نفسه، ص ٦٨٢.

(٤٠) المصدر نفسه.

(٤١) Jaques de Reynier, *A Jerusalem un drapeau flottait sur la ligne de feu* (Neuchatel: Edition de la Baconniere, 1950), pp. 69-74.

(٤٢) *Ibid.*

(٤٣) *Ibid.*

(٤٤) أنظر أعلاه ص ٧٠.

(٤٥) de Reynier, *op.cit.*, pp. 69-74.

(٤٦) ملشتاين، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦٩ ـ ٢٧٠.

(٤٧) «مذكرات الدكتور حسين فخري الخالدي» (مخطوط)، ص ٦٨٤.

الفصل السادس

«مجزرة الأبرياء»

أقلقت زيارة جاك دو رينييه، ممثل الصليب الأحمر الدولي، لدير ياسين صباح الأحد، الواقع فيه ١١ نيسان/أبريل، كلاً من الوكالة اليهودية (أي القيادة السياسية الصهيونية المركزية) وقيادة الهاغاناه في القدس، كما أقلقت قادة المنظمتين الإرهابيتين إيتسل (الإرغون) وليحي (شتيرن). وكان رجال هاتين المنظمتين منهمكين في نهب موجودات القرية منذ أن انتهى القتال بعد ظهر يوم الجمعة، ٩ نيسان/أبريل، ولم يجرؤوا على التقدم نحو الأعالي الغربية للقرية ورفع العلم الصهيوني على أعلى منزل فيها (144)، كما سبق أن ذكرنا، إلاّ يوم السبت الواقع فيه ١٠ نيسان/أبريل، على الرغم من خلو القرية من المدافعين وانسحابهم منها بسبب نفاد الذخيرة وعدم وصول أية نجدة.[١]

وأصرّ قادة المنظمتين الإرهابيتين على الخروج من دير ياسين بمنهوباتهما وغنائمهما في أسرع وقت ممكن، وتسليم القرية لرجال الهاغاناه. بيد أن دافيد شلتيئيل، قائد الهاغاناه في القدس، كان حريصاً ـ كما ذكرنا ـ على أن يبقى أفراد المنظمتين في القرية، وعلى أن يقوموا على الأقل بدفن جثث ضحاياهم قبل تسليم القرية لقواته إخفاء لمعالم جريمتهم وشواهدها. وكان شلتيئيل أصدر أوامره إلى وحدات من لواء الشبيبة (الغدناع) في القدس بالاستعداد للحلول محل رجال إيتسل وليحي، لكنه في الوقت نفسه كان يخاف على معنويات أفراد الغدناع من رؤية ما اقترفه أعضاء المنظمتين الإرهابيتين.[٢]

في هذه الأثناء، وبعد مغادرة دو رينييه دير ياسين عصر الأحد، ١١ نيسان/أبريل، قرر قادة المنظمتين أن لا سبيل لـ «التخلص» من جثث ضحاياهما إلاّ بحرقها. ويروي موشيه برزيلاي، ضابط استخبارات ليحي: «صببنا ثلاثة أوعية نفط على ثلاثين جثة في الشارع الرئيسي في القرية،

وبعد نصف ساعة أدركنا أن هذا مستحيل. فيصدر يهوشواع زطلر [قائد ليحي في القدس] أمراً بنقل الجثث المحترقة قليلاً من الشارع الرئيسي إلى ما وراء جدار. ويرفض رجاله فعل ذلك فيسحب زطلر مسدسه عليهم ولكني قلتُ له كن قدوة. وجررنا سوية إحدى الجثث، وانفصلت يد عن الجسم وبقيت معي وتقيأت.»(٣)

ويروي شاهد عيان من ليحي يدعى شمعون مونيتا: «اعتقدنا أن الجثث ستشتعل ولكن لا يمكن إحراق جثث في الهواء الطلق ولقد بنى النازيون من أجل ذلك موقداً خاصاً يشتعل بدرجة حرارة عالية جداً.»(٤)

في هذه الأثناء يصل دورون حسداي، أحد قادة الغدناع، إلى القرية للاستطلاع، بصحبة يشورون شيف مرافق شلتيئيل. ويصف ما شاهده كما يلي: «على امتداد عشرات الأمتار كانت شعل من النيران تتوقد وفيها جثث. لا تزال رائحة اللحم المشعوط تطاردني إلى الآن ويتصل شيف بشلتيئيل ويقول له 'محرقة إنهم يحرقون بشراً'.»(٥)

ويقرر شلتيئيل منع خروج رجال المنظمتين الإرهابيتين من دير ياسين وإرغامهم على دفن الجثث، ويوكل المهمة إلى وحدة من الشرطة العسكرية في لواء عتسيوني التابع للهاغاناه، بقيادة دافيد دريفوس، تعزيزاً لوحدة الغدناع. وتسير وحدة الشرطة العسكرية ووحدة الغدناع، ومعهما يشورون شيف، نحو القرية(٦) ليعترض الجميعَ حاجز من الحجارة يقف خلفه موردخاي رعنان (قائد إيتسل في القدس) ويهودا لبيدوت (قائد إيتسل في دير ياسين) وبتحيا زليفنسكي (قائد ليحي في دير ياسين) مع عدد من مرؤوسيهم. ويجري تلاسن بين الطرفين يعقبه اشتباك بالأيدي يهدد بالتطور إلى اشتباك بالسلاح. ويتصل شيف، بواسطة جهاز لاسلكي، بشلتيئيل فيصدر هذا الأخير أمره: «جَرِّدهم من سلاحهم وإذا لم يسلّموا سلاحهم أطلق عليهم النار.»(٧) ويجيب شيف، وفق ما قال: «لا أستطيع أن أفعل ذلك بيهود.» وفي هذه الأثناء تصل تعزيزات

إلى إيتسل في شاحنتين، ويصرّ قادة المنظمتين الإرهابيتين على الخروج بشاحنات محملة بغنائمهما. ويخبر شيف شلتيئيل بأن ما لديه من قوة لا يكفي للسيطرة على الوضع. ويقال لرجال إيتسل وليحي: «خذوا ما تريدون وانصرفوا.»[٨]

وهكذا، أخيراً، تدخل وحدة الغدناع القرية بقيادة قائد لواء الغدناع، يهوشواع أريئيلي، الذي يروي أن شلتيئيل أمره «بإزالة الجثث ودفنها»، شارحاً له السبب بقوله: «غداً ستأتي إلى القرية بعثة الصليب الأحمر والهلال الأحمر لتفقد الوضع.»[٩]

ويتابع أريئيلي قائلاً إن القتلى كانوا في معظمهم من الشيوخ والنساء والأطفال، وأنه كَلّف قادة متقدمين في السن نسبياً من رجاله مهمة الدفن: «عملنا طوال ليلة ١٢ ـ ١٣ نيسان/أبريل، وكان من الصعب إخراج الجثث من منزلين فحصلنا على موافقة على نسف المنزلين مع الجثث ونفّذنا ذلك صباح الثلاثاء، ١٣ نيسان/أبريل، ودفنا في قبر جماعي نحو ٧٠ جثة ونسفنا مجموعتين من الجثث في كل واحدة منهما نحو ٢٠ جثة، وبهذا يكون المجموع ١١٠ تقريباً.»[١٠]

وحضر عملية الدفن والنسف عدد من قادة لواء عتسيوني، التابع للهاغاناه؛ وكان أحدهم يشورون شيف، مرافق شلتيئيل.[١١]

ويروي هلّيل بوليتي، أحد قادة الغدناع: «أحضروا لنا من المدينة قفّازات ومعاطف واقية وكمامات لتغطية الوجه ونقلنا الجثث اثنتين اثنتين بأيدينا إلى مقلع للأحجار وأُحضرت من المدينة جرّافة غطّت الجثث بالتراب.»[١٢]

* * *

كان المندوب السامي البريطاني، السير ألان كنينغهام، يرئس اجتماع لجنته الأمنية اليومي في القدس، يوم الاثنين الواقع فيه ١٢ نيسان/أبريل، للبحث في قضية دير ياسين. ويلتفت كنينغهام إلى الجنرال

السير غوردون ماكميلان، قائد قوات الجيش البريطاني، الجالس إلى جانبه (بحسب رواية الكاتبين لاري كولينز ودومينيك لابيير)،[١٣] ويقول: «هذه فرصتك لتتمكن من أولاد الزنى (Bastards) [يعني أعضاء إيتسل وليحي] فبحق الله اذهب تواً واضربهم في دير ياسين.» غير أن ماكميلان يمانع بحجة أن قواته البرية في القدس غير كافية لهذا الغرض، بينما الحقيقة (بحسب رواية الكاتبين) أن الجيش البريطاني في فلسطين كان قد قرر ألاّ يستعمل أفراده في الأشهر الأخيرة من الانتداب على البلد إلاّ في خدمة مصالحه ضمن مفهوم ضيق جداً لها. وعندها يلتفت كنينغهام حانقاً إلى قائد القوة الجوية، الذي كان حاضراً أيضاً، فيوافق هذا فوراً على اقتراح المندوب السامي، لكنه يلفت النظر إلى أن سلاح الجو (RAF) كان قد أرسل قاذفاته الخفيفة في اليوم السابق (الأحد ١١ نيسان/أبريل) إلى القاعدة البريطانية في مصر، وأرسل صواريخها إلى القاعدة البريطانية في العراق، وأنه بحاجة إلى ٢٤ ساعة كي يقوم بالمهمة المطلوبة. وما كادت اللجنة الأمنية تنتهي من مداولاتها ذلك اليوم حتى تصل الأنباء عن حلول قوات الهاغاناه محل وحدات إيتسل وليحي في دير ياسين. (انتهى كلام لاري كولينز ودومينيك لابيير).

ويقول المندوب السامي في رسالة إلى وزير المستعمرات في لندن، مؤرخة الاثنين ١٢ نيسان/أبريل: «ما زالت القرية، في أثناء كتابتي هذه السطور، في يد اليهود. كنتُ أردت أن يضرب جنودُنا اليهودَ في دير ياسين بكل ما لديهم من قوة ويطردوهم منها، لكن الجيش يقول لي أنه ليس في وضع يمكّنه من القيام بمثل هذا العمل، أو بأي عمل قد يؤدي إلى صدام عام مع أي من الطرفين [العرب واليهود]. وهذا مجرد مثال واحد من عدة أمثلة حيث تضطر الحكومة المدنية في هذا البلد إلى الوقوف موقف المتفرج بينما يُضْرَب بسلطتها عرض الحائط في كل اتجاه.»[١٤]

ويدوّن السير هنري غورني، السكرتير العام لحكومة فلسطين، وهو

نائب المندوب السامي، في يومياته بتاريخ الأحد ١١ نيسان/أبريل: «وصلنا بعد ظهر اليوم الخبر اليقين عن دير ياسين. إن ذبح مئتين من الأبرياء، معظمهم من النساء والأطفال، هو أسوأ ما اقترفته أيدي الإرغون وشتيرن. ولقد جاء الدكتور جاك دو رينييه، ممثل الصليب الأحمر الدولي، بأنباء مريعة عن أكداس من الجثث أُطلق عليها الرصاص بدم بارد. وأخبرني مراسل 'التايمز' [اللندنية] أنه حاول العبور إلى دير ياسين لكن الهاغاناه منعته من ذلك، والبوليس البريطاني لا يستطيع الاقتراب من المكان والبوليس اليهودي [التابع للسلطة البريطانية] يحاول التقليل من الأمر وكأن شيئاً لم يحدث.»(١٥)

* * *

ذكرنا سابقاً أن الدكتور جاك دو رينييه، ممثل الصليب الأحمر الدولي، زار كلاً من مكتب الهيئة العربية العليا ومكتب الوكالة اليهودية في القدس فور عودته من زيارته الأولى لدير ياسين التي قام بها يوم الأحد، الواقع فيه ١١ نيسان/أبريل. وكان الدكتور حسين فخري الخالدي (أمين سر الهيئة العربية العليا) هو الذي قابل دو رينييه.

ويبحث الخالدي مع مستشاريه في كيفية إعلان ما حدث في دير ياسين، في ضوء تقرير دو رينييه وما نقله الناجون من أهالي القرية إلى مكتب الهيئة، وما تناقلته الإذاعات والصحف المحلية والأجنبية. ويقول الدكتور حازم نسيبة، أحد مستشاري الخالدي (بحسب رواية كولينز ولابيير)، مستذكراً ما اتُفق عليه بالنسبة إلى كيفية الإعلان: «كنا نخشى ألاّ تأتي الجيوش العربية لنجدتنا على الرغم من كل الحديث عن نيتها القيام بذلك، وأردنا أن نصدم الشعوب العربية كي تضغط بدورها على حكوماتها.»(١٦)

ويعقد الخالدي، يوم الأحد ١١ نيسان/أبريل، مؤتمراً صحافياً يصف فيه ما حدث بأنه «مجزرة للأبرياء» ذهب ضحيتها ٢٥٤ شخصاً،

معظمهم من النساء والأطفال، بناء على تقرير قدمه له الدكتور جاك دو رينييه، ممثل الصليب الأحمر الدولي، عن مشاهداته في القرية. ويتابع الخالدي، في مؤتمره الصحافي كما نقلت وقائعه جريدة «البالستاين بوست» اليهودية في عددها الصادر يوم الاثنين الواقع فيه ١٢ نيسان/ أبريل، قائلاً أنه كان اتصل، فور وصول الأنباء عن دير ياسين، بقيادة كل من البوليس والجيش، كما بالحكومة المدنية البريطانية، طالباً إيفاد مَنْ يتحرى الأمر، لكنها جميعاً رفضت تلبية طلبه، الأمر الذي اضطره إلى مناشدة الدكتور دو رينييه، وأن هذا الأخير لا يزال يفاوض الإرغون وشتيرن في إجراءات دفن شهداء القرية.

ويضيف الخالدي، بحسب رواية «البالستاين بوست»، أن «مجزرة الأبرياء» جرت في القرية الوحيدة من قرى قضاء القدس التي لم تستنجد بأي هيئة عربية تعلمها أنها في خطر من اليهود، وأن دير ياسين كانت محاطة بالمستعمرات اليهودية، وهو ما جعلها تعقد اتفاقاً مع هذه المستعمرات التزمت بنوده طوال الأشهر الأربعة السابقة.

ويختتم الخالدي المؤتمر الصحافي بقوله أنه بعث برسائل إلى الملك عبدالله وإلى سائر رؤساء الدول العربية، يشرح لهم فيها ما جرى في دير ياسين.[١٧] والغريب أن «البالستاين بوست» هي الجريدة الوحيدة التي نقلت وقائع مؤتمر الخالدي الصحافي وما قاله فعلاً فيه، وأن الصحف العربية الفلسطينية اكتفت بالإشارة إلى عقد المؤتمر وبالتعليق عليه من عندياتها، من دون ذكر مضمونه، خلافاً لما فعلت «البالستاين بوست». ومع ذلك، درجت المصادر العربية منذئذ على اعتبار ما قيل في هذا المؤتمر السبب الأساسي لما سمّته «انهيار المعنويات الفلسطينية»، وكأن أخبار ما حدث في دير ياسين لم تكن وصلت إلى مسامع الرأي العام إلاّ عن طريقه، أو كأن واقعة دير ياسين بالذات كانت هي نقطة التحول الرئيسية في فترة الحرب الأهلية التي

سبقت دخول الجيوش العربية؛ وهو ما تدّعيه وتتباهى به إيتسل وليحي كما سنبيّن لاحقاً.

وفي إثر مؤتمر الخالدي الصحافي وزيارة دو رينييه للجنة التنفيذية للوكالة اليهودية، تصدر هذه الأخيرة بياناً مساء الأحد، ١١ نيسان/أبريل، تعبّر فيه عن «مشاعر الهلع والتقزز (horror and disgust) من الطريقة البربرية» التي نفذت فيها إيتسل وليحي عمليتهما في دير ياسين.(١٨) وتضيف أنه حتى لو أُخذ في الاعتبار أن القوات العربية نفسها قامت بالكثير، بحسب زعمها، «من الأعمال البربرية» خلال الأشهر السابقة فإن هذا لا يبرر اقتراف اليهود أعمالاً وحشية (brutalities) تتنافى كلياً مع روح الشعب اليهودي في فلسطين. ويقول البيان، كذباً، إن الهاغاناه «تقيدت دوماً، وستستمر في التقيد بالقواعد التي تضمنتها اتفاقات جنيف.»(١٩)

وترسل الوكالة اليهودية، في ١٢ نيسان/أبريل، برقية إلى الملك عبدالله (أنظر الملحق الخامس) تقول فيها أنها بحثت في النداء الذي وجهه الدكتور الخالدي إلى جلالته، وقررت أن ترسل إليه خلاصة البيان الذي كانت أذاعته في اليوم السابق في هذا الصدد. وتنهي البرقية بقولها أنها «تستنكر هذه الجريمة البشعة (atrocity) التي هالت الشعب اليهودي وكل إنسان حيث وجد.»(٢٠)

ويردّ رئيس الديوان الملكي في عمّان على البرقية، في اليوم نفسه، بقوله: «على الوكالة أن تتحمل وزر ما جرى بوصفها الممثلة للشعب اليهودي وهي التي تتكلم باسمه.»(٢١)

ويذكر المؤرخ الإسرائيلي آفي شلايم، الأستاذ في جامعة أكسفورد، أن أنباء دير ياسين تركت في الملك عبدالله أثراً شديداً، وأنه استدعى فور استلامه نداء الخالدي وبرقية الوكالة اليهودية السفير البريطاني في عمّان، السير أليك كيركبرايد، وطلب منه أن يسعى مع الحكومة البريطانية كي تسمح لوحدات الجيش العربي (Arab Legion)

(أي جيش حكومة شرق الأردن)، التي كانت حينذاك مرابطة في فلسطين بقيادة الجيش البريطاني فيها، بتولي حماية القرى الفلسطينية من هجمات اليهود. فيجيبه كيركبرايد باستحالة قبول الحكومة البريطانية ذلك، ويعده بأن يبحث معها في إمكان استعمال هذه الوحدات «لتحسين الوضع الأمني في المناطق العربية.»(٢٢)

ويضيف شلايم أن الملك عبدالله أدلى بتصريح إلى صحيفة «الأهرام» المصرية، في ١٧ نيسان/أبريل، فحواه أنه يعتبر ما جرى في دير ياسين في منزلة إعلان حرب من قبل اليهود على شرق الأردن وسائر الدول العربية، وأنه لا يعترف بالدولة اليهودية ولا يقيم وزناً لبرقية الوكالة اليهودية.(٢٣)

* * *

كنا ذكرنا، فيما سبق، أن موردخاي رعنان، قائد إيتسل (الإرغون) في القدس، كان أعلم الصحافيين في المؤتمر الصحافي الذي عقده مساء يوم المعركة (الجمعة، ٩ نيسان/أبريل) بأن وحدات من البلماح (قوات الهاغاناه الضاربة) اشتركت في الهجوم على دير ياسين، الأمر الذي أربك قيادة الهاغاناه ودفعها إلى تكذيب هذا الخبر فوراً.(٢٤)

وتوزع إيتسل وليحي، يوم السبت الواقع فيه ١٠ نيسان/أبريل، على الصحف العبرية بياناً يتضمن نص بيانين ادعتا أنهما أُذيعا من محطة إذاعة إيتسل بالعبرية في تل أبيب يوم المعركة نفسه: أولهما في الساعة ١١:٥٠ صباحاً، وثانيهما في الساعة ٧ مساء. ويصبح هذان البيانان (الصباحي والمسائي) الأساس للرواية «الرسمية» لسير المعركة ولجميع ما تلاها من روايات من قبل أوساط إيتسل وليحي، مع بعض الإضافات و«التجميلات».

يقول البيان الأول إن وحدات إيتسل وليحي هاجمت قرية دير ياسين ذلك الصباح واحتلتها، وإن تجمعات كثيفة من المسلحين العرب

كانت قد تمركزت في القرية وباشرت إزعاج المناطق الغربية اليهودية من مدينة القدس، وإنه وردت معلومات عن وصول إمدادات من الجنود العراقيين والسوريين إلى دير ياسين بهدف الهجوم على هذه المناطق اليهودية، وإن الجنود اليهود زحفوا في الساعة الثانية بعد منتصف الليل في أربع شراذم إلى مواقع حُدّدت لهم، وإن الهجوم على دير ياسين بدأ في الساعة الرابعة والدقيقة الثلاثين من فجر ذلك اليوم، الجمعة، لدى صدور إشارة متفق عليها، وإنه على الرغم من النيران الكثيفة التي كانت تُطلق من معاقل العدو فقد تمكن الجنود من التقدم بانتظام عسكري واقتحموا مواقع العدو واستولوا على معظمها.(٢٥)

ويستمر البيان قائلاً إنه بعد إجلاء النساء والأطفال عن القرية باشر الجنود نسف المعاقل على العشرات من رجال العدو الذين قضوا تحت أنقاضها، وإن مكبّراً للصوت ناشد، «عند الهجوم» (at the time of the attack)، النساء والأطفال مغادرة القرية فوراً واللجوء إلى التلال المجاورة، وإن الكثيرين من الأطفال والنساء أُنقذوا نتيجة ذلك، وإن المعركة ما زالت مستعرة.(٢٦)

ويضيف البيان أن مصفحتين تعرقلتا عند خندق عمقه متر ونصف متر، وأن وحدة هندسة استطاعت ردم الخندق على الرغم من شدة نيران العدو، وأن معركة وجهاً لوجه دارت داخل القرية، وأن الجنود تمكنوا من احتلال المنازل الواحد تلو الآخر، وأن فلول العدو انسحبت بسرعة وتمترست داخل منزل يبعد بعض الشيء عن قرية القسطل.(٢٧)

ويتابع البيان قائلاً إنه وصلت، في هذه الأثناء، نجدة قوية إلى العدو وأخذت تمطر مستعمرة يفينوف بالمدافع الرشاشة الثقيلة من تل مجاور، وإنه عند اشتداد القتال دخلت وحدتان من قوات البلماح بكامل أسلحتهما وانضمتا إلى المهاجمين، وإن الاتصال بين القوات المقتحمة والقيادة تأمّن بصورة منتظمة طوال المعركة، وإن الإمدادات من رجال

وأعتدة وطعام تصل من دون انقطاع إلى أرض المعركة.

وينهي البيان وصفه الخيالي بقوله إن خسائر اليهود بلغت اثنين من القتلى وثلاثة من الجرحى إصاباتهم خطرة إضافة إلى عدة إصابات خفيفة، بينما إصابات العدو بلغت العشرات، وإن سيارة إسعاف مصفحة اخترقت خط النار وأجلت الجرحى اليهود، وإن الجنود أسروا الكثيرين من رجال العصابات العرب وساقوهم إلى القاعدة.(٢٨)

أمّا البيان المسائي فيعلن الاحتلال الكامل للقرية، وأن إصابات اليهود بلغت ٤ قتلى و٤ جرحى إصاباتهم خطرة و٢٨ إصاباتهم خفيفة، بينما أُحصي للعدو ٢٤٠ قتيلاً «إلى ذلك الحين»، وإن المهاجمين تعهدوا بالبقاء في القرية ثماني وأربعين ساعة على أن يسلموها بعد ذلك إلى قوات الهاغاناه؛ وهو ما ينوون فعله.(٢٩)

ولن يصعب على القارىء، الذي تابع في الفصول السابقة وصفنا لوقائع يوم المعركة ساعة فساعة، ملاحظة مدى الكذب والتلفيق في هذين البيانين اللذين اقتبسناهما من جريدة «هآرتس» العبرية، في عددها الصادر بتاريخ ١١ نيسان/أبريل. فالكلام عن إزعاج دير ياسين للمستعمرات المجاورة، وعن تمركز قوات عسكرية سورية وعراقية فيها بهدف الهجوم على الأحياء اليهودية في القدس، وعن وصول نجدات قوية من قرية عين كارم، كذب محض. ويبلغ تشويه الحقائق، في البيانين، ذروة الوقاحة والصفاقة عند إعطاء مكبّر الصوت دور «المنقذ» للنساء والأطفال الذين شكلوا معظم ضحايا المهاجمين.

واللافت في نص البيان الصباحي، بنوع خاص، محاولة إبراز أداء إيتسل وليحي في أثناء القتال أنه أداء جيش نظامي منضبط، وذلك لأسباب سنبينها لاحقاً. كما أن ما يلفت النظر هو تأكيد البيان الصباحي اشتراك قوات البلماح في الهجوم، وفضحه له رسمياً. ويجدر بالقارىء مقارنة هذا البيان الصادر في تل أبيب بالبيان الذي ألقاه موردخاي رعنان،

قائد إيتسل في القدس، خلال المؤتمر الصحافي الذي عقده مساء يوم الجمعة،[٣٠] ليتبين حجم الإضافات التي أدخلتها تل أبيب في الرواية الرسمية لإيتسل؛ وهي إضافات نرجّح أن المسؤول عنها هو مناحم بيغن، قائد إيتسل الأعلى المقيم بتل أبيب وأحد كبار أساتذة الإرهاب والحرب النفسية في القرن العشرين. كما أننا نرجّح أن نشر هذين البيانين كان من الدوافع الرئيسية وراء إصدار الوكالة اليهودية بيانها في ١١ نيسان/أبريل، الذي شجبت فيه ما جرى في دير ياسين وأكدت «حرص» الهاغاناه على التقيد باتفاقات جنيف.

وبصدور بياني إيتسل وليحي، وبيان الوكالة اليهودية «المضاد»، تبدأ حرب البيانات بين أوساط اليمين اليهودي وأوساط اليسار اليهودي في شأن ما جرى في دير ياسين. وهي حرب ما زالت دائرة إلى يومنا هذا، وذلك بسبب الرمزية التي اكتسبتها وقائع دير ياسين ومغازيها ضمن إطار مأساة فلسطين ككل، كما أشرنا إلى ذلك في مطلع هذه الدراسة. ونحن إنما نتابع حرب البيانات هذه لا من أجل التأريخ لها فحسب بل أيضاً بهدفين أساسيين آخرين: **أولاً**، تتبّع رواية اليمين الصهيوني لوقائع دير ياسين إذ غدت هذه الرواية تنفي نفياً قاطعاً حدوث أي مذبحة للشيوخ والنساء والأطفال يوم الجمعة في ٩ نيسان/أبريل ١٩٤٨. **ثانياً**، رصد نفاق القيادة العمالية، السياسية والعسكرية، وريائها عند شجبها لما حدث؛ ذلك بأن موقف كل من اليسار واليمين الصهيونيين من دير ياسين إنما يؤكد صدق ما ذهب إليه المفكر اليهودي إيلي فيزيل سنة ١٩٨٧ في قوله، خلال محاكمة أحد المتعاونين مع النازيين الألمان في فرنسا: «القاتل يقتل مرتين الأولى عندما يجهز على ضحيته والثانية عندما يخفي أنه قتل.»

* * *

في ١٢ نيسان/أبريل، تنشر صحيفة «هآرتس» رد الهاغاناه على ما ورد في بياني المنظمتين، اللذين كانت نشرتهما في عدد اليوم السابق.

وتقول قيادة الهاغاناه، في ردها، إن قرية دير ياسين لم تشترك في الاعتداء على القدس اليهودية، وكانت من القرى القليلة التي رفضت استقبال «رجال العصابات العرب الغزاة» (تعني جنود جيش الإنقاذ السوريين والعراقيين)، وإنه بما أن دير ياسين لم تقم بأي اعتداء فإن الهاغاناه أحجمت عن إدخالها ضمن دائرة القتال، وإن منظمتي «المنشقين» كانتا تعلمان علم اليقين بأن ليس لهجومهما أي هدف عسكري على الإطلاق، وإن الهجوم على دير ياسين لم يكن، في الأوضاع القائمة، جزءاً من مخطط الدفاع عن القدس ولا قيمة عسكرية له، وإن ما قامت المنظمتان المنشقتان به كان لمجرد التباهي لأغراض الدعاية لأنفسهما.[٣١]

ويضيف البيان أنه لم تشترك في الهجوم أية وحدة من الهاغاناه، وكل ما في الأمر أن موفدي المنظمتين المنشقتين استغاثوا بالهاغاناه راجين العون لإنقاذ جرحاهما الذين ظلوا داخل القرية، وأن هذا كل ما فعلته الهاغاناه. وينتهي البيان بالقول إن عرض الأسرى، من نساء وأطفال، أمام الجماهير في شوارع المدينة يدنّس ما سمّته «طهارة السلاح العبري».[٣٢]

وفي اليوم نفسه، توزع الهاغاناه منشوراً في شوارع القدس تعلن فيه «فرار» رجال إيتسل وليحي من دير ياسين، واضطرارها إلى دخول القرية «بعد أن خلقت المنظمتان بعمليتهما المخجلة جبهة معادية جديدة في القدس.» وتضيف الهاغاناه، في منشورها، أن قواتها شعرت عند دخولها دير ياسين «بالخزي» لأن ذلك هو المكان «الذي انتهك فيه المنشقون صورة الإنسان في المقاتل العبري وشرف العلم العبري.» وينتهي المنشور بالتعهد التالي: «سيسعى رجال الهاغاناه إلى دفن جثث القتلى التي تُركت في المكان وسيحمون القبور والممتلكات القليلة التي تبقت في القرية بعد أن نهبها المنشقون وسيعيدونها إلى أصحابها في الوقت

المناسب.»[٣٣]

وتردّ المنظمتان الإرهابيتان على بيان الهاغاناه ومنشورها ببيانين، يصدر الأول في ١٢ نيسان/أبريل والثاني في ١٤ نيسان/أبريل. يؤكد البيان الأول أن دير ياسين كانت «وكراً للأشرار الفعليين والمحتملين»، وأن منها شُنت هجمات على الأحياء اليهودية الغربية من القدس و«لولا احتلالنا للقرية لكان ثمة خطر دائم يتربص بالأحياء الغربية [أي اليهودية] من القدس من قبل العصابات التي تحصنت وتمركزت في دير ياسين»، وأنه كان هناك «ضرورة عسكرية ملحة لإبعاد هذا الخطر وتحرير القدس من الحصار.» ويضيف البيان أن دير ياسين احتُلَّت في معارك ضارية، «والدليل على ذلك عدد القتلى العراقيين والسوريين الذين هم جزء من الجيش النظامي الذي كان يتمركز فيها.»[٣٤]

وتحتل قصة مكبّر الصوت مكاناً بارزاً في هذا البيان، ويغدو دليلاً على سلوك إيتسل وليحي في دير ياسين «مسلكاً لم يسلكه جيش مقاتل ذلك أنهما تخليتا عن عنصر المفاجأة فقبل بدء المعركة الفعلية حذّر جنودنا بواسطة مكبّر للصوت سكان القرية ودعوا النساء والأطفال إلى مغادرة المكان فوراً. وقد نجا بفضل هذا التحذير معظم النساء والأطفال أمّا جزء من الذين لم يستمعوا للتحذير فقد أصيب خلال المعركة.» ويضيف البيان: «وإننا نعرب عن أسفنا الشديد لأنه كان هناك نساء وأطفال بين المصابين ولكن الذنب ليس ذنبنا فمقاتلينا قاموا بواجبهم الإنساني وأكثر من ذلك.»[٣٥]

ويعيد البيان التشديد على القيمة الاستراتيجية لدير ياسين. أمّا بالنسبة إلى «شرف السلاح العبري»، فيشير البيان إلى هجمات الهاغاناه على الكثير من القرى والأحياء العربية حيث قُتل الأطفال والنساء من دون سابق تحذير، وهو الكلام الصحيح الوحيد الوارد في هذا البيان.[٣٦]

أمّا البيان الثاني، في ١٤ نيسان/أبريل، فيتصدى مرة جديدة لقول

الهاغاناه إن لا قيمة عسكرية لاحتلال دير ياسين، ويؤكد أن هذا الاحتلال كان «إحدى أصعب العمليات وأخطرها وأهمها في كل الحرب من أجل تحرير القدس.» ويورد البيان النص الكامل للرسالة التي كان قائد الهاغاناه في القدس، دافيد شلتيئيل، قد أرسلها إلى المنظمتين في ٧ نيسان/ أبريل قبيل الهجوم على دير ياسين والتي، كما ذُكر سابقاً، يشير شلتيئيل فيها إلى أن احتلال دير ياسين إنما كان من ضمن خطة الهاغاناه نفسها لاحتلال القدس.[٣٧]

ويضيف البيان أن احتلال دير ياسين أوقع الرعب في القرى المجاورة، فتساقطت أمام هجمات الهاغاناه. وبالتالي يكون احتلال دير ياسين «بضربة واحدة قد غيّر الوضع الاستراتيجي لعاصمتنا.»[٣٨]

ويشير البيان، في نهايته، إلى «عار نفاق» الوكالة اليهودية (أي القيادة العمالية برئاسة بن ـ غوريون) التي بعثت برسالة عزاء «توّجت فيها عبدالله العبد المطيع لبريطانيا النازية على عرب أرض إسرائيل.»[٣٩]

* * *

وتدور الأيام وتمر السنون وتأتي سنة ١٩٧٧ ويصبح قائد إيتسل الأعلى والمؤلف المرجَّح لهذه البيانات الصادرة عن إيتسل وليحي، مناحم بيغن، رئيساً لحكومة إسرائيل. وتنشر الحكومة الإسرائيلية سلسلة رسمية من وثائق سياسية ودبلوماسية توثيقاً لحرب ١٩٤٨، ويُنشر في عداد هذه الوثائق نص رسالة العزاء الموجهة من الوكالة اليهودية إلى الملك عبدالله في ١٢ نيسان/أبريل.[٤٠] ويتصدر نصَّ رسالة العزاء مقدمة من محرر سلسلة الوثائق تتضمن رواية بيغن عن يوم دير ياسين. (أنظر الملحق الخامس).

وهكذا يصبح الأبيض أسود، وتشرق الشمس من الغرب وتغرب في الشرق. رحم الله شهداء دير ياسين وسائر شهداء العرب من أجل فلسطين.

حواشي الفصل السادس

(١) أنظر شهادة يهوشواع زطلر، قائد ليحي في القدس، في: إيلان كفير، «يديعوت أحرونوت»، ١٩٧٢/٤/٤، ترجمة رضى سلمان. أنظر كذلك: يوري ملشتاين، «تولدوت ميلحيمت هكوميميوت» (تاريخ حرب الاستقلال)، (بالعبرية)، (تل أبيب: زمورا، بيتان، ١٩٩١)، المجلد الرابع، ص ٢٦٦، ترجمة أحمد خليفة.

(٢) أنظر أعلاه ص ٩٢.

(٣) ملشتاين، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧٠.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه، ص ٢٧٠ ـ ٢٧١.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) المصدر نفسه، ص ٢٧٢.

(٨) المصدر نفسه.

(٩) المصدر نفسه، ص ٢٧٣.

(١٠) المصدر نفسه.

(١١) المصدر نفسه.

(١٢) المصدر نفسه.

(١٣) Larry Collins and Dominique Lapierre, *O Jerusalem* (New York: Simon and Schuster, 1972), p. 279.

(١٤) William Roger Louis, *The British Empire in the Middle East 1945-51: Arab Nationalism, the United States and Postwar Imperialism* (Oxford: Clarendon Press, 1984), p. 176.

(١٥) «مفكرة هنري غورني» (مخطوط بالإنكليزية)، محفوظات كلية سانت أنتوني، جامعة أكسفورد. لدى المؤلف نسخة عنها.

(١٦) قال الدكتور حازم نسيبة (سامحه الله) في مقابلات تلفزية أجنبية، بمناسبة الذكرى الخمسين لواقعة دير ياسين، كلاماً يناقض شهادته هذه السابقة، التي كان أدلى بها إلى الكاتبين كولينز ولابيير: Collins and Lapierre, *op.cit.*, p. 276

(١٧) *The Palestine Post*, April 12, 1948.

(١٨) *Ibid.*

(١٩) *Ibid.*

(٢٠) *Ibid.* أنظر أيضاً نص البرقية في:

Political and Diplomatic Documents: December 1947 - May 1948 (Jerusalem: Israel State

Archives, Central Zionist Archives, 1979), pp. 625-626.

أنظر كذلك الملحق الخامس.

(٢١) عارف العارف، «النكبة: نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود» (صيدا: المكتبة العصرية، ١٩٥٦)، الجزء الأول، ص ١٧٥.

(٢٢) Avi Shlaim, *Collusion Across the Jordan: King Abdullah, the Zionist Movement, and the Partition of Palestine* (Oxford: Clarendon Press, 1988), p. 165.

(٢٣) *Ibid.*

(٢٤) ملشتاين، مصدر سبق ذكره، ص ٢٦٦.

(٢٥) «هآرتس»، ١١/٤/١٩٤٨، ترجمة رضى سلمان.

(٢٦) المصدر نفسه.

(٢٧) المصدر نفسه.

(٢٨) المصدر نفسه.

(٢٩) المصدر نفسه.

(٣٠) أنظر أعلاه ص ٩٣.

(٣١) «هآرتس»، ١١/٤/١٩٤٨، ترجمة رضى سلمان.

(٣٢) المصدر نفسه.

(٣٣) ملشتاين، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧٢.

(٣٤) مناحم بيغن، «بماحتيرت كتافيم» (كتابات ووثائق)، (بالعبرية)، (تل أبيب: هدار تل أبيب، ١٩٦١)، القسم الرابع، ص ٢٧٦، ترجمة رضى سلمان.

(٣٥) المصدر نفسه، ص ٢٧٧.

(٣٦) المصدر نفسه.

(٣٧) أنظر أعلاه ص ٢٩.

(٣٨) بيغن، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨٤ ـ ٢٨٥.

(٣٩) المصدر نفسه.

(٤٠) *The Palestine Post,* April 12, 1948.

أنظر أيضاً نص البرقية في:

Political and Diplomatic Documents..., op cit.

أنظر كذلك الملحق الخامس.

الفصل السابع

،حرث رجال القرية السابقون

هذه الأراضي سنين كثيرة،

وزرعوا حول البيوت حدائق وأشجاراً مثمرة،

سنعالج ببعض الإسهاب، في هذا الفصل، القضايا الرئيسية التي يثيرها اليمين الصهيوني في صدد واقعة دير ياسين، وسنعقب ذلك بتقويم لموقف اليسار العمالي الصهيوني منها، ثم نختتم بكلمة مقتضبة.

أولاً: موقف اليمين الصهيوني من واقعة دير ياسين

يثير اليمين الصهيوني، في موقفه مما جرى في دير ياسين، عدة قضايا رئيسية يمكن تناولها تحت عناوين أربعة: أ) عدد الضحايا يوم المعركة. ب) أثر واقعة دير ياسين في مجرى القتال في فلسطين خلال نيسان/أبريل وأيار/مايو ١٩٤٨. ج) ادعاء الحرص على أرواح النساء والأطفال. د) دوافع الهجوم على القرية.

أ) عدد ضحايا دير ياسين

الراسخ في الذاكرتين الفلسطينية والعربية، والمتواتر إلى الأمس القريب في العالم بأسره، بما في ذلك إسرائيل والجوالي اليهودية خارجها، أن عدد شهداء دير ياسين هو في حدود ٢٤٠ ـ ٢٥٤ شهيداً. هذا هو الرقم الذي أعلنته الأطراف المعنية في حينه (اليهودية، والبريطانية الرسمية، والدولية، والفلسطينية، والعربية ـ بهذا التسلسل). وهو الرقم الذي أجمع عليه الصحافيون والمؤرخون والمراقبون من مختلف الجنسيات منذ سنة ١٩٤٨. لكن المفارقة (وأي مفارقة) هي أن هذا الرقم ليس هو الرقم الذي قدمه في حينه الطرف الأكثر دراية ومعرفة بالأمر، أي الناجون من وجهاء القرية وكبارها.

وسبق أن ذكرنا أن عدد سكان دير ياسين بلغ نحو ٧٥٠ نسمة سنة ١٩٤٨، انقسموا إلى ثلاث حمائل اتسمت بقدر غير مألوف في ريف فلسطين من التماسك فيما بينها. وكان الزواج بين الحمائل دارجاً شائعاً، حتى غدا أي فرد في القرية على علاقة قربى أو نسب بمعظم سائر أهاليها. وهكذا لم يكن خارج قدرة كبار الناجين من الواقعة القيام بإحصاء دقيق لمن فُقد أو استُشهد من السكان. غير أن تشتت الأهالي يوم المعركة في أكثر من اتجاه، وهول ما حدث، اقتضيا مرور بضعة أيام قبل إنجاز الإحصاء الذي تم في نهاية نيسان/أبريل ١٩٤٨. وفي الفترة التي مرت بين ٩ نيسان/أبريل وإنجاز الإحصاء، ترسخ الرقم ٢٤٠ ـ ٢٥٤ شهيداً عند الرأي العام العربي والدولي، وتوالت خلالها الأحداث الجسام: من سقوط طبرية (١٨ نيسان/أبريل) إلى سقوط حيفا (٢٢ ـ ٢٣ نيسان/أبريل) إلى سقوط يافا (٢٥ ـ ٣٠ نيسان/أبريل) إلى سقوط عشرات القرى المحيطة بهذه المدن؛ فحلت هذه المصائب محل واقعة دير ياسين في اهتمامات الرأي العام العربي والدولي المباشرة، وبقي الرقم المتداول لعدد شهداء دير ياسين على حاله.

بيد أنه نتيجة إحصاء وجهاء دير ياسين لشهدائها، في آخر نيسان/أبريل ١٩٤٨، تبيّن أن العدد هو في حدود ١٠٠ شهيد، معظمهم من الشيوخ والنساء والأطفال،(١) يضاف إليهم نحو ١٥ جريحاً جروحهم خطرة. وذكرت جريدة «البالستاين بوست» اليهودية أن ١٠ منهم أُدخلوا المستشفى الحكومي في القدس، وأن ٧ من هؤلاء هم دون الرابعة عشرة من عمرهم،(٢) يضاف إليهم العشرات من المصابين بجروح أقل خطورة.

ظلت معرفة العدد الحقيقي لشهداء دير ياسين مقصورة على الناجين من سكان القرية وذريتهم ومعارفهم، وعلى عدد قليل من الباحثين. ولم يشق العدد الحقيقي طريقه إلى أدبيات ١٩٤٨ الفلسطينية إلاّ في نهاية الثمانينات، عندما أصدرت جامعة بير زيت في الضفة الغربية كراساً عن

دير ياسين ضمن سلسلة عن القرى الفلسطينية التي دمرتها إسرائيل،[٣] ذكرت فيه أن الرقم الصحيح لعدد الشهداء «لم يتخط المئة وعشرين»؛ وذلك استناداً إلى مقابلات أجراها مؤلفا الكراس مع بعض كبار الناجين من أهالي القرية. وفي هذه الأثناء، تكرر ذكر رقم ٢٤٠ ـ ٢٥٤ شهيداً في جميع أدبيات ١٩٤٨ في مختلف اللغات، بما في ذلك الرواية الرسمية الإسرائيلية لحرب ١٩٤٨ التي صدرت عن وزارة الدفاع الإسرائيلية سنة ١٩٧٢ باسم «سيفر تولدوت ههاغاناه» عندما كانت الحكومة الإسرائيلية ما زالت تحت السيطرة العمالية.[٤]

ويتلقف الكاتب اليميني الإسرائيلي يوري ملشتاين ما ذكرته جامعة بير زيت في كراسها عن عدد ضحايا دير ياسين، ويدمجه في محاولته إعادة كتابة تاريخ ١٩٤٨ من منظور يميني ناقد للرواية الإسرائيلية العمالية، وبهدف إلقاء الشك على كامل الرواية العربية لدير ياسين، مع أنه يقر بأن الرقم المبالغ فيه لم يأت أصلاً من الطرف العربي وإنما من الطرف اليهودي اليميني ذاته.[٥]

وتسهيلاً على القارىء نعيد، باقتضاب، ما ذكرناه سابقاً (الفصل الخامس) من أن أول من ذكر أن عدد الشهداء هو ٢٤٥ شهيداً كان موردخاي رعنان، قائد إيتسل (الإرغون) في القدس، وكان ذلك في مؤتمر صحافي عقده مساء يوم الجمعة في ٩ نيسان/أبريل، بعد توقف القتال واحتلال القرية مباشرة، وحضره الصحافيون ومراسلو وكالات الأنباء الأميركيون واليهود. وأذاعت الـ «بي. بي. سي.» اللندنية الرقم نفسه في نشرتها الإخبارية لتلك الليلة. كما ذكرته، في الوقت نفسه، محطة الإذاعة البريطانية الانتدابية في القدس.[٦] كذلك كنا ذكرنا أن ممثل الصليب الأحمر الدولي زار دير ياسين يوم الأحد في ١١ نيسان/أبريل، ونقل إلى السلطات البريطانية وإلى الهيئة العربية العليا في القدس تقديره لعدد الضحايا الذي بلغ ٣٥٠ شهيداً، وهو الرقم الذي دوّنه في

مذكراته.[٧] وعقد الدكتور حسين فخري الخالدي، أمين سر الهيئة العربية العليا، مؤتمراً صحافياً في إثر لقائه ممثل الصليب الأحمر يوم الأحد في ١١ نيسان/أبريل، واعتمد الرقم ٢٥٤.

ويروي ملشتاين عن رعنان، في مقابلة أجراها معه بعد الواقعة بعدة أعوام، أن رعنان تقصّد، في مؤتمره الصحافي يوم الجمعة، تضخيم عدد الضحايا لإلقاء الرعب في العرب وأنه، بحسب قول رعنان، «نجح» في ذلك. وأغلب الظن، بالنسبة إلينا، أن هذا تبرير أو تفسير لاحق رجعي لأثر واقعة دير ياسين في سير القتال في فلسطين عامة؛ وهو تفسير يتضامن ملشتاين فيه طبعاً مع رعنان بغية تضخيم دور المنظمتين الإرهابيتين (الإرغون وشتيرن) اليمينيتين في قتال سنة ١٩٤٨ مقارنة بدور الهاغاناه اليسارية. ويقيننا أن الجمهور المستهدف في حينه بتضخيم الرقم لم يكن الجمهور الفلسطيني بقدر ما كان الجمهور اليهودي، نظراً إلى المحادثات المتزامنة التي كانت تجرى آنذاك برعاية اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية من أجل دمج قوات المنظمتين الإرهابيتين في قوات الهاغاناه، وإلى حرص الطرف اليميني الشديد على دعم مطالبه السياسية والعسكرية في هذه المحادثات، ولا سيما أن الأمر كان يتعلق في نهاية المطاف بإشراك اليمين الصهيوني في حكومة إسرائيل المرتقبة أو عدم إشراكه، وبحجم حصته في حال إشراكه.

وبعد، فالعبرة ليست في الكم. إذ ثمة أحداث في الحروب النظامية والأهلية تتخذ صفة رمزية بصرف النظر عن عدد ضحاياها، كما حدث في جنوب إفريقيا (شارب فيل، ١٩٦٠) وفي إيرلندا الشمالية (الأحد الدموي، ١٩٧٢) وفي غيرهما، حيث كان عدد الضحايا الأبرياء لا يتعدى بضع عشرات.

أمّا عدد شهداء دير ياسين، بحسب العمر والجنس، فهو وفق مصادرنا وتقديراتنا كالتالي:[٨]

قائمة شهداء دير ياسين
بحسب العمر والجنس

تصنيف العمر	فئة العمر/ بالسنوات	عدد الشهداء		المجموع
		ذكور	إناث	
الأطفال	سنة ـ خمس	٧	٥	١٢
الصغار	ست ـ خمس عشرة	٨	١١	١٩
الشباب	ست عشرة ـ عشرون	٧	٢	٩
	واحدة وعشرون ـ خمس وعشرون	٩	٤	١٣
	ست وعشرون ـ خمس وأربعون	٩	٧	١٦
الكهول	ست وأربعون ـ ستون	٩	٨	١٧
الشيوخ	واحدة وستون ـ تسعون	١٠	٤	١٤
المجموع	**جميع الأعمار**	**٥٩**	**٤١**	**١٠٠**

وتبين هذه القائمة أن نسبة الإناث والأطفال والصغار (دون الخمس عشرة سنة) والكهول والشيوخ من الذكور، تشكل ٧٥٪ من مجموع الشهداء من جميع الأعمار.

ب) أثر واقعة دير ياسين
في مجرى القتال في فلسطين
خلال نيسان/ أبريل وأيار/ مايو ١٩٤٨

في إثر قيام الضجة العالمية تجاه ما حدث في دير ياسين، وإرسال الوكالة اليهودية برقية اعتذار وعزاء إلى الملك عبدالله في ١٢ نيسان/ أبريل، واحتدام حرب البيانات بين الهاغاناه من جهة والمنظمتين الإرهابيتين إيتسل (الإرغون) وليحي (شتيرن) من جهة أُخرى بشأن الجدوى العسكرية لاحتلال دير ياسين، أخذت بيانات هاتين المنظمتين،

بإشراف مناحم بيغن قائد إيتسل الأعلى، تركز ابتداء من ١٤ نيسان/ أبريل ١٩٤٨ على القيمة العسكرية لاحتلال القرية حيث غدا هذا الاحتلال كما تقدم (الفصل السادس)، بحسب الرواية الصهيونية اليمينية، نقطة تحول مفصلية في حرب ١٩٤٨ تساقطت بعدها القرى الفلسطينية المجاورة لها والبعيدة عنها أمام هجمات الهاغاناه، بفضل «إنجازات» إيتسل وليحي في دير ياسين.

وعزت هذه الرواية الصهيونية اليمينية سقوط مدن فلسطين (طبرية وحيفا ويافا) إلى سقوط دير ياسين، كما عزت الهجرة الجماعية المدينية والريفية الفلسطينية إلى ما حدث في دير ياسين، وأن هذا وذاك إنما كان سببهما «تضخيم» **السلطة الفلسطينية ذاتها** (اللجنة القومية في القدس، أي مؤتمر الخالدي الصحافي إياه مساء اليوم الواقع فيه ١١ نيسان/أبريل ١٩٤٨) لما حدث في دير ياسين. وهكذا اختلط الحابل بالنابل، وانتقل وزر التهجير الجماعي القسري للفلسطينيين سنة ١٩٤٨، بحسب المخطط الصهيوني وعلى أيدي الهاغاناه والمنظمتين الإرهابيتين الأُخريين، من الجاني الصهيوني إلى الطرف الفلسطيني والعربي بسبب سياسة هذا الطرف «الإعلامية القصيرة النظر» وفق الرواية الصهيونية. والمحزن أن هذه الرواية شقت طريقها إلى العقول والقلوب والأقلام العربية، فتوَّج الجاني والمعتدي والمخطِّط والمنفِّذ لسياسة التطهير العرقي بذلك نصره العسكري بجعل ضحيته تتبنى روايته هو عما حدث لها.

والواقع أنه على الرغم من الصدمة المعنوية التي أحدثتها واقعة دير ياسين فإن حتى أقرب القرى إليها ـ عين كارم وصوبا وصطاف والمالحة ـ لم تتساقط تساقط أوراق الخريف كما يُدَّعى وإنما صمدت عدة أسابيع بعد احتلال دير ياسين، ولم تسقط إلاّ في أواسط تموز/يوليو ١٩٤٨ عندما استؤنف القتال بعد الهدنة الأولى، وبعد أن عجزت جيوش عربية نظامية عن الصمود أمام هجمات القوات الإسرائيلية. كذلك الأمر

بالنسبة إلى القرى الأُخرى المجاورة لدير ياسين في قضاء القدس: بتير، والقبو، والولجة، وبيت صفافا، التي صمدت إلى النهاية عندما سُلّمت إلى إسرائيل بموجب اتفاقية الهدنة الإسرائيلية ـ الأردنية في نيسان/أبريل ١٩٤٩، فكان مصيرها مصير القرى المقاتلة والصامدة هي الأُخرى إلى النهاية على الجبهة العراقية ـ الإسرائيلية الوسطى: أم الفحم، وعارة، وعرعرة، وباقة الغربية، وباقة الشرقية، والطيرة، وجلجولية، والطيبة، وقلنسوة، وكفر قاسم، التي سُلّمت جميعاً بدورها إلى إسرائيل بموجب اتفاقية الهدنة ذاتها في إثر انسحاب الجيش العراقي من البلد.

وكنا ذكرنا، فيما سبق، أن الدكتور حسين فخري الخالدي، أمين سر الهيئة العربية العليا، روى أن قومندان البوليس في القدس، فايز الإدريسي، أكد له استطاعته استرداد دير ياسين وضواحيها بقوات البوليس العربي في المدينة التي كانت تابعة للقيادة البريطانية، لكن الحكومة البريطانية رفضت طلبه القيام بذلك.(٩)

ومن أبلغ الأمثلة الأُخرى لعدم انهيار معنويات المدافعين عن القدس أن الهاغاناه حاولت استغلال ما حدث في دير ياسين لاختراق الحصار المضروب حول منطقة الجامعة العبرية ومستشفى هداسا في القدس الشرقية العربية، فأرسلت يوم الثلاثاء، في ١٣ نيسان/أبريل (أي بعد واقعة دير ياسين بأربعة أيام فقط)، قافلة ضخمة معززة بالمصفحات إلى الأحياء العربية فتصدى لها المجاهدون وقضوا على أربعين من أعضائها، ولم ينج مَنْ تبقى منهم إلاّ بعد تدخل الجيش البريطاني، وبعد اشتباك عنيف بينه وبين المجاهدين. ووصف تاريخ الهاغاناه الرسمي هذه المعركة «بضربة هائلة وُجِّهت إلى القدس العبرية.»(١٠) أمّا سقوط طبرية وحيفا ويافا فله أسبابه التي لا علاقة لها بسقوط دير ياسين. ولقصة ذلك السقوط مجال غير هذا المجال.(١١)

ومع ذلك، فلا شك في أن الأسبوعين الأولين من نيسان/أبريل

١٩٤٨ شهدا تحولاً نوعياً تراكمياً في ميزان القوى بين الطرفين، وما سقوط دير ياسين إلاّ أحد مظاهر هذا التحول، يضاف إلى سقوط القسطل، واستشهاد عبد القادر الحسيني (٨ نيسان/ أبريل) قبله، وفشل جيش الإنقاذ بقيادة فوزي القاوقجي في احتلال مستعمرة مشمار هعيمك جنوبي شرقي حيفا (٤ ـ ١٤ نيسان/أبريل) بعده؛ وهي أحداث تلا بعضها البعض خلال أيام قليلة معدودة، وكانت هي نفسها مظاهر لأسباب كثيرة سبقتها وأدّت إليها.

أمّا السبب العسكري المباشر لهذا التحول فكان بدء القيادة السياسية الصهيونية تنفيذ الخطة «دال» (بالعبرية دالِتْ) في ٤ نيسان/ أبريل (الفصل الأول أعلاه)؛ وهي الخطة الكبرى التي طال إعدادها، وكان هدفها احتلال رقعة الدولة اليهودية وفق قرار التقسيم بقوة السلاح وتطهيرها عرقياً وإضافة ما أمكن من رقعة الدولة العربية إليها، وخصوصاً مدينة القدس وضواحيها. ولم يكن سقوط طبرية وحيفا ويافا (وعشرات القرى المحيطة بها) سوى الناتج لتطبيق الخطة «دال» تباعاً، بفضل تفوق قوات الهاغاناه كماً ونوعاً على حاميات هذه المدن، وكذلك بفضل موقف الجيش البريطاني المتواطىء مع الهاغاناه بصورة خاصة في كل من طبرية وحيفا.[١٢]

ومما لا شك فيه أيضاً أن ما حدث في دير ياسين وما سبقه وتلاه مباشرة، في هذه الفترة، كان له بالغ الأثر في الرأي العام العربي، الأمر الذي شكل ضغطاً شديداً على القادة العرب كي يحزموا أمرهم إزاء الوضع في فلسطين باقتراب نهاية الانتداب البريطاني. وأشرنا في فصل سابق (الفصل السادس) إلى أن الملك عبدالله اعتبر واقعة دير ياسين في منزلة «إعلان حرب من قبل اليهود على شرق الأردن وسائر الدول العربية.» وليس من قبيل المصادفة أن تتخذ مصر قراراً تاريخياً، بعيد الواقعة بأيام ثلاثة. ذلك بأن الملك فاروق بلّغ القادة العرب يوم الاثنين،

١٢ نيسان/أبريل، موافقته على اشتراك الجيش المصري إلى جانب سائر الجيوش العربية في دخول فلسطين عند انتهاء الانتداب البريطاني في ١٥ أيار/مايو؛ وهو قرار كانت مصر تتردد في اتخاذه إلى ذلك الحين. وهكذا لم تكن دير ياسين نفسها بداية انهيار الجبهة الداخلية في فلسطين بقدر ما كانت أقرب إلى نقطة تحول نفسي في موقف الحكومات العربية في اتجاه التصميم على التصدي للقوات الصهيونية مهما تكن علاّت هذا القرار ونواقصه.[١٣]

ج) ادعاء الحرص على أرواح العزّل من النساء والأطفال

شرّ البلية ما يضحك. ذلك بأن رواية اليمين الصهيوني اللاحقة التبريرية لواقعة دير ياسين بلغت ذروة الكذب والتدليس بهذا الادعاء، بينما تراث منظمة الإرغون الإرهابية الدموي ضد العزّل تراث عريق يعود إلى عشرة أعوام قبل دير ياسين؛ وهو أمر مشهور ومعروف لكل قاص ودان.

فالإرغون هي التي ابتكرت وأدخلت إلى المشرق العربي استعمال الألغام الموقوتة والسيارات المفخخة ضد الأهداف المدنية، وهي التي دشنت استعمال الألغام هذه في أسواق الخضروات ومحطات الباصات الفلسطينية المزدحمة خلال ١٩٣٨ ـ ١٩٣٩ في كل من حيفا ويافا والقدس. وفيما يلي حصاد بعض هذه الأحداث من أرواح العزّل خلال هذه الفترة: ٦ تموز/يوليو ١٩٣٨، سوق البطيخ في حيفا، ١٨ قتيلاً؛ ٨ تموز/يوليو، موقف باصات القدس، ٤ قتلى و٢٧ جريحاً؛ ١٥ تموز/يوليو، سوق الخضروات في القدس، ١١ قتيلاً و٢٨ جريحاً؛ ٢٥ تموز/يوليو، سوق الخضروات في حيفا، ٤٥ قتيلاً و٤٥ جريحاً؛ ٢٦ آب/أغسطس، سوق الخضروات في يافا، ٢٣ قتيلاً و٣٠ جريحاً؛

٢٦ شباط/فبراير ١٩٣٩، سوق الخضروات في حيفا، ٢٥ قتيلاً و٣٧ جريحاً؛ ٢ حزيران/يونيو، موقف باصات القدس، ٥ قتلى و١٩ جريحاً؛ ٣ حزيران/يونيو، سوق الخضروات في القدس، ٩ قتلى و٤٠ جريحاً؛ ١٩ حزيران/يونيو، سوق الخضروات في حيفا، ٩ قتلى و٢٤ جريحاً، وهكذا.[١٤]

ثم إن الإرغون هي التي فجرت، في تموز/يوليو ١٩٤٦، فندق الملك داود في القدس، وكان مقر الحكومة البريطانية، الأمر الذي أدى إلى سقوط ٧٥ قتيلاً من المدنيين العزّل من الموظفين والزائرين البريطانيين والعرب، بمن في ذلك نحو ٢٠ يهودياً. وكان ضابط عمليات الإرغون خلال الهجوم على دير ياسين، يهوشواع غولدشميت، هو نفسه الذي ساق الشاحنة المملوءة بالمتفجرات التي نسفت الفندق. فأي أدلة هذه على الحرص على أرواح العزّل؟

وتمحور ادعاء الحرص على أرواح العزّل، خلال القتال في دير ياسين، حول وجود مكبّر للصوت على إحدى المصفحات التي كان عليها اقتحام القرية. وتطورت الرواية الصهيونية حتى أصبح دور مكبّر الصوت دور «المنقذ» (الفصلان الثاني والسادس) للنساء والأطفال، حيث حثهم بحسب هذه الرواية على إخلاء القرية «فأُنقذ» بهذه الوسيلة معظم هؤلاء، وكان ذلك على حساب «التخلي» عن عنصر المفاجأة في الهجوم، وبالتالي دليلاً على «فروسية» المنظمتين الإرهابيتين.

الواقع هو أن دور مكبّر الصوت (لو استُعمل) كان دور تحطيم الأعصاب والمعنويات المساند للقصف وإطلاق النار؛ وهو تكتيك حربي صهيوني دارج استُعمل على نطاق واسع ضد الأهداف المدنية الفلسطينية خلال حرب ١٩٤٨. لكنه، وهذه هي المفارقة، لم يُستعمل في هذه الحالة بسبب سقوط المصفحة في الخندق الذي حفره أهالي دير ياسين وتعطُّلها (الفصل الثالث)، ولا علاقة بالتالي لنجاة من نجا من نساء دير

ياسين وأطفالها باستعمال مكبّر الصوت أو عدم استعماله.

والواقع أيضاً، من شهادات الناجين والمراقبين الدوليين، بل من أفواه قادة المنظمتين الإرهابيتين، وكذلك من شهادات قادة الهاغاناه وضباطها التي أوردناها جميعاً في الفصول السابقة، هو أن المنظمتين لم ترعيا حرمة لشيخ أو مسنة أو رضيع أو جريح، وأن أتباعهما لم يتركوا عُرفاً واحداً في التعامل مع المدنيين في الحروب إلاّ خرقوه ودنسوه: فاتخذوا من الأسرى، من الشيوخ والنساء والأطفال، دروعاً لحماية أنفسهم من نيران المقاومين، ورهائن لنقل الجرحى والقتلى من اليهود تحت الرصاص، وأغطية لاقتحام منازل القرية وسرقة ما فيها. ولم يكتفوا بإعدام أسراهم من الرجال والنساء والأطفال، ولا بضرب وشتم وتهديد أسراهم من النسوة وسلبهن من كل ما عليهن من الحلى والأساور والخواتم والنقود، ولا بتمزيق آذانهن انتزاعاً للأقراط، ولا بعرضهن في شاحنات في موكب نصر ذهاباً وإياباً في أحياء القدس اليهودية، بل انحدروا إلى ما هو أسفل حتى من هذا وذاك، بتركهم جثث ضحاياهم من دون دفن ومحترقة جزئياً في الشارع العام في دير ياسين، بعد أن أشعلوا النار فيها وفروا من القرية فراراً بما نهبوه من غنائم ومؤن وأثاث ومواش، كما سبق أن ذكرنا.

طبعاً إن الكلام عن «فروسية» مكبّر الصوت كان لاستهلاك الجمهور اليهودي في فلسطين والولايات المتحدة، وهو إن دل على شيء فإنما على صفاقة الإعلام والحرب النفسية الصهيونيين ومدى احتقارهما للحقيقة وللواقع كما يتجليان بوضوح ما بعده وضوح في قائمة الشهداء أعلاه (صفحة ١٢٧).

د) دوافع الهجوم على دير ياسين

حرصت أدبيات المنظمتين الإرهابيتين التبريرية اللاحقة على تأكيد

الأهمية الاستراتيجية لدير ياسين، تفسيراً لاختيارها هدفاً للهجوم والاحتلال، وتثبيتاً لصواب التخطيط العسكري اليميني، ودحضاً لتشديد الهاغاناه على عدم وجود أية جدوى عسكرية من احتلالها، وتحويلاً للأنظار عما اقتُرف فيها من جرائم وآثام.

وهكذا غدت دير ياسين، بحسب الرواية اليمينية الصهيونية، مسيطرة على أحياء القدس اليهودية الغربية، وقاعدة أمامية لاقتحامها، ومصدر تهديد مباشر للطريق الوحيدة التي تربط القدس بتل أبيب، ومحطة حيوية على طريق المواصلات إلى القسطل، ومركز تجمع للجنود العراقيين والسوريين، وراعية لأعمال استفزازية وإزعاج مستمر للمستعمرات المجاورة، الأمر الذي جعل احتلالها أولوية عسكرية ملحة فرضت نفسها على قادة المنظمتين الإرهابيتين.

والواقع أن دير ياسين كانت تقع فوق تل على بعد ميل واحد من ست مستعمرات تشكل سداً متراصاً يعزلها عن العالم الخارجي، حيث أن الطريق الوحيدة إليه السالكة للسيارات كانت تمر وسط إحدى هذه المستعمرات (غفعت شاؤول)، والمسافة بين دير ياسين وطريق القدس ـ تل أبيب العام (كيلومتران) ووجود مستعمرة سابعة (موتسا) في المقابل على هذا الطريق ذاته إلى الساحل، يجعلان من المستحيل على دير ياسين السيطرة على تلك الطريق. ولم تكن دير ياسين على الطريق إلى القسطل، وإنما كان ثمة واد سحيق يفصل بينهما. والطريق إلى القسطل تمر عبر عين كارم لا عبر دير ياسين. ووجود جنود عراقيين وسوريين في دير ياسين أو عين كارم أو القسطل أو جوارها كذب محض، وكذلك هو القول إن دير ياسين كانت مصدر إزعاج واستفزاز للمستعمرات القريبة منها؛ ذلك بأن دير ياسين، بسبب ضعف مركزها الاستراتيجي، اختارت الوصول إلى تفاهم على عدم الاعتداء بينها وبين المستعمرات المجاورة (الفصل الأول)، وهو تفاهم رعته الهاغاناه وأَطلعت عليه قادة المنظمتين

الإرهابيتين على الرغم من أن الهاغاناه نفسها كانت تخطط لاحتلال دير ياسين.[١٥]

لذلك، لم يكن للاعتبارات العسكرية أو الاستراتيجية أي دور في قرار المنظمتين الهجوم على دير ياسين، بل كان أهم هذه الاعتبارات، كما سبق أن ذكرنا (الفصل الثاني)، سهولة الوصول إلى دير ياسين لقربها وعزلتها والرغبة في المزايدة على الهاغاناه ـ نظراً إلى أن الأخيرة كانت بدأت هجومها العام (عملية نحشون ضمن الخطة «دال») ـ والطمع بالغنيمة؛ وهو دافع يقر به يهودا لبيدوت، أحد كبار قادة الإرغون، إذ يقول: «إن الدافع الأساسي كان اقتصادياً ذلك أننا كنا في أمس الحاجة إلى الغنائم لتموين القواعد لمنظمتنا.»[١٦]

ثانياً: موقف اليسار العمالي الصهيوني من واقعة دير ياسين

كان موقف القيادة العمالية السياسية والعسكرية، في الظاهر، موقف تنديد واستنكار بحسب ما يبدو من برقية العزاء والاعتذار التي أرسلتها الوكالة اليهودية إلى الملك عبدالله، ومن حرب البيانات بين الهاغاناه والمنظمتين الإرهابيتين (الفصل السادس)، ومن أدبيات الطرفين في شأن واقعة دير ياسين منذئذ. بيد أن ثمة ثلاث زوايا يجدر بالقارىء العربي أن ينظر منها إلى هذا الموقف.

أ) موافقة الهاغاناه على الهجوم

أطلع قادة المنظمتين الإرهابيتين قائد الهاغاناه في القدس، دافيد شلتيئيل، على نيتهم الهجوم على دير ياسين. ووافق شلتيئيل على ذلك خطياً، في رسالة بتاريخ ٧ نيسان/أبريل تضمنت تحفظات (الإحجام عن

نسف منازل القرية والبقاء فيها كي لا يدخلها الغرباء) لا تمس جوهر الموافقة. وكان قادة الهاغاناه على اتصال مستمر بالمهاجمين طوال المعركة، كما ساهمت قوات الهاغاناه المرابطة في المستعمرات المقابلة لدير ياسين في إطلاق النار خلال المعركة على المدافعين، وقدمت الهاغاناه العون لإجلاء الجرحى والقتلى اليهود، وأمدت المهاجمين بالذخيرة، واشتركت وحدات من البلماح، مدعومة بمصفحات ومدافع هاون، لا في قصف القرية عن بعد فحسب، بل أيضاً في القتال داخل القرية، كما اشتركت هذه الوحدات في عملية النهب والسلب. ورفض شلتيئيل إعلام أهالي دير ياسين بالهجوم القادم، على الرغم من وجود اتفاق عدم الاعتداء بينه وبينهم، كما أنه وافق على الهجوم على الرغم من هذا الاتفاق. وبيّن، في رسالته إلى المنظمتين (الفصل الثاني)، أن احتلال دير ياسين كان من ضمن مخططات الهاغاناه ذاتها، على الرغم من هذا الاتفاق أيضاً. ومع أنه شجب تصرف المنظمتين تجاه جثث ضحاياهما إلاّ إنه أصدر أمراً بنسف الكثير من هذه الجثث بعد حلول قوات الهاغاناه محل قوات المنظمتين في القرية، وسمح للمنظمتين بنهب المؤن والطعام والأثاث والمواشي. ولم يمنع قوات الهاغاناه والبلماح، ولا المؤسسات الصهيونية المدنية، من المشاركة في أعمال السلب والنهب. حتى أنه حال دون زيارة إمام للصلاة على أرواح الشهداء.

ب) المداهنة والرياء
في استنكار القيادة العمالية

يحتوي استنكار القيادة العمالية لأفعال المنظمتين في دير ياسين على قدر وافر موفور من الرياء والمداهنة، نظراً إلى أن الهاغاناه والبلماح أنفسهما كانا مسؤولين في الخفاء عن أعمال مشابهة أو قريبة الشبه في عدد من القرى الفلسطينية التي احتلاها، حيث لم تصل أضواء الإعلام

والرقابة الدوليين؛ نذكر من هذه القرى: الحسينية، وعين الزيتون، والخصاص، وصفصاف، وصلحة، وسعسع (قضاء صفد)، وناصر الدين (قضاء طبرية)، وبلد الشيخ (قضاء حيفا)، والدوايمة (قضاء الخليل)، إضافة إلى مذبحة اللد داخل جامع دهمش وخارجه. كما أن الوكالة اليهودية لم تتوان عن الحيلولة دون وصول ممثلي الصليب الأحمر والسلطات البريطانية والصحافة العالمية إلى دير ياسين، طوال الأيام التي تلت المعركة مباشرة، إخفاء لجريمة المنظمتين، بل كان شغل شلتيئيل ومعاونيه الشاغل طمس معالم هذه الجريمة، كما تقدم ذكره أيضاً.

ج) دوافع استنكار الوكالة اليهودية

كان وراء استنكار الوكالة اليهودية العلني لما جرى في دير ياسين دافعان سياسيان، أكثر من كونهما خُلُقيين: أولهما الحرص على الاتفاق السري الذي كان عُقد مع الملك عبدالله في شأن التواطؤ على تنفيذ التقسيم،[١٧] وثانيهما الرغبة في دمغ الإرغون وشتيرن (أي ممثلي اليمين التصحيحي) بصبغة الإرهاب لإقصاء هذا اليمين عن التركيبة السياسية للدولة اليهودية المقبلة، كي تزداد حصة اليسار العمالي ضمن هذه التركيبة وسيطرته عليها. وفعلاً، كان لـ «قصة» دير ياسين دور أساسي في إبقاء حزب حيروت، الذي أسسه مناحم بيغن في ١٥ حزيران/يونيو ١٩٤٨، خارج جميع الحكومات الائتلافية بقيادة حزب العمال (مباي) منذ تأسيس الدولة حتى سنة ١٩٦٧ عندما دعا ليفي إشكول، رئيس الحكومة العمالي، مناحم بيغن إلى الانضمام إلى الحكومة الائتلافية عشية حرب حزيران/يونيو.

* * *

أمّا القول الفصل في موقف اليسار العمالي والقيادة الروحية الرسمية

اليهودية من دير ياسين، فجاء من فم الكاتب الإسرائيلي توم سيغف. ذلك بأنه يروي أن دائرة الاستيطان في الوكالة اليهودية أعدت، في النصف الثاني من سنة ١٩٤٨، قائمة بعشرات القرى العربية المحتلة تمهيداً لاستيطانها. ويزور رجال مصلحة الشؤون الصحية بعيد ذلك «قرية مهجورة» في ضواحي القدس، يرافقهم ممثلو دائرة الاستيعاب ويعلنون أنه قبل أن يصبح إسكان القرية ممكناً يجب رش المنازل بمادة د.د.ت. ويضع ممثلو الوكالة اليهودية تقريراً يذكرون فيه أن أبنية القرية «بصورة عامة مبنية بشكل أصيل وجميل»، وأن «الأراضي القابلة للاستغلال الزراعي كبيرة وتبلغ مئات الدونمات. . . . ولقد حرث رجال القرية السابقون هذه الأراضي سنين كثيرة، وزرعوا حول البيوت حدائق وأشجاراً مثمرة.» ويُقرَّر، بعيد ذلك، استيطان القرية بموافقة رئيس الحكومة العمالي بن ـ غوريون، ويُجْلَب إلى القرية مستوطنون من بولندا ورومانيا وتشيكوسلوفاكيا. وحتى صيف سنة ١٩٤٩ يتمكن هؤلاء من حراثة ٢٠ دونماً من كروم الزيتون، وتسويق ٣٠٠ صندوق خوخ، ويبدأون قطف عنب دير ياسين وتينها.(١٨)

ويُقرَّر أن يقام في خريف سنة ١٩٤٩ احتفال رسمي لتدشين المستعمرة الجديدة، وأن تحمل اسم غفعت شاؤول «ب» تيمناً، كما يبدو، بالجارة التي انطلق الهجوم منها على دير ياسين. ويكتب الفيلسوف اليهودي مارتن بوبر إلى رئيس الحكومة، بن ـ غوريون، عند سماعه بالأمر طالباً «على الأقل تأجيل إسكانها [القرية] حتى تلتئم الجروح. . . .»، وينبه إلى أن «من الأفضل أن نبقي حالياً أرض دير ياسين غير مزروعة، وأن تُترك منازلها شاغرة، من أن تُدَنَّس بعمل تفوق أهميته الرمزية السلبية جدواه العملية بما لا يقاس.» ولا يردّ بن ـ غوريون على رسالة بوبر، فيثابر بوبر على الكتابة إليه، وتتكدس رسائله في مكتب رئيس الحكومة من دون أية إجابة.(١٩)

ويحتشد بضع مئات من المدعوين إلى احتفال تدشين غفعت شاؤول «ب»، ويحضر وزيران من الحكومة العمالية، هما وزير المالية أليعيزر كابلان، ووزير الداخلية موشيه شابيرا، إضافة إلى رئيس بلدية القدس اليهودية العمالي تيدي كوليك. ولا يقتصر الحضور على ممثلي القيادة المدنية الإسرائيلية، بل يتصدر الاحتفال الحاخامان الأكبران، الأشكنازي والسفارادي،[٢٠] وهما القائلان في ١١ نيسان/أبريل ١٩٤٨: «خجلنا وأسفنا جداً عندما وصلتنا مساء السبت الماضي الشائعات فيما يتعلق بأعمال وحشية جرت في دير ياسين على يد أعضاء إيتسل وليحي.... إننا نعرب عن شعورنا العميق بالصدمة واحتجاجنا الشديد.»[٢١] ويبعث رئيس الدولة، حاييم وايزمن، «الليبرالي» برسالة تهنئة بالمناسبة، وتعزف الفرقة الموسيقية لمعهد الضرير المجاور احتفالاً بالوليد، وتقدم التحية للحضور.

* * *

لم تلبث الحكومة الإسرائيلية أن قررت، لحكمة هي أدرى بها، تحويل معظم مباني دير ياسين إلى مصحّ للذين يعانون أمراضاً عقلية، فأحاطتها بالسياج وقيّدت دخولها بإذن خاص.

ولا يفتأ حنين الناجين من دير ياسين يشدهم إلى بلدتهم شداً على الرغم من كل ما حدث، فيذهب بعضهم للتجوال في أرجائها وكرومها، ويزور آخرون قبر «الولي» محمود صلاح لقراءة الفاتحة عليه؛ وها هو الشيخ خميس أبو زيدان، وقد أصبح جداً لأربعة أجيال، يقوم بين الحين والآخر بزيارة شجرات الزيتون التي زرعها بيديه، فيجلس تحت فيء إحداها وينظف الأرض من حولها ويقبع متأملاً فيما آلت إليه الأمور. وها هي فاطمة، وقد كان لها من العمر ثمانية أعوام يوم الواقعة وأصبحت اليوم أُمّاً لعدة أطفال، تزور منزلها لتقرأ ما كُتب على بلاطة من رخام في واجهته: «المُلك لله»، فيطاردها نزلاء المستشفى ويلاحقونها بنظراتهم

وتنتابها نوبات من الضحك والبكاء، وتهرب آوية إلى بيتها في ضاحية من ضواحي القدس الشرقية، وتظل تسمع في منامها إلى اليوم أصوات طلقات نارية وصراخاً، فتستيقظ مذعورة وهي تصرخ ثم يبدأ أولادها بالصراخ.[٢٢]

وبعد، فإن عدد سكان دير ياسين اليوم ينوف على أربعة آلاف نسمة، تشتتوا ما بين الضفة الغربية والأردن والمملكة العربية السعودية والكويت وقطر والولايات المتحدة والبرازيل وغيرها.[٢٣] فهل من اختزال لمأساة فلسطين وخُلُقية الصهيونية أصدق من هذا؟

* * *

ويقول لسان حال أهالي دير ياسين اليوم، ونحن نردد معهم:

سأذكر بلدتي ما دمت حياً ... وأذكر مرجها ثم الشعابا
وأقرىء دير ياسين سلاماً ... متى شع الضحى نوراً وغابا
وقارعت الطغاة بيوم نحس ... وقد صمدت صموداً لن يعابا

حواشي الفصل السابع

(١) جدول الشهداء الذي أُعدّ في أواخر نيسان/أبريل ١٩٤٨ (مخطوط). لدى المؤلف نسخة عنه بواسطة يوسف أسعد.

(٢) *The Palestine Post*, April 11, 1948.

أنظر أيضاً: د. شريف كناعنة ونهاد زيتاوي، «دير ياسين»، سلسلة القرى الفلسطينية المدمرة، رقم ٤٠ (بير زيت: جامعة بير زيت، ١٩٨٧)، ص ٦١. يذكر هذا المصدر أسماء ١٢ جريحاً من دير ياسين أُدخلوا المستشفى الحكومي في القدس.

(٣) كناعنة وزيتاوي، مصدر سبق ذكره، ص ٦.

(٤) الرواية الإسرائيلية الرسمية تعطي الرقم ٢٤٥ لعدد شهداء دير ياسين. أنظر: يهودا سلوتسكي، «سيفر تولدوت ههاغاناه» (تاريخ الهاغاناه)، (بالعبرية)، (تل أبيب: إصدار عام عوفيد، ١٩٧٢)، المجلد الثالث، القسم الثاني، ص 1547؛ والترجمة الكاملة لهذا الكتاب: أحمد خليفة (مترجم)، «حرب فلسطين ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨» (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨٤)، ص ٤٤١.

(٥) يوري ملشتاين، «تولدوت ميلحيمت هكوميميوت» (تاريخ حرب الاستقلال)، (بالعبرية)، (تل أبيب: زمورا، بيتان، ١٩٩١)، المجلد الرابع، ص ٢٦٤، ترجمة أحمد خليفة.

(٦) أنظر أعلاه ص ٩٤.

(٧) Jaques de Reynier, *A Jerusalem un drapeau flottait sur la ligne de feu* (Neuchatel: Edition de la Baconniere, 1950), pp. 69-74.

(٨) اعتمدنا، في الدرجة الأولى، الأرقام والقوائم والمعلومات التي قدمها لنا يوسف أسعد، وتحققنا منها بواسطة الشهادات التي حصلنا عليها.

(٩) أنظر أعلاه ص ٩٦.

(١٠) أنظر تفصيلات معركة هذه القافلة في: عارف العارف، «النكبة: نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود» (صيدا: المكتبة العصرية، ١٩٥٦)، الجزء الأول، ص ١٨٧؛ بهجت أبو غربية، «في خضم النضال العربي الفلسطيني» (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٣)، ص ٢٢٥؛ سلوتسكي، مصدر سبق ذكره، ص 1397؛ خليفة، مصدر سبق ذكره، ص ٢٥٨.

(١١) أنظر ما قلناه في هذا المجال في: وليد الخالدي، «خمسون عاماً على تقسيم فلسطين (١٩٤٧ ـ ١٩٩٧)» (بيروت: دار النهار للنشر، ١٩٩٨)، ص ٩٧ وما يليها.

(١٢) المصدر نفسه.

(١٣) المصدر نفسه، ص ١٤٣.

(١٤) نقلاً عن جريدة *The Times* اللندنية بحسب تاريخ كل حادث. أنظر أيضاً: يهودا سلوتسكي، «سيفر تولدوت ههاغاناه» (تاريخ الهاغاناه)، (بالعبرية)، (تل أبيب: إصدار معراخوت ـ تساهل، ١٩٦٤)، المجلد الثاني، القسم السادس، ص 811 وما يليها؛ وفي الترجمة الكاملة لهذا الكتاب: أحمد خليفة (مترجم)، «الثورة العربية الكبرى في فلسطين ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩» (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية؛ الكويت: جامعة الكويت، ١٩٨٩)، ص ٢١٢ وما يليها؛ وهذا المصدر هو غير سلوتسكي وخليفة اللذين ذُكرا في عدة أماكن من هذه الدراسة، وهو يؤرخ للفترة التي سبقت الفترة التي يؤرخ لها سلوتسكي في كتابه السابق.

(١٥) أنظر أعلاه ص ٢٩.

(١٦) أنظر أعلاه ص ٣١ ـ ٣٢.

(١٧) أنظر: وليد الخالدي، «خمسون عاماً على حرب ١٩٤٨: أولى الحروب الصهيونية ـ العربية» (بيروت: دار النهار للنشر، ١٩٩٨)، ص ٢٨. وانظر أيضاً:

Avi Shlaim, *Collusion Across the Jordan: King Abdullah, the Zionist Movement, and the Partition of Palestine* (Oxford: Clarendon Press, 1988), p. 165.

(١٨) Tom Segev, *1949, The First Israelis* (New York: Free Press, 1986), p. 86.

أنظر أيضاً الترجمة العربية لهذا الكتاب: توم سيغف، «الإسرائيليون الأوائل ـ ١٩٤٩» (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨٦)، ص ١٠١ ـ ١٠٤.

(١٩) المصدر نفسه (النص العربي)، ص ١٠٤ ـ ١٠٥.

(٢٠) المصدر نفسه، ص ١٠٦.

(٢١) سلوتسكي، «سيفر. . .»، (١٩٧٢)، المجلد الثالث، القسم الثاني، مصدر سبق ذكره، ص 1548؛ خليفة، «حرب. . .»، مصدر سبق ذكره، ص ٤٤٢.

(٢٢) «٣٧ عاماً على المجزرة: شيوخ دير ياسين يتذكرون»، «صوت البلاد»، العدد ٤٠، السنة الأولى، الأربعاء ١٠ أبريل/نيسان ١٩٨٥، ص ٩ ـ ١٢.

(٢٣) دراسة محفوظ عبد العزيز سمّور، التي وصلتنا عن طريق يوسف أسعد، ص ١١.

ملاحق

الملحق الأول
بيان بأصحاب منازل
قرية دير ياسين

أعد هذا البيان السيد محفوظ سمّور، من سكان دير ياسين، بالتشاور مع أبناء قريته. ولقد وصلنا عن طريق السيد يوسف أسعد.

الرقم	صاحب المنزل
1	خليل يوسف البسطي
2	محمد علي حسن مصلح
3	يعقوب علي حسن
4	أحمد أسعد رضوان
5	محمد أسعد رضوان
6	مدرسة ذكور القرية
7	محمد سمور (الطبجي)
8	الشيخ محمد عطية
9	حسين محمد عطية
10	محمود سعدية
11	الحاجة صبحة رضوان
12	محمد قاسم حميدة
13	إبراهيم حبسة عقل
14	موسى حسن (الكللي)
15	حسن صالح
16	مصطفى عيد
17	نمر مصطفى عيد

الرقم	صاحب المنزل
18	عارف مصطفى عيد
19	الحاج محمد زهران
20	جمعة محمد زهران
21	علي محمد زهران
22	أحمد محمد زهران
23	يوسف أحمد عليا
24	أحمد يوسف أحمد عليا ومحمد وعلي
25	محمد جودة سمور
26	محمود جودة سمور
27	أحمد وموسى جودة سمور
28	محمد إسماعيل سمور (المختار)
29	خليل إسماعيل سمور
30	إسماعيل إسماعيل سمور
31	محمود معزوزة جابر
32	أبو عبد حسن مصلح

الرقم	صاحب المنزل
33	عبدالله إسماعيل
34	أبو سليم حميدة
35	سليم سليم حميدة
36	محمود إسماعيل سمور (أبو المنى)
37	موسى إسماعيل سمور (الشمالية)
38	محمد إسماعيل سمور (الطبجي)
39	مصطفى علي زيدان
40	موسى مصطفى علي زيدان
41	علي مصطفى علي زيدان
42	إسماعيل محمد عطية
43	مدرسة إناث القرية
44	جامع الشيخ ياسين
45	عبد المجيد سمور
46	عبدالله عبد المجيد سمور
47	محفوظ عبد العزيز سمور
48	منصور عبد العزيز سمور
49	سعيد عبد العزيز سمور
50	عبد العزيز سمور
51	عبد المجيد سمور
52	عبد الحميد سمور
53	محمد إسماعيل جندي (الصغّير)
54	أبو خليل عيد

الرقم	صاحب المنزل
55	الحاج خليل عيد
56	أحمد خليل عيد
57	محمد صالح حميدة
58	جمعة عبد الحميد سمور
59	عارف سمور
60	محمد عيسى عيد (قعبر)
61	الحاج عيسى عيد
62	الحاجة رقية عيد
63	جميل عيسى عيد
64	محمد زينب عطية
65	حوش دار عطية
66	الحاج إسماعيل عطية
67	الشيخ محمد إسماعيل/ قديم
68	محمد الحاج خليل عيد (خميس)
69	علي الحاج خليل عيد
70	الحاج سعيد عيد رقية
71	محمد مصطفى عيد (أبو عيد)
72	الحاج عبد العزيز سمور/ قديم
73	الحاج محمد سمور
74	الحاج عبد العزيز سمور/ قديم
75	معيقل عقل
76	محمود زهران

الرقم	صاحب المنزل
77	الحاجة نجمة سمور
78	محمود جودة سمور/ قديم
79	محمد جودة سمور/ قديم
80	عبد خليلية جابر وأولاده
81	عبد رشيدة جابر
82	علي عبد رشيدة جابر وشكري
83	الحاج جابر جابر
84	محمود جابر جابر
85	داود جابر جابر
86	صادق جابر جابر
87	توفيق جابر جابر
88	محمود إسماعيل جابر (أبو الماعط)
89	أحمد إسماعيل جابر
90	صالح رضوان
91	شاكر صالح رضوان
92	محمد عطاالله (أبو عطاالله)
93	عطاالله عطاالله
94	موسى حسن الكللي/ قديم
95	حسن فرحان مصلح (زينب جودة)
96	أحمد حسن جابر
97	علي خليل
98	أولاد علي خليل (عيسى وعلي وغازي)

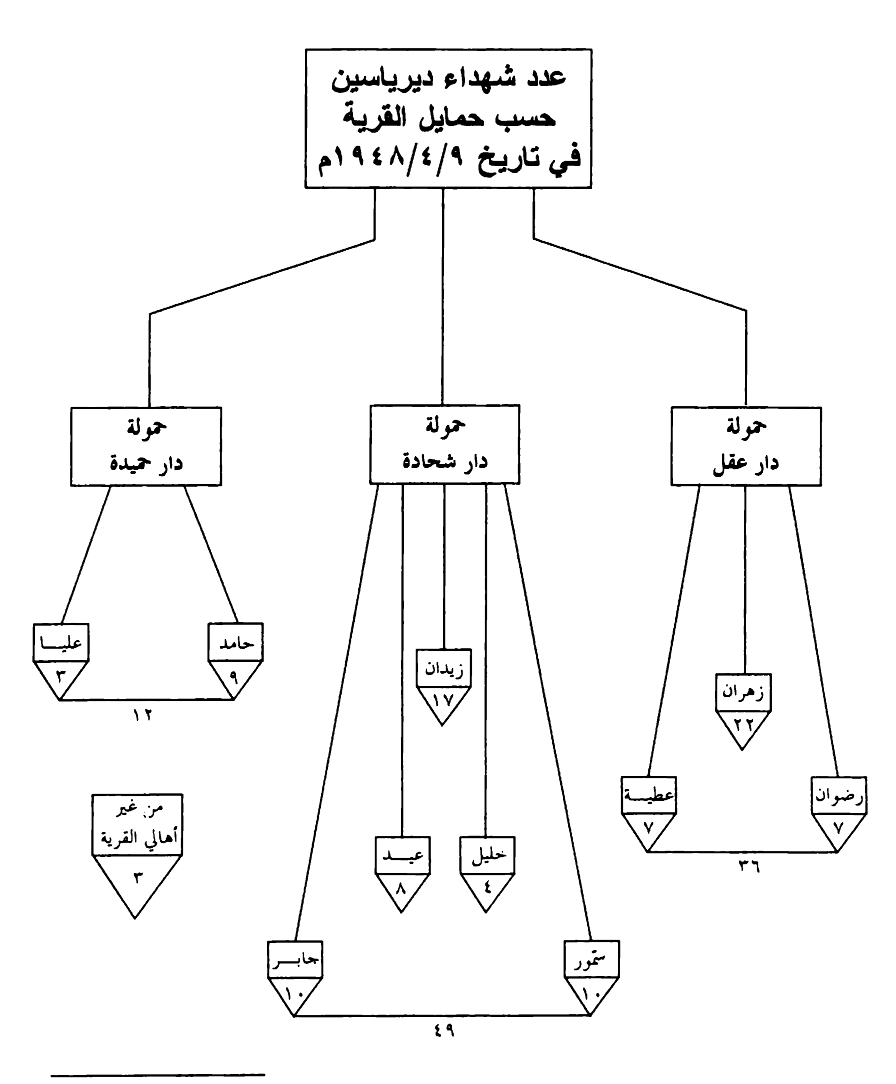
الرقم	صاحب المنزل
99	عبد رشيدة جابر (قديم)
100	يس ابن حلوة الشايب
101	أبو أحمد ابن عايشة العيسى
102	الشيخ جامع + أبو الريش
103	دير القرية
104	رشيد (أبو صابر)
105	محمود معزوزة جابر/ قديم
106	صبحة رضوان/ قديم
107	جابر حمدان/ قديم
108	شريف محمد سمور
109	توفيق صلاح
110	عبد العزيز صلاح
111	أبو علي صلاح
112	عيسى أحمد عليا (النونو)
113	أحمد أسعد رضوان/ قديم
114	أحمد إسماعيل جندي
115	صالح إسماعيل جندي
116	الحاج أسعد رضوان
117	محمد أسعد رضوان/ قديم
118	موسى فرحان
119	محمد عطاالله فرحان/ قديم
120	محمد خليل
121	الحاج عايش خليل وأولاده
122	حسن علي زيدان وأولاده
123	حسن علي زيدان وأولاده
124	محمود زيدان (البيك)

الرقم	صاحب المنزل
125	محمد زيدان
126	حسين زيدان
127	داود زيدان
128	خميس زيدان وولده عبد
129	محمد خميس زيدان
130	محمود أسعد رضوان وأولاده
131	حسن أسعد رضوان
132	جامع الشيخ محمود صلاح
133	محمد زيدان وأولاده
134	جمعة زيدان وولده محمد
135	شكري عبد رشيدة وولده فهمي
136	أبو نعمة درويش وأولاده
137	علي حسين حامد وولده حسين
138	محمد جابر + عبد صالح حامد وولده موسى
139	قاسم حميدة
140	علي قاسم حميدة

الرقم	صاحب المنزل
141	سعيد أحمد صلاح
142	جميل أحمد صلاح
143	صادق جبر جابر
144	الشيخ محمود صلاح
A	كسارة أحمد أسعد رضوان
B	كسارة دار سمور
C	كسارة دار جندي
D	بئر الحمام
E	بئر دار زهران
F	بئر مقر الحية
G	بئر الجوزة
H	فرن المختار
I	دكان قعبر
J	حوش دار جابر
K	بئر الزبالة
L	مقبرة القرية
M	دكان الحاج جابر
N	دكان خميس زيدان
O	قبر الشيخ محمود صلاح

الملحق الثاني
عدد شهداء دير ياسين
بحسب حمائل القرية

وصلنا هذا الرسم البياني عن طريق السيد يوسف أسعد. وهو حصيلة تشاور بينه وبين أبناء قريته، وخصوصاً السيد محفوظ سمّور. ولقد تبنينا هذه الأرقام بعد دراسة جميع الشهادات والمصادر ومقارنة الأرقام بما ورد في هذه الأخيرة.



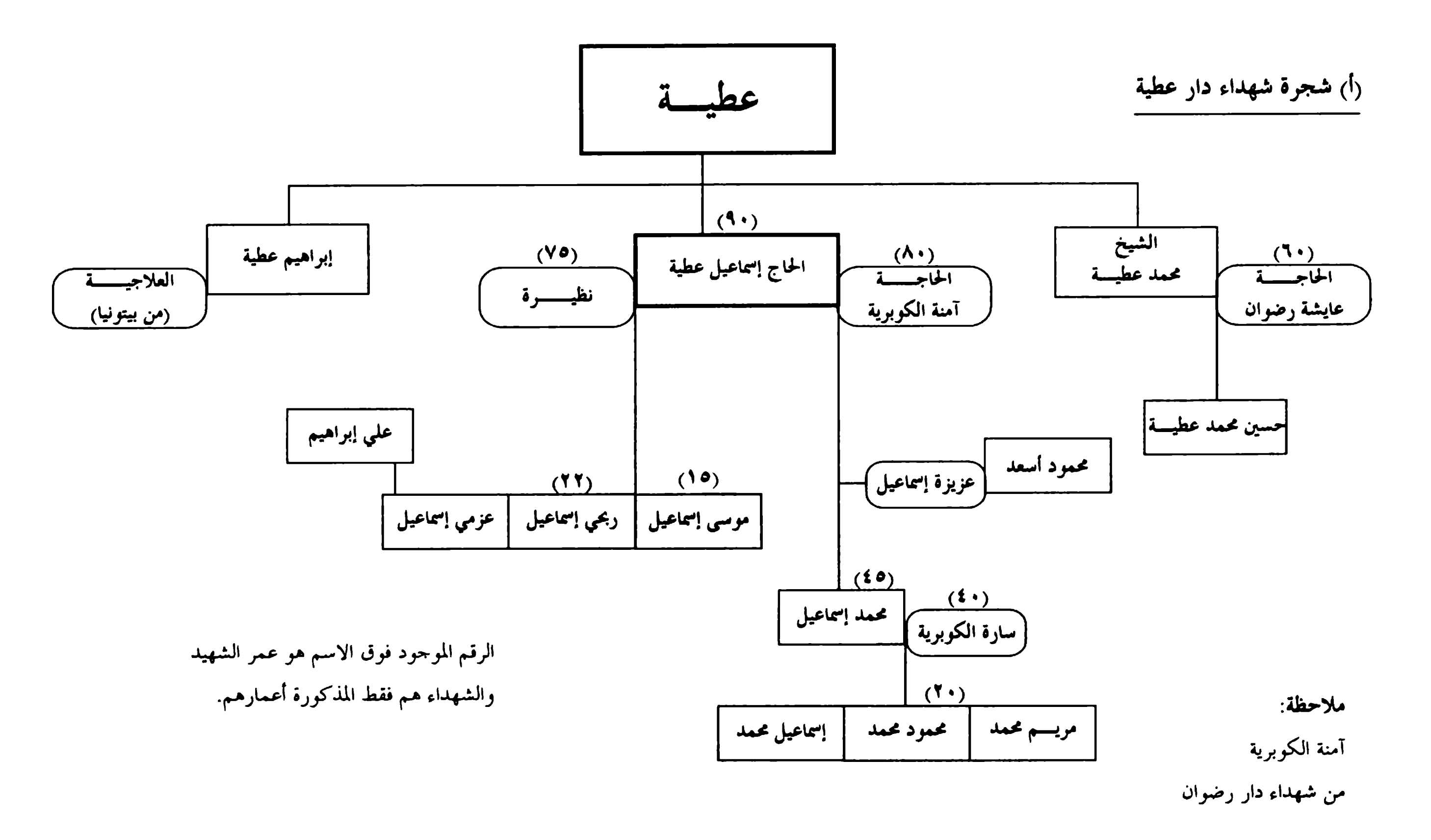
مجموع الشهداء ١٠٠ شهيد

رسم الأستاذ محفوظ سمّور

الملحق الثالث
شجرات شهداء دير ياسين
بحسب عوائل القرية

أنظر ما قلناه في مقدمة الملحق الثاني. وأنظر أيضاً قائمة الشهداء بحسب العمر والجنس (ص ١٢٧)، وشجرتي شهداء دار زهران (ص ٧٢)، ودار زيدان (ص ٧٤).

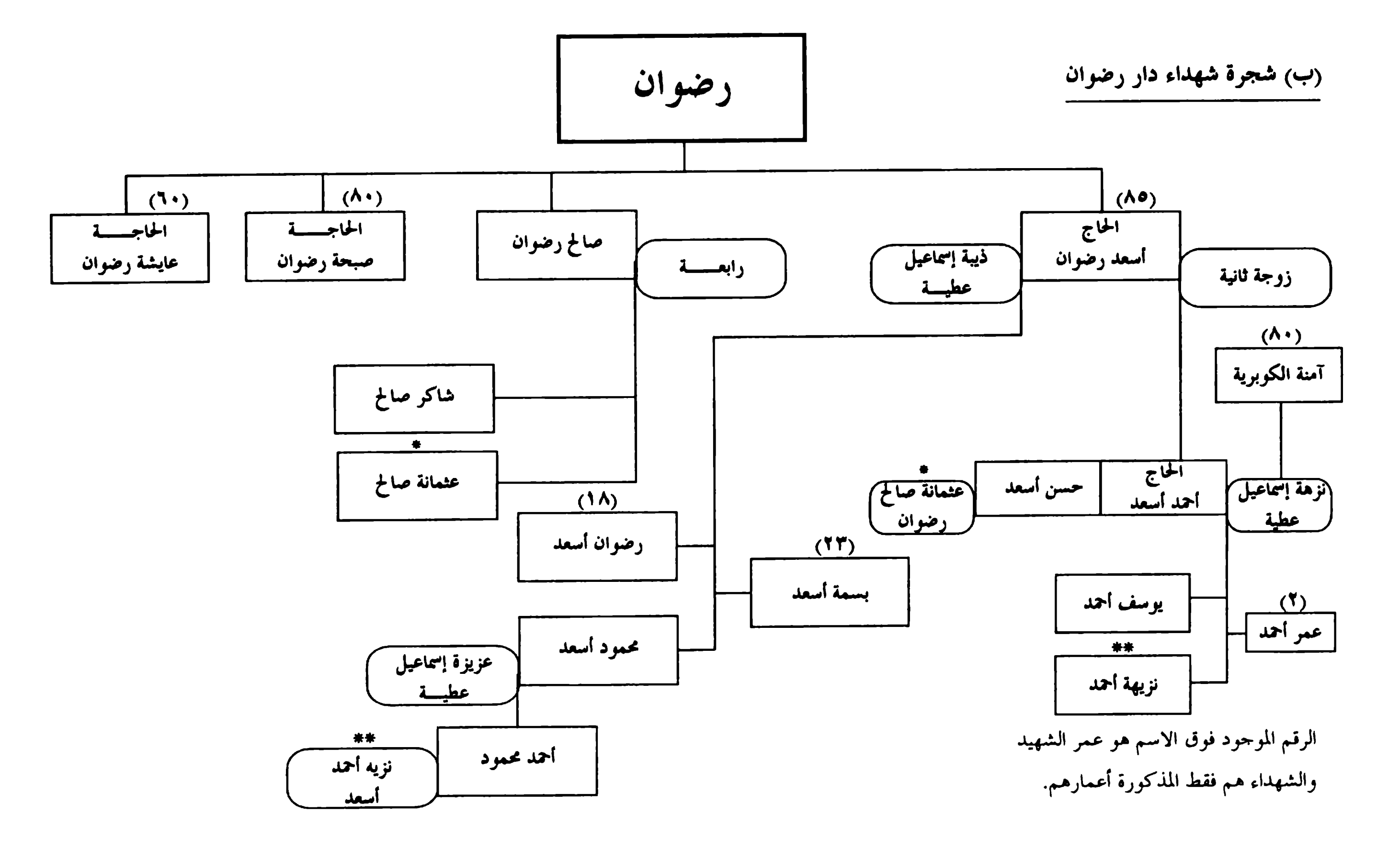
(أ) شجرة شهداء دار عطية



الرقم الموجود فوق الاسم هو عمر الشهيد
والشهداء هم فقط المذكورة أعمارهم.

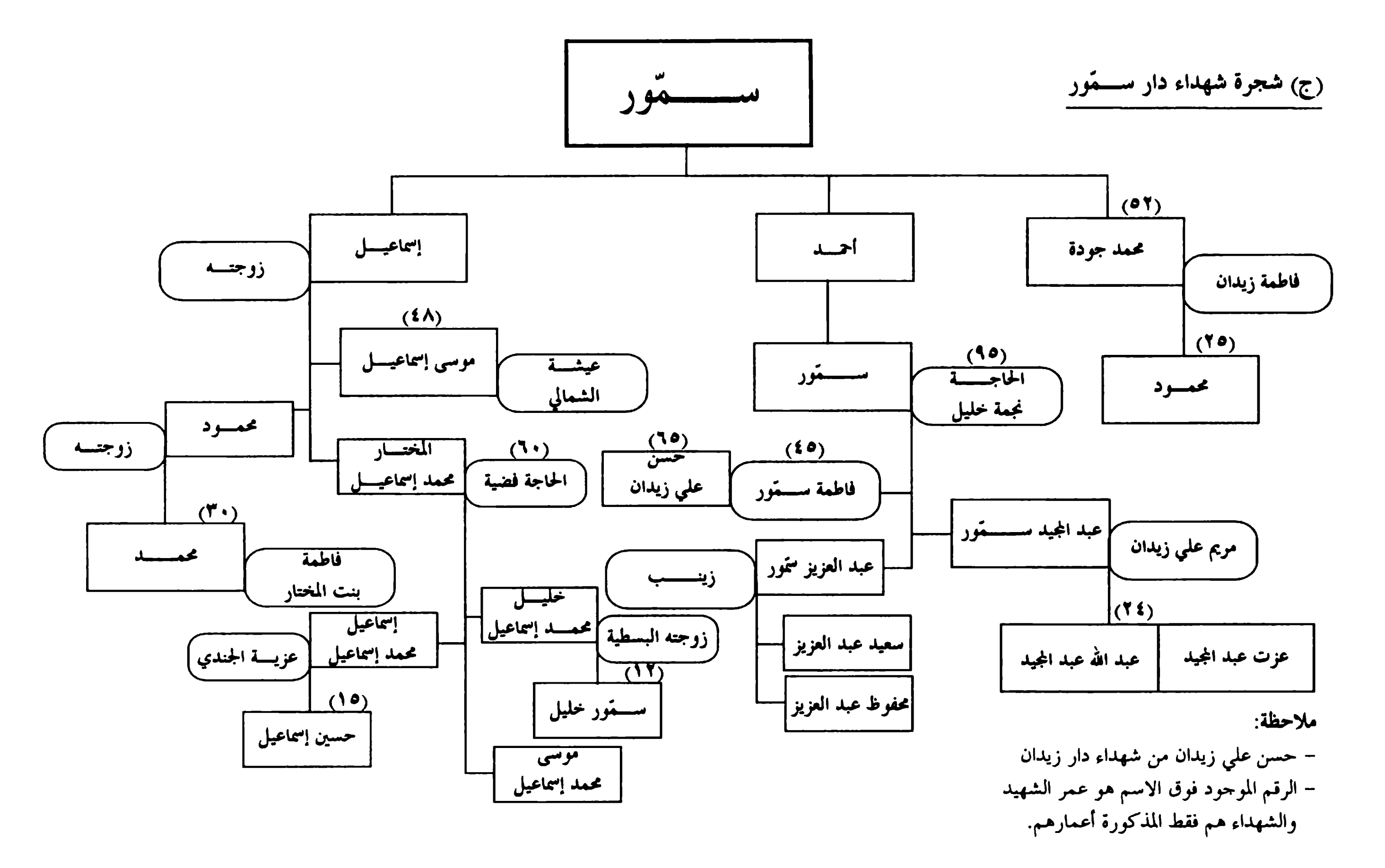
ملاحظة:
آمنة الكوبرية
من شهداء دار رضوان

(ب) شجرة شهداء دار رضوان



الرقم الموجود فوق الاسم هو عمر الشهيد والشهداء هم فقط المذكورة أعمارهم.

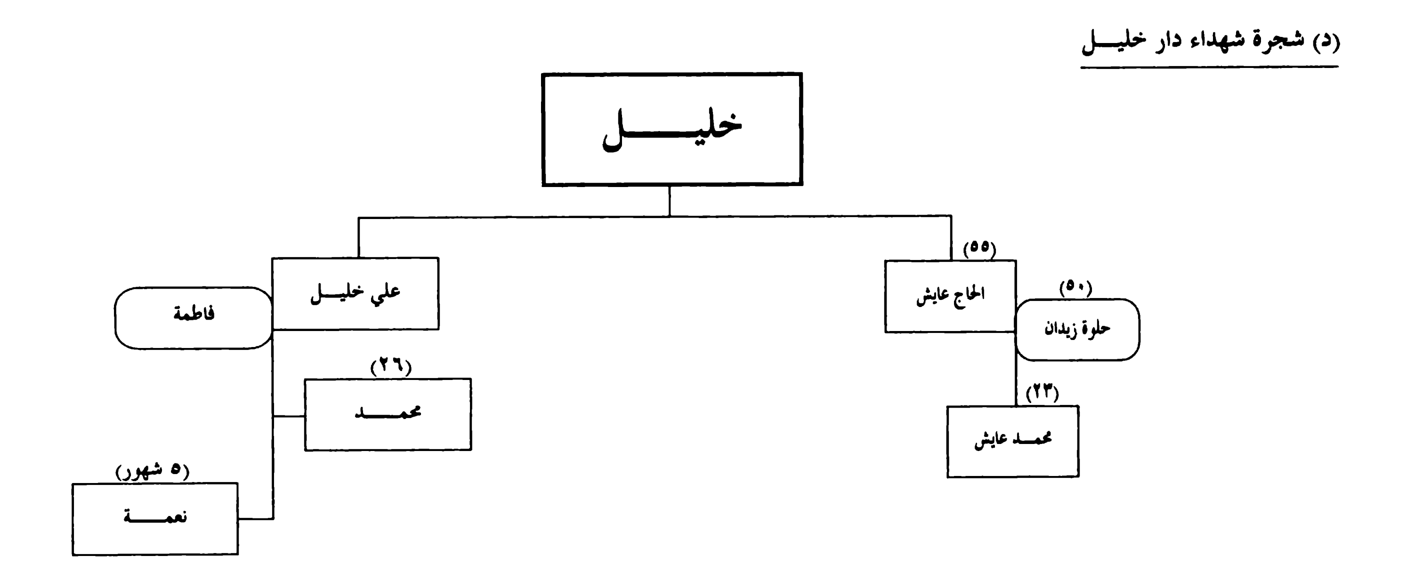
(ج) شجرة شهداء دار سمّور



ملاحظة:

- حسن علي زيدان من شهداء دار زيدان
- الرقم الموجود فوق الاسم هو عمر الشهيد والشهداء هم فقط المذكورة أعمارهم.

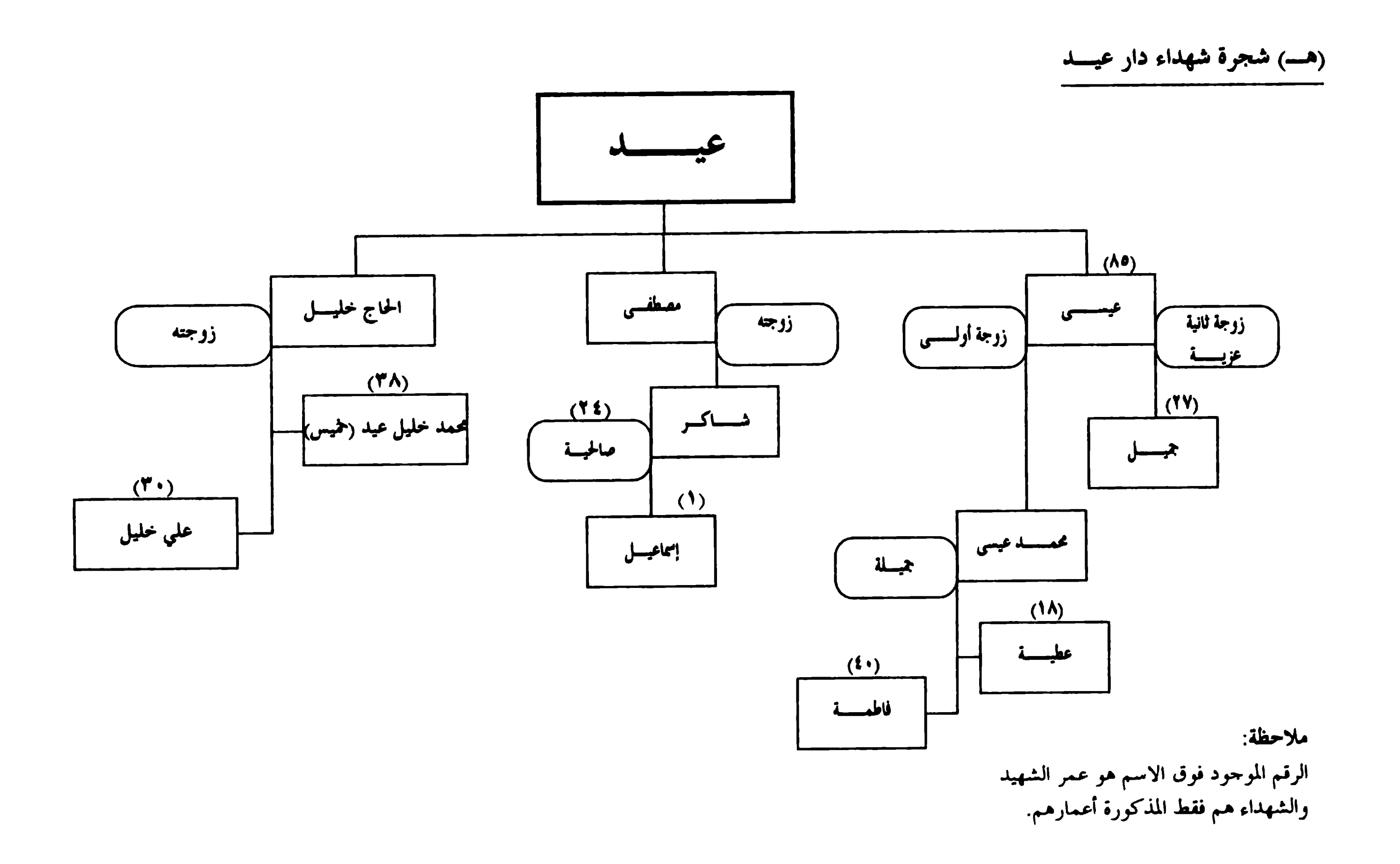
(د) شجرة شهداء دار خليل



ملاحظة:

- حلوة زيدان من شهداء دار زيدان
- الرقم الموجود فوق الاسم هو عمر الشهيد والشهداء هم فقط المذكورة أعمارهم.

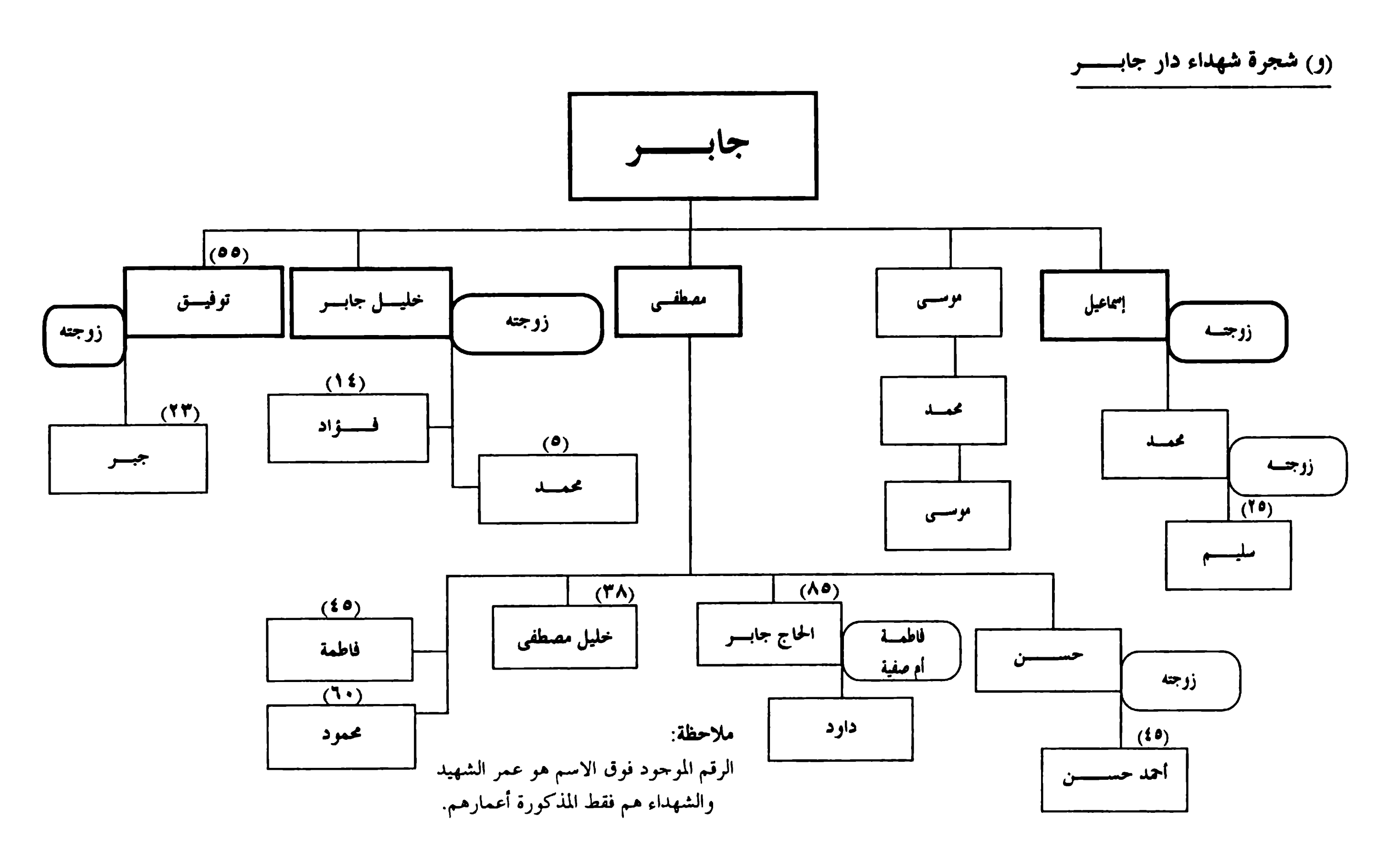
(هـ) شجرة شهداء دار عيد



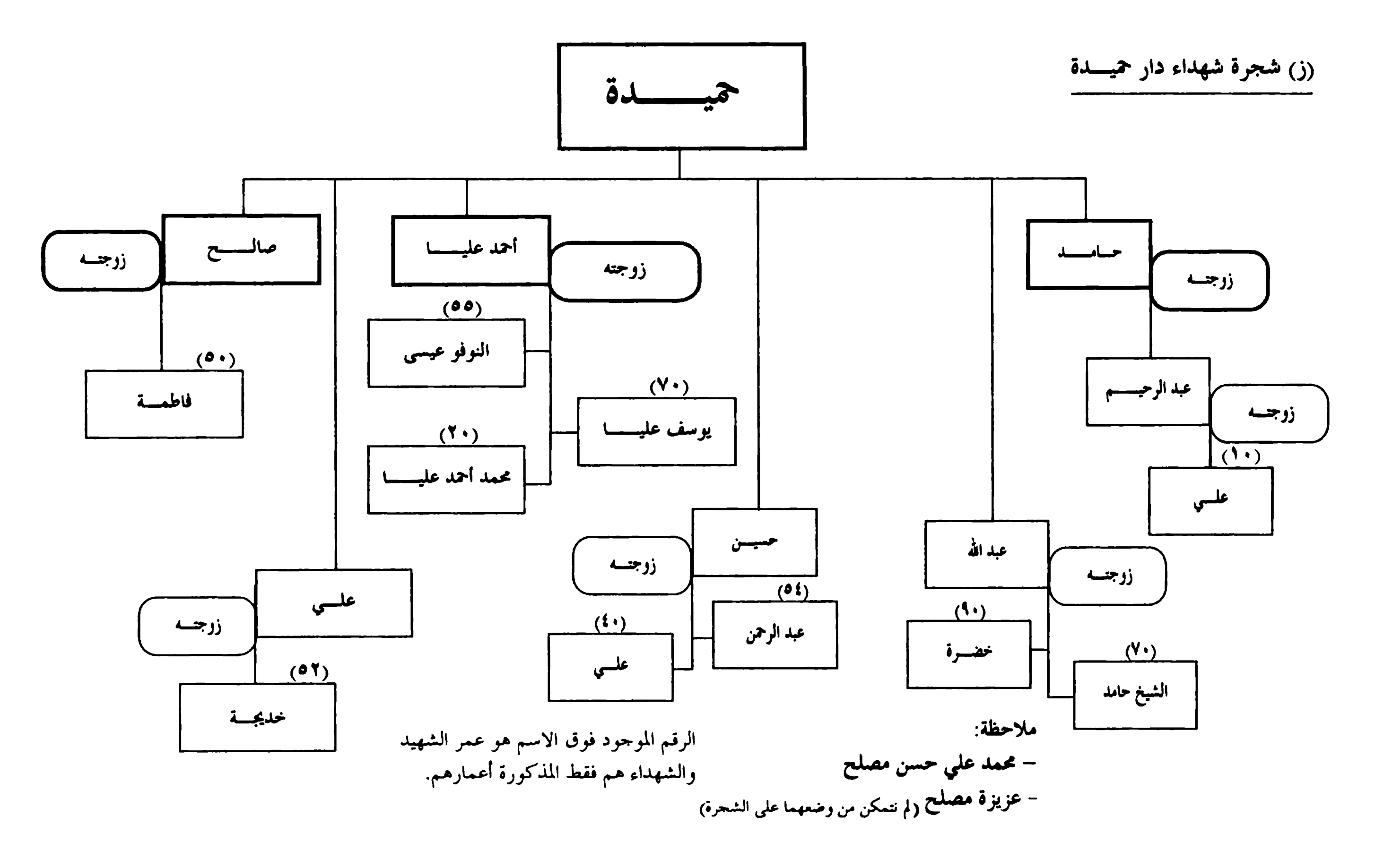
ملاحظة:

الرقم الموجود فوق الاسم هو عمر الشهيد والشهداء هم فقط المذكورة أعمارهم.

(و) شجرة شهداء دار جابر



(ز) شجرة شهداء دار حميدة



الرقم الموجود فوق الاسم هو عمر الشهيد
والشهداء هم فقط المذكورة أعمارهم.

ملاحظة:
- محمد علي حسن مصلح
- عزيزة مصلح (لم نتمكن من وضعهما على الشجرة)

الملحق الرابع
تغطية صحيفة «فلسطين» للحدث
١٠ ـ ١٩٤٨/٤/١٥

نظراً إلى الحيّز الكبير الذي أُعطي، في الكتابات الصهيونية وبتأثير منها في أدبيات ١٩٤٨ العربية ووسائل الإعلام الدولية، للمؤتمر الصحافي الذي عقده الدكتور حسين فخري الخالدي، أمين سر الهيئة العربية العليا في القدس، عقب حدث دير ياسين (أنظر الفصل السادس ص ١٠٩ وما يليها، والحاشية رقم ١٦ فيه؛ وانظر كذلك الفصل السابع ص ١٢٧ وما يليها)، ارتأينا أن ننقل عن كبرى صحف فلسطين آنئذ، وهي صحيفة «فلسطين»، كامل تغطيتها لواقعة دير ياسين وذيولها خلال الفترة ١٠ ـ ١٥/ ١٩٤٨/٤، بما في ذلك مؤتمر الخالدي ذاته، كي يتسنى للقارىء العربي أن يكوّن لنفسه فكرة عن حقيقة ما قيل بالعربية قبيل المؤتمر وخلاله وعنه، في حينه، بدل الاعتماد على روايات وادعاءات لاحقة. ويلاحظ القارىء أنه سبق مؤتمر الخالدي، أو تزامن معه، ردات فعل من أطراف عربية ودولية، وأن صحيفة «فلسطين» لم تورد وقائع المؤتمر، ولا نصّ «كلمة» الخالدي فيه، واكتفت بوصفه والتعليق عليه باقتضاب.

(أ) وصف للحدث*

الحالة في القدس
المجرمون اليهود يعتدون على قرية عربية

أُدخل إلى المستشفى الأهلي العربي في بيت صفافا السادة موسى محمد إسماعيل جابر من دير ياسين وأحمد حسن من عين كارم وعلي القاسم من دير ياسين وجميعهم مصابون بجراح بسيطة.

واستغل الأنذال اليهود فرصة انشغال القرى العربية في تشييع بطل الجهاد المغفور له عبد بك القادر الحسيني فتسللوا إلى قرية دير ياسين على طريق عين كارم وهي محاطة بالمستعمرات اليهودية وزرعوا الألغام في عدد من منازل القرية فتهدمت على من فيها من النساء والأطفال الأبرياء.

وعلى الأثر نشبت هناك معركة عنيفة فقتل وجرح عدد من المجرمين اليهود ولا تزال المعركة محتدمة في تلك الجهات.

وصدر بيان صحفي جاء فيه أن جماعات مسلحة من اليهود ـ يقدر عدد أفرادها بـ ٣٠٠ إرهابي ـ هاجمت قرية (دير ياسين) قرب القدس وقد تمكنوا من نسف خمسة منازل وقتل ثلاثة من العرب كما يعتقد أن عدداً آخر لا يزال تحت أنقاض المنازل المنسوفة. وقيل إن اليهود قد احتلوا القسم الشرقي من القرية.

* «فلسطين»، ١٠/٤/١٩٤٨.

(ب) بيان للجنة القومية بيافا عن الحدث*

حادث دير ياسين

حري بمن كانت شيمته الغدر والنذالة أن لا يعامل معاملة الأنداد وقد انطوت نفوس اليهود على كل ما يشين سمعة الرجل الشريف وأثبتوا أنهم عريقون في الوحشية والبربرية وما إليها من الصفات الدنيئة.

وقابلوا التعفف والتسامي والترفع بألوان من الانحطاط والتدني والانغماس في حمأة الإجرام مما تستنكره الإنسانية وتعافه الطبائع البشرية وتعاقب عليه الشرائع السماوية.

وجدير بمن قارفت أيديهم قتل الأبرياء أن يؤخذوا بقتل مثله ويجازوا جزاء وفاقاً.

ظن يهود «مشمار هعيمك» أن قائد جيش الإنقاذ الباسل حين عفّ عن أطفالهم ونسائهم وأمهلهم فترة من الزمن أنهم نائلون منه بغدرهم وتحايلهم ومكرهم ولمّا جد الجد أنزل بهم ضربته القاصمة وأفسد تربصهم به.

وانقض فريق آخر من هؤلاء الجبناء الرعاديد على قرية دير ياسين الآمنة فأهدر دماء النساء والأطفال فيها وأباح قتل العزل ممن استاقهم أمامه كرهائن.

وقد دلت الجرائم المخزية التي ارتكبها الغادرون جميعاً ولطخت أيديهم بالعار أنهم أحرياء أن يبطش بهم بطشاً لا هوادة فيه.

وسيظل حادث دير ياسين ماثلاً أمامنا حافزاً إيانا إلى التنكيل بالأشرار وإرواء ظمئنا من دم كل فاجر كفار.

«اللجنة القومية بيافا»

* «فلسطين»، ١١/٤/١٩٤٨.

(ج) بيان لمكتب الدعاية والنشر التابع لقيادة قوات الإنقاذ عن الحدث*

نابلس في ١٠ نيسان [أبريل] - لمراسل فلسطين الخاص - اتصلنا بمكتب الدعاية والنشر التابع لقيادة قوات الإنقاذ صباح اليوم فأبلغنا ما يلي:

دير ياسين

وسألنا متحدثاً عما أذاعه راديو لندن بخصوص قرية دير ياسين فأجاب بأن اللوم يقع في ذلك على أهالي القرية أنفسهم إذ تركوا القرية لتشييع جنازة الفقيد المرحوم عبد القادر الحسيني فاستغلت قوات الهاغاناه هذا الظرف وهاجمت القرية هجوماً مجرماً دنيئاً قبل أن تصل نجداتنا إلى تلك المنطقة وعلى السكان العام أن يتعظوا من هذا الدرس القاسي وعليهم أن لا تشملهم الحوادث الجسيمة عن حماية المدن والقرى مرة أُخرى وأن لا يتركوا للعدو فرصة يستفيد منها. أمّا النجدة التي بعثت بها قيادة قوات الإنقاذ إلى هناك فستبقى في المنطقة حماية لها إلى أن يعين قائد مسؤول عن المنطقة وعندئذ ستستدعيها القيادة إلى مقرها الأول.

* «فلسطين»، ١١/٤/١٩٤٨.

(د) وصف للحدث وذيوله*

أيها العرب: لقد شرد اليهود نساءكم وأطفالكم فلا تسامح بعد اليوم ولا إغضاء مع أشباه الرجال الرعاديد الجبناء

جيش التحرير العربي ينتقم لمأساة قرية دير ياسين بإبادة اليهود في القسطل ودكّ عدد من مستعمراتهم بجوار القدس

بربرية اليهود

ارتكب اليهود يوم أمس جرائم وحشية فظيعة تقشعر لها الأبدان وتقوم بمخازيها وبشاعتها أعمال البرابرة السفاكين فقد باغت عدد كبير منهم قرية دير ياسين وهي تبعد عدة كيلومترات عن القدس في الجهة الغربية منها وتحيط بها المستعمرات اليهودية ويقدر عدد سكانها ببضع مئات فدخلوا القرية ونسفوا بعض المنازل على من فيها من النساء والأطفال والشيوخ ثم دخلوا منازل القرية وألقوا القنابل اليدوية على السكان الآمنين العزّل من السلاح واقتادوا فريقاً من رجال القرية ونسائها وأطلقوا عليهم النار فقُتلوا على الفور كما استخدموا السلاح الأبيض في اعتدائهم وقد كان معظم الضحايا من الأطفال والبنات والنساء وأتى المجرمون بأعمال منكرة لا يبيحها أي عرف وقد مثلوا في جثث الضحايا تمثيلاً شنيعاً بعد نزع الملابس عنهم ثم عملوا في البيوت نهباً وتخريباً وسرقوا الحلى من أيدي النساء وتمكن بعض السكان من الإفلات والالتجاء إلى القرى العربية المجاورة وما تبقى من النساء والأطفال ساقهم المجرمون واستعملوا معهم الفظاظة المتناهية ووضعوهم في عدد من سيارات الشحن وبينهم الجرحى وقد نزعوا الملابس عن النساء وطافوا بهن في السيارات في الأحياء اليهودية كما أن الجماهير اليهودية اعتدت على هؤلاء العزّل من السلاح وقد أُنزلوا عند مدخل حي مئاه شعاريم ويقدر عددهم بمئتين في حالة يرثى لها.

---

* «فلسطين»، ١١/٤/١٩٤٨.

إيواء المشردين

ولمّا وصل النبأ إلى اللجنة القومية بالقدس سارعت إلى إيجاد أماكن لإيوائهم والاعتناء بهم وتقديم جميع التسهيلات لهم ومعالجة المصابين منهم وقد روى بعضهم أن عدد القتلى الذين خلفوهم في القرية كبير وذكروا وصفاً يفتت الأكباد عن الفظائع المتناهية في الوحشية التي اقترفها المجرمون اليهود وتتولى الآن اللجنة القومية بالتعاون مع اللجنة العربية للخدمات الاجتماعية ودائرة الشؤون الاجتماعية الاعتناء بهؤلاء اللاجئين.

اجتماع الاتحاد النسائي

وقد تبرع المجلس الإسلامي الأعلى بمبلغ مئتي جنيه والسيد عبد الحميد شومان مدير البنك العربي بمبلغ خمسين جنيهاً مساعدة لهم وعقد الاتحاد النسائي العربي اجتماعاً فوق العادة واتخذ قراراً بتقديم كل مساعدة ممكنة والاهتمام بأمرهم كما أن جمعية السيدات العربيات قررت المساهمة بذلك، وقد تم الآن توزيع هؤلاء اللاجئين على قرى القضاء واحتضنت قرية سلوان القسم الأكبر منهم وتبرع أهلوها بأربعمئة جنيه إلى اللجنة القومية للصرف عليهم وحالة هؤلاء اللاجئين الآن حسنة.

مدفعية جيش التحرير

وقد صوّبت وحدة المدفعية التابعة لجيش التحرير والمرابطة في قضاء القدس أفواه مدافعها الجبلية حوالي منتصف الساعة السادسة من مساء اليوم إلى مستعمرات غفعت شاؤول وبيت هكيرم ومونتفيوري الجديدة المحيطة بقرية دير ياسين والتي اعتدت عليها لتأديبها فقذفت عليها عديداً من القنابل وكانت انفجاراتها قوية هزّت المدينة.

تدمير تام

وذُكر أن عدداً كبيراً من مراكز واستحكامات أفراد العصابات اليهودية المجرمة قد دُمّر تدميراً تاماً كما قُطعت المياه والكهرباء عن تلك

المستعمرات وأُتلفت الخطوط التلفونية الممتدة لها وكانت سيارات الإسعاف اليهودية تنقل المصابين اليهود إلى المستشفيات التي غصّت بهم وعدد القتلى والجرحى بين اليهود كبير ولم يعرف بالضبط.

بيان للهيئة العليا

وستصدر الهيئة العربية العليا غداً بياناً مفصلاً عن نتيجة التحقيق في هذه الفظائع المنكرة وقابل المحامي السيد أنور نسيبة سكرتير اللجنة القومية البريغادير جونز القائد العسكري لمنطقة القدس وأعلمه عن الفظائع الهمجية التي اقترفها اليهود المجرمون وتحدث إليه ببعض المسائل.

مؤتمر صحفي!؟

وقد عقد زعيما العصابتين اليهوديتين الإجراميتين الإرغون وشتيرن يوم أمس مؤتمراً صحفياً حضره المراسلون الأجانب «مثلهما مثل كبار القواد وعظماء الرجال والساسة» وصرحا بأن أفراد عصابتيهما قتلوا في الهجوم الذي شنوه على قرية دير ياسين العربية يوم أمس الأول مئتي عربي نصفهم من الأطفال والنساء.. فمتى وأين كان قتل الأطفال والنساء عملاً يُفتخر به ويُعلَن على الملأ وتُعطى به بيانات صحفية؟؟

لقد عقد هذان المجرمان مؤتمراً صحفياً شأن المتمدينين من أبناء هذا العصر ولكنهما قاما بأمور ما عهدتها الإنسانية قط ولم تجد لها في التاريخ مثيلاً...

ولا ريب في أن الشعوب العربية إذ تجاهد لوضع حد لهذه الموجة الإجرامية إنما تؤدي للإنسانية ولمبادىء الأمم المتحدة خدمة جلى، ومن الجناية أن تتردد أي واحدة من حكومات الأمم المتحدة في تشجيع ومؤازرة هذا الجهاد العربي المقدس لخير المدنية والحضارة.

(هـ) تغطية للنقاش
في مجلس العموم البريطاني بشأن الحدث*

الجريمة البربرية في مجلس العموم البريطاني
وزير المستعمرات يعترف بالعجز عن وصف
وحشية اليهود في دير ياسين وبعدم فائدة حمل
الوكالة اليهودية على تسليم مرتكبي الجريمة!

جريمة وحشية

لندن في ١٢ ـ رد المستر كريتش جونز وزير المستعمرات على سؤال وُجِّه إليه في مجلس العموم اليوم عن حادث قرية دير ياسين فوصف الحادث بأنه جريمة أُخرى وحشية شنيعة من شأنها جعل الوصول إلى تسوية سلمية أمراً بعيداً.

. . . وبربرية

واستطرد يقول: يصعب عليّ أن أصف الفزع الذي تشعر به الحكومة البريطانية إزاء هذه الجريمة البربرية. إنها تلقي في روع العالم الشيء الكثير من الهلع وتثير كامن الغضب ودفين الأحقاد.

موارد الجيش

وقد سأل النائب المستر أوليفر ستانلي وهو وزير المستعمرات السابق إنْ كانت الحكومة تود الاكتفاء بالإعراب عن الأسف؟

فرد الوزير بأن موارد الجيش في فلسطين مستنفدة وقد استطاع الجيش فعلاً أن يتولى حماية القرى العربية والمستعمرات اليهودية ولكنه الآن مستغرق في عملية الجلاء؛ والجيش على كل حال يدرك ضرورة الحيلولة

* «فلسطين»، ١٣/٤/١٩٤٨.

دون وقوع حرب أهلية بين العرب واليهود وسيبذل في هذا الصدد غاية مجهوده وبقدر ما تسمح به موارده.

إبلاغ هيئة الأمم

أوليفر ستانلي ـ أليس من الأفضل في حالة عجزنا عن المحافظة على الأمن والقيام بالتزامات الانتداب حتى آخر دقيقة منه إبلاغ هيئة الأمم المتحدة الموقف بدلاً من تحمل المسؤولية؟

الوزير ـ من الضروري أن ننهي أعمالنا في أقرب وقت وهذا خير من السماح بازدواج السلطة في الفترة الباقية من عهد الانتداب لأن ذلك قد يؤدي إلى تفاقم الموقف وتأخير الجلاء ولا تستطيع بريطانيا أن تشرك في الإدارة أحداً. . .

النائب اليهودي المستقل دانيال لبسون ـ ألا تنوي الوكالة اليهودية أن تتبع استنكارها للحادث بتقديم كل مساعدة لاعتقال المجرمين؟

الوزير ـ يُخشى ألاّ يكون من المفيد مطالبة الوكالة اليهودية بهذا!!

(و) وصف لـ «كلمة» للدكتور حسين فخري الخالدي، أمين سر الهيئة العربية العليا في القدس، عن الحدث*

ماذا عسانا فاعلون؟

كانت الكلمة التي أفضى بها الدكتور حسين بك الخالدي أمين سر الهيئة العربية العليا عن مأساة قرية «دير ياسين» وما ارتكبه الجناة فيها من فظائع وأهوال، بمثابة دمعة سخينة ذرفها ممزوجة بالتفجع والتأسي والحزن المستفيض. ولمّا يئس أمين سر الهيئة العربية العليا من نصرة الرجال الرسميين للعدالة في كشف معالم الجرائم البربرية، فزع إلى رئيس مؤسسة الصليب الأحمر الدولية فلبى نداءه وذهب إلى دير ياسين وشاهد بعيني رأسه ما عجز عن ارتكاب مثيله زبانية الجحيم والأبالسة مجتمعين وآكلة لحوم البشر من قبائل نيام نيام...

* «فلسطين»، ١٣/٤/١٩٤٨.

(ز) مقال عن الحدث*

دموع التماسيح!؟

مضت ثلاثة أيام على الهجوم الوحشي الأثيم على قرية دير ياسين ولم يصدر عن الهيئات اليهودية أي تصريح سوى ذلك المؤتمر الصحفي الذي عقده اثنان من السفاحين قالا أنهما يمثلان عصابتي شتيرن والإرغون وقد تفاوضوا أمام المراسلين الأجانب بأنهم قتلوا مئتي عربي أو يزيد نصفهم من النساء والأطفال في هجومهم على قرية دير ياسين محاولين إيهام المراسلين بأن القتلى الرجال هم من المجاهدين العرب، وقد تسنى لهم بذلك إحراز نصر عسكري مزعوم.

وقصدت العصابات اليهودية ـ ومن ورائها الوكالة اليهودية ـ في كذبتها هذه إظهار مقدراتها العسكرية في العالم الخارجي ولا سيما في أميركا حيث أخذ الرأي العام يدرك قوة اليهود العسكرية على حقيقتها وليس كما صورتها له الدعاية الكاذبة، وأرادوا من عرض نساء وأطفال القرية العربية في القدس رفع الروح المعنوية عند أهالي القدس اليهود الذين تحطمت أعصابهم مؤخراً وعرتهم خيبة أمل شديدة بسبب الهزائم المتلاحقة التي مُنوا بها على أيدي الأبطال العرب.

وفي مؤتمره الصحفي الذي عقده مساء الأحد كشف أمين سر الهيئة العربية العليا النقاب عن حقيقة المجزرة البشرية التي جرت في قرية دير ياسين والتي بلغ عدد ضحاياها مئتين وخمسين من الشيوخ، والحوامل والنساء والأطفال. ولم يكن بين القتلى مجاهد أو مقاتل واحد، ولمّا شعرت الوكالة اليهودية بافتضاح أمرها أمام الرأي العام العالمي، وبعد أن كتمت الخبر الحقيقي ثلاثة أيام أو يزيد، سارعت بإصدار استنكار لذلك العمل المشين وحاولت إلقاء التبعة فيه على عاتق عصابتي شتيرن والإرغون المجرمتين.

---

* «فلسطين»، ١٣/٤/١٩٤٨.

إن تنصل الوكالة من ذلك العمل الإجرامي الشنيع كذب وتضليل جديد تضيفهما إلى سجلها الحافل بالأضاليل، ويجدر بالذكر هنا أن العصابات اليهودية المسلحة ـ وهي شتيرن والإرغون والهاغاناه ـ كانت قد تهادنت فيما بينها منذ عهد قريب وتفاهمت على الخطط لمجابهة العرب، وهل لا يعني هذا التفاهم تنسيق الخطط ومن جملتها الهجوم الأثيم على قرية دير ياسين؟؟ لا يخفى هذا على أحد، لكن الوكالة بإلصاق التهمة بعصابتي شتيرن والإرغون، تحاول إظهار الهاغاناه بمظهر «جيش منظم» له من المميزات ما لأي جيش آخر متمدين، فإنْ كان الأمر كذلك، وإنْ كانت الوكالة هي الهيئة صاحبة السلطة على الشعب اليهودي، فلماذا لا تبرهن الوكالة على سلطتها هذه بإصدار أوامرها لعصابة الهاغاناه بالقبض على مجرمي حادث دير ياسين وتقديمهم إلى العدالة ليلقوا عقابهم على ما اقترفت أيديهم من جرائم وحشية؟ إنْ كانت الهاغاناه عاجزة عن ذلك، فأين تبجحها بالقوة وبفرض السيطرة على البلاد وتنفيذ التقسيم وإخضاع العرب وما إلى ذلك من الادعاءات الفارغة؟؟

إن مناورات الاستنكار بالكلام لم تعد تجوز على أحد حتى ولا على حكومة الانتداب التي أوجدت الوكالة وعصاباتها المختلفة. فإنْ لم تستطع الوكالة اكتشاف المجرمين والقبض عليهم وتسليمهم للعدالة، فلا يعني ذلك إلاّ موافقتها على عملهم الدنيء وعجزها عن السيطرة على الشعب الذي تدعي رعاية شؤونه، إننا لا ننتظر أن تقوم الوكالة بعمل إيجابي كهذا لأننا متأكدون من مسؤوليتها وعجزها ولكن لن يمضي وقت طويل قبل أن يلقى هؤلاء المجرمون ما يستحقونه من عقاب على أيدي السلطات والقوات العربية المظفرة. وإن يوم الحساب لقريب بل هو أقرب مما يظنون.

«ح. س.»

(ح) وصف للحدث لمراسل وكالة الأنباء الأميركية الإسوشييتد برس، نقلًا عن فتاة من الناجين*

مراسل أجنبي يروي. . .

فظائع البرابرة في دير ياسين

كانوا ينهبون الزيتون ويتلفون ويصورون النساء!

لندن في ١٣ ـ وصف مراسل الإسوشييتد برس فظائع اليهود في قرية دير ياسين فقال أنه ذهب إلى إحدى مستشفيات الحكومة ليلة أمس حيث التقى بفتاة عربية تسمى فهيمة مصطفى علي أُصيبت بجراح نتيجة لانفجار قنبلة يدوية وراحت تروي له في فزع شديد كيف هاجمت عصابات الإرهاب اليهودي قريتها يوم الجمعة الماضي، وأزهقت أرواح ١٣٧ امرأة بينهن نساء حوامل، وطفل و١١٧ رجلاً.

وقالت الفتاة إن هذا الهجوم أسفر بالنسبة لها عن مقتل أمها، وجدّها وجدّتها، وشقيقين يكبرانها، وشقيقتها التي لم تتعدّ الشهر الثالث من عمرها.

ومضت الفتاة تقول: كانت القرية كلها نائمة عندما بدأ حوالي ٥٠٠ يهودي بمدافعهم الثقيلة هجومهم الفظيع، وحاول حراس القرية وعددهم حوالي ٤٠ رجلاً أن يصدّوا هذا الهجوم. ولكن محاولاتهم ذهبت أدراج الرياح وأمرني أبي أن أحتفظ بهدوئي، وأن أُوقظ أشقائي وشقيقاتي لنستعد للرحيل.

واقترب اليهود من باب بيتنا فألقى أبي عليهم قنبلة يدوية، فأطلقوا عليه رصاصهم فأصابوه في كتفه. فخرج من البيت مسرعاً ليختفي في فرن القرية، وصحبت أنا أشقائي وشقيقاتي إلى فناء البيت، واحتمينا خلف

* «فلسطين»، ١٤/٤/١٩٤٨.

حمار، ولكن شقيقتي الطفلة أعولت فدلّت اليهود على مخبئنا وأوقفونا جميعاً في صف واحد بما فينا جدتي وانهالوا علينا بالسباب والإهانات التي أعقبوها برصاص مدافعهم الرشاشة.

وعاد بعضنا للاختفاء داخل البيت الذي اقتحمه اليهود لينهبوا ما فيه من زيوت وليمون بعد أن أتلفوا بعض الأثاث.

وكانت الشمس قد طلعت فقادوا من بقي على قيد الحياة منا إلى نهاية القرية وأوقفونا هناك إلى الساعة الخامسة بعد الظهر وكانوا يضحكون ملء أشداقهم عندما يطلب أحد منا طعاماً أو شراباً للعجائز أو للأطفال، ثم بدأوا يبحثون في أنحاء القرية عن الرجال وكانوا كلما عثروا على واحد منهم أردوه برصاص مدافعهم قتيلاً.

ونقلونا في سيارتين إلى مستعمرة غفعت شاؤول حيث وقف اليهود يسخرون منا ويضحكون، ونُقلنا بعد ذلك إلى الطريق العام حيث طُلب منا أن نغادر السيارتين.

وطلبوا إلينا بعد ذلك أن نعطيهم كل ما نملك وإلاّ أطلقوا علينا النيران. ثم وقف اليهود في دائرة حولنا ودخلت الفتيات اليهوديات إلى الدائرة ونزعن ثيابنا جميعاً، وتركننا عاريات كما ولدتنا أمنا وسلبن الأقراط والخواتم التي نملكها والتقطوا صورنا ونحن عاريات ثم أمرونا أن نرتدي ملابسنا ونسير في اتجاه بوابة يافا.

(ط) تغطية لردات الفعل
في العواصم العربية على الحدث*

هذا هو رد العرب على جرائم اليهود الوحشية
في قريتي دير ياسين وناصر الدين
جلالة الملك عبد الله يحمّل الوكالة اليهودية مسؤولية
الجرائم ويتبرع للمنكوبين - بلاغ اللجنة السياسية
ومظاهرات العراق واستياء سورية

برقية ورد حاسم

عمان في ١٤ - و. ا. ع. كانت الوكالة اليهودية بالقدس قد أرسلت برقية إلى جلالة الملك عبد الله ملك شرق الأردن تتنصل فيها من حادث دير ياسين وتستنكر الفظائع الوحشية التي ارتُكبت فيها وتلقي تبعة هذا العمل على المنظمات اليهودية المنشقة. وقد أرسل معالي رئيس الديوان الملكي برقية إلى الوكالة اليهودية قال فيها إن الوكالة اليهودية هي المهيمنة على الأعمال الصهيونية بأكملها في فلسطين وخارج فلسطين وهي التي تمثلهم وتنطق باسمهم وليس من المنتظر أن يعمل أحد من اليهود ما يخالف سياستها وأنظمتها وعلى الإرغون وسواها أن تتأمل في نتيجة الأعمال الوحشية التي ارتكبتها وما يتسبب عن ذلك من نتائج وخيمة الأثر.

تبرع جلالته

وقد جادت مكارم صاحب الجلالة الملك عبد الله المعظم بمبلغ خمسمئة جنيه لمنكوبي حادث دير ياسين وأمر بتأليف لجنة برئاسة معالي رئيس الديوان الملكي لجمع التبرعات لهم من أهالي المملكة الأردنية كما أمر جلالته أن تتولى القنصلية الأردنية بالقدس العناية بشؤونهم.

---
* «فلسطين»، ١٥/٤/١٩٤٨.

اجتماع وتصريح

القاهرة في ١٤ ـ اجتمعت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية في دار وزارة الخارجية الساعة السادسة من مساء اليوم وانفض الاجتماع في منتصف الساعة التاسعة وتعقد اللجنة غداً اجتماعين آخرين أحدهما عند الظهر والآخر في المساء تختتم بهما دورتها الحالية وتتم بحث مشكلة فلسطين من النواحي السياسية والعسكرية والمالية.

وقد نفى السيد رياض الصلح في تصريح له أن اللجنة وافقت على مشروع الوصاية الأميركي.

بلاغ اللجنة

وقد أصدرت اللجنة على أثر اجتماعها الليلة البيان التالي:

علمت اللجنة السياسية ببالغ الأسى الفظائع التي ارتكبها الإرهابيون اليهود في قرية دير ياسين العربية فقد نكّلوا بالآمنين غير المقاتلين من النساء والحوامل والشيوخ والأطفال على صورة يشمئز لها ضمير الإنسانية وكذلك علمت اللجنة أن اليهود أحرقوا قرية ناصر الدين العربية قرب طبرية عن آخرها وأبادوا أهلها.

تقاليد العرب

وقد تنكب اليهود في أعمالهم هذه الآداب المرعية في القتال وبذلك يكونون قد كشفوا عما أذيع عن عزمهم على إبادة العرب إذا تم لهم الاستيلاء على فلسطين..

على أن العرب قد ظلوا إزاء هذا متمسكين بتقاليدهم المأثورة في الحرب وأثبتوا احترامهم لتقاليد الفروسية والآداب الحربية التي ورثوها جيلاً عن جيل.

واللجنة السياسية إذ تعلن استنكارها لهذه الجرائم تستلفت إليها الرأي العام العالمي وتذكّره بمغبة تنفيذ مشروع التقسيم.

وتوصي اللجنة العرب الاحتفاظ بتقاليدهم الموروثة فلا تستفزهم هذه الأعمال إلى مقابلتها بالمثل.

وتعلن اللجنة السياسية أن هذه التصرفات التي تصدر عن الإرهابيين والمقاتلة اليهود لن تزيدها إلاّ مضياً في العمل لإنقاذ فلسطين بكل الوسائل الممكنة.

مظاهرات العراق

بغداد في ١٤ ـ و. ا. ع. ـ قامت مظاهرة كبيرة أمس من أجل فلسطين واحتشد المتظاهرون في فناء دار الرياسة فخطبهم سماحة السيد محمد الصدر رئيس الوزراء بقوله إننا سنضحي في سبيل فلسطين البلد العربي المظلوم بكل عزيز وغال لقد قدّمنا لفلسطين الكثير ولكننا سنقدّم كل ما في وسعنا حتى يتم تحريرها وإن رب فلسطين وبيت المقدس الذي حمى هذا البلد الطاهر في مختلف أدوار الزمان سيحميه في هذه المرة كذلك. وتلا بعد ذلك برقية بعثت بها إليه القيادة العربية في فلسطين تعلن فيها احتلال القسطل وقتل أكثر من مئتين من اليهود.

استياء سورية

دمشق في ١٤ ـ و. ا. ع. ـ ساد الاستياء أنحاء سورية بأسرها للفظائع التي ارتكبها اليهود في دير ياسين وعقدت الوزارة اجتماعاً خاصاً بقصر الرياسة حضره فخامة رئيس الجمهورية للبحث في هذا الشأن، والمفهوم أن مذكرات أُعدت لإرسالها إلى مجلس الأمن والحكومتين البريطانية والأميركية. وعقدت جمعية الهلال الأحمر السورية اجتماعاً أمس استنكرت فيه هذه الفظائع وقررت إرسال احتجاج إلى لندن وواشنطن وموسكو وباريس وسكرتيرية هيئة الأمم المتحدة ولجنة الصليب الأحمر الدولية في جنيف.

الملحق الخامس
برقية الوكالة اليهودية إلى الملك عبد الله
١٢/٤/١٩٤٨*

إن المجلد من سلسلة الوثائق الذي تضمن هذه البرقية وملاحظات هيئة التحرير عليها (الملحق السادس) يحمل بالإنكليزية العنوان التالي:
Political and Diplomatic Documents: December 1947- May 1948
(Jerusalem: Israel State Archives, Central Zionist Archives, 1979).
وهذه هي سلسلة الوثائق السياسية والدبلوماسية الرسمية التي تصدر عن دولة إسرائيل. ويلاحَظ أن تاريخ إصدار هذا المجلد هو ١٩٧٩، أي بعد سنتين من نجاح حزب الليكود، بزعامة مناحم بيغن، في الانتخابات النيابية وخلال توليه رئاسة الحكومة (أنظر الفصل السادس، ص ١١٨).

القدس، ١٢ نيسان/أبريل ١٩٤٨

من الوكالة اليهودية إلى الملك عبد الله (عمان):

«بعد التداول بشأن تصريح الدكتور الخالدي ومناشدته جلالتكم بخصوص حدث دير ياسين، يشرّف الوكالة اليهودية أن تعرض على جلالتكم ملخصاً للتصريح العلني الذي أدلت به أمس:

«شجبت الوكالة بقوة حدث دير ياسين الذي اقترفته منظمتان يهوديتان منشقتان ووصفته بأنه عمل وحشي وبربري لا يمكن التوفيق بينه وبين روح الشعب اليهودي وتقاليده وتراثه.

* «تِعودوت مِدينِيُوت فـ ـ دِبلوماتِيوت: ديسمبر ١٩٤٧ ـ مايو ١٩٤٨» (القدس: غِنْزاخ هامِديناه، هاآركيون هاتسِيوني هامِرْكزي، ١٩٧٩)، ص ٦٢٥ ـ ٦٢٦.

«وكانت الوكالة قد تجاهلت عدداً من الأعمال الشبيهة التي اقترفها العرب خلال الأشهر الأربعة الماضية، وقررت أن هذا لا يبرر في أي حال من الأحوال لجوء الطرف اليهودي إلى مثل هذه الأعمال الوحشية.

«وناشدت الوكالة اليهودية، في ختام تصريحها، الأطراف المعنية كافة أن تدير النزاع الحالي في أرض إسرائيل وفقاً لقواعد الحرب المتّبعة من قبل الشعوب المتمدنة إذا لم يعد ممكناً منع الحرب أو إيقافها، وأعربت الوكالة عن استعدادها لبذل قصارى جهدها لتطبيق هذه المبادىء.

«وإذ توجه الوكالة اليهودية هذه الكلمات إلى جلالتكم فهي تستنكر الجريمة النكراء التي روّعت الشعب اليهودي وكل إنسان حيثما وُجد وأحدثت كل هذا الأسى.»

والله شاهد على صدق ما نقول

مع الاحترام والتقدير

الوكالة اليهودية

الملحق السادس
ملاحظات هيئة التحرير
(للمصدر المذكور في الملحق الخامس)
على برقية الوكالة اليهودية إلى الملك عبد الله*

في ٩ نيسان/أبريل ١٩٤٨، احتلت وحدات من منظمتي إيتسل وليحي قرية دير ياسين العربية، الواقعة غربي القدس، بعد قتال عنيف ضار من منزل إلى آخر، ولقد قُتل الكثيرون من سكان القرية خلال هذه العملية.

وفي ١١ نيسان/أبريل، أصدرت الوكالة اليهودية بياناً يشجب العملية. وفي اليوم التالي، أصدرت قيادة الهاغاناه في القدس بياناً مشابهاً.

وأصدرت منظمتا إيتسل وليحي بيانين رداً على بياني الوكالة اليهودية والهاغاناه، نفتا فيهما نفياً باتاً تهمة اقتراف مذبحة ضد سكان القرية، وأعربتا عن أسفهما على أن نساء وأطفالاً كانوا بين القتلى، وأوضحتا أن مكبرات للصوت طلبت من النساء والأطفال مغادرة القرية قبل بدء المعركة، أمّا الذين أُصيبوا من السكان فقد حدث ذلك لهم خلال القتال وهم داخل القرية. وشدد بيانا إيتسل وليحي على الأهمية العسكرية للقرية، ورفضا الادعاء أنه لم تكن في القرية عصابات غريبة. وتضمن بيان إيتسل نص رسالة من قائد الهاغاناه في القدس (د. شلتيئيل) بتاريخ ٧ نيسان/أبريل ١٩٤٨، يذكر فيها أن احتلال دير ياسين والحفاظ عليها كانا «مرحلة من مراحل خطتنا العامة»، وأنه لا يعارض احتلالها من قِبل إيتسل شرط أن تكون هذه الأخيرة قادرة على الاحتفاظ بها، وحذّرها من هدم القرية كي لا يؤدي ذلك إلى احتلالها من قِبل قوات عربية غريبة.

---

* مصدر الملحق الخامس نفسه، ص ٦٢٥.


فهرست

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

وليـــد الخالــدي

مؤرخ ومرجع في القضية الفلسطينية. وُلد في القدس، وتخرج من جامعتي لندن وأكسفورد. عمل أستاذاً في جامعة أكسفورد والجامعة الأميركية في بيروت وجامعة هارفرد، وأستاذاً باحثاً في جامعة برنستون، وزميلاً باحثاً في مركز دراسات الشرق الأوسط في جامعة هارفرد (١٩٨٢ - ١٩٩٦)؛ عضو مؤسس في مؤسسة الدراسات الفلسطينية وأمين سرها منذ تأسيسها سنة ١٩٦٣؛ انتُخب زميلاً في الأكاديمية الأميركية للفنون والعلوم، وحاز جائزة القدس لسنة ١٩٩٨ من السلطة الوطنية الفلسطينية؛ كتب الخالدي كثيراً بالعربية والإنكليزية في الشؤون العربية والدولية.

لـه بالعربيـة أيضاً

«قبل الشتات: التاريخ المصوّر للشعب الفلسطيني ١٨٧٦ - ١٩٤٨»
بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨٧

«كي لا ننسى: قرى فلسطين التي دمرتها إسرائيل سنة ١٩٤٨ وأسماء شهدائها»
بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٧

«الصهيونية في مئة عام: من البكاء على الأطلال إلى الهيمنة على المشرق العربي (١٨٩٧ - ١٩٩٧)»
بيروت: دار النهار للنشر، ١٩٩٨

«خمسون عاماً على تقسيم فلسطين (١٩٤٧ - ١٩٩٧)»
بيروت: دار النهار للنشر، ١٩٩٨

«خمسون عاماً على حرب ١٩٤٨: أولى الحروب الصهيونية - العربية»
بيروت: دار النهار للنشر، ١٩٩٨


ISBN 9953-9020-5-4
9 789953 902050

$ 8.00